وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـة باجـي مختـار –عنابـة
UNIVERSITÉ BADJI MOKHTAR – ANNABA
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علـم الاجتمـاع

أطروحة مقدمـة لنيـل شهـادة دكتـوراه LMD بعنوان:

الفضاء المديني وعلاقته بالسلوك الإجرامي

- مدينة تبسة أنموذجا -

الشعبـة: أنثروبولوجيا الجريمة

إعداد الطالبة:
سعيدة حاجي

تحت إشراف الدكتورة:
صالح بوشارب مريم

لجنة المناقشة

العضو	الدرجة العلمية	الجامعة	نوع العضوية
بوهروم عبد الحكيم	أستاذ التعليم العالي	جامعة باجي مختار - عنابة	رئيسا
صالح بوشارب مريم	أستاذ محاضر أ	جامعة باجي مختار - عنابة	مشرفا ومقررا
وسيلة بروقي	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي التبسي -تبسة	مناقشا
نور الدين جفال	أستاذ محاضر أ	جامعة العربي التبسي - تبسة	مناقشا
بوطرفة نوال	أستاذ محاضر أ	جامعة باجي مختار - عنابة	مناقشا

2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات 3
فهرس الجداول 12
فهرس الأشكال 13
المقدمة 19
الفصل الأول: الإشكالية والمعالجة المنهجية والتموقع المفاهمي..... 22
أولا: الإشكالية: 23
ثانيا: المعالجة المنهجية 27
ثالثا: أسباب ومبررات اختيار الموضوع: 29
رابعا: أهمية الدراسة 30
خامسا: أهداف الدراسة 30
سادسا: تحديد المفاهيم: 31
سابعا: الإجراءات الميدانية للدراسة 41
ثامنا: الدراسات السابقة: 42

الفصل الثاني: البعد الثقافي لمورفولوجيا المدينة 47
تمهيد 48
أولا: مدينة تبسة دراسة مونوغرافية..... 48
ثانيا: البناء الأيكولوجي للمدينة 60
ثالثا: البيئة العمرانية وعلاقتها بالجريمة 68
رابعا: البعد الثقافي للبناء الأيكولوجي 73
خامسا: الخصائص الجغرافية والبيئية وأثرها في تطور الجريمة 77
سادسا: المقاربة النظرية..... 80
سابعا: أنماط الجرائم وأحجامها في بعض أحياء مدينة تبسة 84
خلاصة الفصل الثاني..... 98
الفصل الثالث: الخصائص السوسيوثقافية للمدينة وعلاقتها بالسلوك الإجرامي 98
تمهيد 99
أولا: الثقافة 100
ثانيا: العادات والتقاليد وعلاقتها بالسلوك الإجرامي 103
ثالثا: القيم الثقافية وعلاقته بالسلوك الإجرامي 113
رابعا: الثقافة الشعبية والموروث الشعبي وعلاقتهما بالسلوك الإجرامي 119

خلاصة الفصل الثالث 139

الفصل الرابع: تغير الفضاء المديني وأثره على السلوك الإجرامي.....140
تمهيد 141
أولا: تغير مورفولوجية المدينة (اختراق الحديث للفضاء) 141
ثانيا: التغير الثقافي وعلاقته بالسلوك الإجرامي 146
ثالثا: التغير القيمي.....153
رابعا: العنف الثقافي.....160
خامسا: عجز البيئة الاجتماعية على تشكيل البنية الثقافية القويمة 164
سادسا: دور الإعلام في تغذية السلوك الإجرامي 169
خلاصة الفصل الرابع 172

الفصل الخامس: **الدراسة الميدانية** 175
أولا: عينة الدراسة الاستطلاعية الميدانية 176
ثانيا: مجتمع البحث.....179
ثالثا: منهجية الدراسة.....179
رابعا: أداة البحث.....179
خامسا: العينة 180
سادسا: تحليل المقابلات.....180
سابعا: التحليل التواتري للمقابلات 190
الخاتمة.....198
الملاحق 203
قائمة المصادر والمراجع 222

فهرس الجداول

رقم الجدول	العنوان	الصفحة
1	يوضح توزع الجريمة على مستوى حي الجرف، حي الميزاب، حي رفانة	**85**
2	يوضح توزع الجريمة على مستوى حي لارموط وحي الكنيسية وحي البساتين	**87**
3	يوضح توزع الجريمة على مستوى حي باب الزياتين وحي الزاوية وحي الزيتون	**90**
4	يوضح توزع الجريمة على مستوى حي الوئام وحي600 سكن وحي أول نوفمبر	**92**
5	يوضح توزع الجريمة على مستوى حي لاروكاد وحي جديات مسعود وحي بوحمرة	**94**
6	يوضح توزع الجريمة على مستوى الحي البرجوازي وطريق عنابة	**96**
7	يوضح جرائم أثناء إحياء مراسم الزواج	**110**
8	إحصاء لبعض جرائم الشرف ومرتكبيها في مدينة تبسة	**117**
9	جريمة القتل	**123**
10	جريمة السرقة	**125**
11	جريمة العنف	**126**
12	جريمة سببها العروشية والقبلية	**127**
13	العنف ضد المرأة	**128**
14	الجرائم الأخلاقية	**129**
15	جرائم أخرى	**130**
16	الدور الإيجابي للأمثال الشعبية	**131**
17	يوضح معدل الجريمة خلال السنوات الأخيرة	**159**
18	توزيع أفراد العينة حسب الجنس	**180**
19	توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي	**182**
20	توزيع عينة الدراسة حسب الحالة الاجتماعية	**183**
21	يوضح إجابات المبحوثين حول طبيعة الجريمة المرتكبة	**187**
22	يوضح التحليل التواتري للإجابات المبحوثين	**194**

فهرس الأشكال

رقم الشكل	عنوان الشكل	الصفحة
1	أعمدة بيانية توضح توزع الجريمة على مستوى حي الجرف، حي الميزاب، حي رفانة	85
2	أعمدة بيانية توضح توزع الجريمة على مستوى حي لارموط وحي الكنيسية وحي البساتين	88
3	أعمدة بيانية توضح جدول رقم3: يوضح توزع الجريمة على مستوى حي باب الزياتين وحي الزاوية وحي الزيتون	90
4	أعمدة بيانية توضح توزع الجريمة على مستوى حي الوئام وحي600 سكن وحي أول نوفمبر	92
5	أعمدة بيانية توضح توزع الجريمة على مستوى حي لاروكاد وحي جديات مسعود وحي بوحمرة	94
6	أعمدة بيانية توضح توزع الجريمة على مستوى الحي البرجوازي وحي طريق عنابة	96
7	أعمدة بيانية تمثل معدل الجريمة خلال الخمس سنوات الأخير	159
8	منحنى التغير في معدل الجريمة خلال الخمس سنوات الأخير	160
9	دائرة نسبية توضح توزيع العينة حسب الجنس	181
10	أعمدة بيانية توضح توزيع العينة حسب المستوى التعليمي	182
11	أعمدة بيانية توضح توزيع عينة الدراسة حسب الحالة الاجتماعية	184

المقدمة

ما يميز الأنثروبولوجيا اليوم خروجها من رقعة الدراسات القديمة التي تقتصر على المجتمع المحلي التقليدي القبلي أو القروي وخوضها في موضوعات عديدة مرتبطة بالمجتمعات الحضرية أو الصناعية وغيرها، تتداخل فيها الأحداث الجديدة والظروف المحيطة، حيث يعالجها الباحث باستخدام المناهج الأنثروبولوجية المتميزة في العمل الميداني وفي التحليل، مع الاستعانة بالنماذج المعرفية للعلوم الأخرى.

الأنثروبولوجيا باختلاف تياراتها الثقافية وأهدافها تبقى بالدرجة الأولى بحثا إنسانيا يستدعي فيه الباحث الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع كبنية ثابتة ومتغيرة ترضخ لتصورات وتمثلات الإنسان، ما يحتم الكشف عن الإملاءات الطبيعية والبيئية والثقافية وكذلك الاجتماعية للحياة الإنسانية، وما تمر به من أحداث ومشاكل وأزمات تنتج عن السلوكات النابعة من المجتمع سواء السوية منها أو الانحرافية.

وإذا تكلمنا عن الانحراف فإننا نخص بذلك الجريمة، وبدراسة الجريمة ضمن حقل الأنثروبولوجيا تطفو على السطح أنثروبولوجيا الجريمة بتركيزها على السلوك الإجرامي كسلوك يتشكل بالانخراط والتآلف والامتزاج مع عدة عوامل ثقافية وحضارية واجتماعية تلغي الطابع الفردي للجريمة، لتثبت الطبيعة القوية للعلاقة بين القيم الثقافية للبنية البشرية والفضاء الذي تشغله، كتعبير عن منظومة مادية ورمزية يتعاطى ضمنها الإنسان المديني بعقله ووجدانه وواقعيته ومخياله وكذلك ذاكرته الفردية والجماعية، من خلال ممارسات يومية تعبر عن طبيعة الفضاء وبنيته.

والفضاء لا يعني الزاوية الخاصة بالمسكن أو الحي أو مورفولوجيا العمران المادي فقط، وإنما يقصد به منظومة التصورات والتمثلات والممارسات القائمة داخل الفضاء المجرد، كدلالات رمزية متعلقة بالدرجة الأولى بالثقافة بمكوناتها المادية والرمزية من تراث شعبي وتاريخي وجغرافي، يعبر عن المدينة التي لا تمثل مأوى الإنسان وحيز عيشه فقط، وإنما تمثل فضاءا متكاملا من العناصر تؤطرها البنية الاجتماعية والثقافية والتي بدورها تنتج أنماط السلوك المختلفة.

هذا ما يجعل للجريمة داخل هذا الفضاء خصائص سوسيوثقافية وبيئية، تجعلها نموذج غير متجانس للسلوك الإنساني.

فبالرغم من أن الإنسان في المدينة انصهر مع كماليات التحضر وشغلته أعباء الحياة السريعة، التي تتقاسم فيها المجموعات نفس الفضاء مما يدفعها إلى الاتصال والتفاعل، أين يبرز الفرد كقيمة بعيدا عما تعنيه الجماعة، إلا أن روابطه بثقافته وانتمائه القبلي لعصبته مازال يحرك سلوكه ويندرج ضمن ممارساته اليومية، والتي تعبر عن قوة العلاقة بين هويته الثقافية المتوارثة وبين ثقافة الفضاء المديني.

وحتى لا نهمل جانب الديناميكية الذي جلبته التغيرات الحضرية المتسارعة، والتي فرضت مفاهيم جديدة غابت عنها أنماط الحياة المستقرة، التي كان أساسها الانعكاسات السلبية للعولمة وانتشار قيم الحداثة ببعدها السلبي، وما أنتجته من تحولات أثبتت الخلل في التنبؤ بعالم أفضل، فقد اجتمعت كل هذه العوامل لتصقل ثقافة الإنسان المديني، وتنتج بذلك صورة جديدة تتخبط داخلها القيم بين الحداثة والأصالة.

وفي دراسة الفضاء المديني وعلاقته بالسلوك الإجرامي تم تفصيل هذه الدراسة كما يلي:

في الفصل الأول تم التركيز على الجانب المنهجي للدراسة من خلال طرح الإشكالية والتساؤلات الفرعية والفرضيات والمنهج المتبع ثم الدراسات الاستطلاعية ثم الدراسات السابقة التي تم الاعتماد عليها.

وفي الفصل الثاني تم التطرق للخصائص السوسيوثقافية للفضاء المديني وعلاقتها بالسلوك الإجرامي كجانب مادي للفضاء يعكس ظروف وعوامل خارجية أثرت على السلوك الإنساني وأوصلته إلى مرحلة ارتكاب الجريمة.

أما في الفصل الثالث فقد خصص للتركيز على الدلالات الرمزية للثقافة في شقها اللامادي، حيث تعتبر العامل المسؤول عن تصورات وتمثلات المجتمع للجريمة، والتي تعتبر كدافع لسلوك الفرد نحو الجريمة أو الابتعاد عنها، كون الثقافة اللامادية تتكون من قيم

وعادات وتقاليد تتحكم في سلوك هذا الاخير داخل الفضاء المديني.

ولأن هذا الفضاء بشقيه المادي والرمزي في تغير مستمر فقد تم بناء الفصل الرابع على التغير في الفضاء المديني، من خلال التطور والتقدم الحاصل داخل المجتمع والناتج عن تداخل عدة تيارات عصرية ساهمت في صقل سلوك الإنسان وتوجيهه نحو الجريمة.

ولأنه لا يمكن دراسة الجريمة داخل الفضاء المديني دون دراسة المجرم فقد تم تخصيص مساحة له ضمن البحث، وذلك من خلال الدراسة الميدانية، والتي استندت إلى منهج تحليل الخطاب، حيث تم إجراء عديد المحادثات التي تمت من خلال المقابلات مع المبحوثين، من فئة مرتكبي الجرائم (المجرمين)، ثم تحليلها وفقا لهذا المنهج (تحليل خطاب)، حيث لم تعد الأنثروبولوجيا اليوم تدرس المجتمعات التقليدية، بل غدت تدرس الإنسان أو بمعنى أدقّ تبحث في ثقافة الإنسان، في أيّ سياق كان، فمِن مفعولات القطيعة التي أحدثتها الأنثروبولوجيا مع ذاتها، أنّها أعادت تعريف نفسها، من خلال تجسيد ما تعنيه الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)وبما أنّ إنسان اليوم هو إنسان المعاصرة، فإنهّا لا تعمل إلاّ على رصد هذه المعاصرة محلياً وكونياً: رهان الأنثروبولوجيا المعاصرة. هكذا، بعدما كان الأنثروبولوجيّ يدرس ساكنة بعينها، صار اليوم يدرس موضوعات، يبني موضوعاته باستمرار. تلك الموضوعات التي تأخذ مِن المدينة مجالاً أو بالأحرى حقلاً أنثروبولوجياً لها. بوصفها أفقاً أنثروبولوجياً، لرصد تجليات المعاصرة تلك، حيث يتداخل ويتقاطع فيها ما هو محلي وخصوصي بما هو عالمي وكوني.

الفصل الأول

الإشكالية والمعالجة المنهجية والتموقع المفاهمي

أولا: الإشكالية

ثانيا: المعالجة المنهجية

ثالثا:أسباب ومبررات اختيار الموضوع

رابعا: أهمية الدراسة

خامسا: أهداف الدراسة

سادسا: تحديد المفاهيم

سابعا: المعالجة المنهجية

ثامنا: الدراسة الاستطلاعية

تاسعا: الدراسات السابقة

أولا: الإشكالية:

تمثل المدينة نموذجا للحياة الاجتماعية والإنسانية، حيث ارتبط وجودها بوجود المجتمع الإنساني، واختلف نمطها باختلاف المراحل التاريخية التي قطعتها الإنسانية والدور الذي لعبته المدينة في ازدهار الحضارة الإنسانية، ومن خلالها تم إرساء قواعد ثقافية تعكس العلاقة بين البيئة والعمران البشري، ويشهد تاريخ المدينة ذلك السجل الحافل بمحاولات الإنسان من أجل السيطرة على العوامل المحيطة به، من خلال إرساء قواعد تنظيمية تتمايز فيها النظم والأنساق الثقافية والاجتماعية مشكلة في مجملها فضاءا مدينيا متميزا، يتسم بخصوصية مجتمعية وبيئية محددة يفرضها الانتماء الثقافي والجغرافي، والعلاقات الجماعية العضوية والرابطة العشائرية التي تحد من الاستقلالية والفردانية لدى الأفراد.

" إن المدينة جماعة مجتمع إنساني، موسع يتغذى باستمرار بإضافات جديدة (universalis, 1998, p. 108)، فهي فسيفساء من المجتمعات المحلية والمجموعات المحلية والمجموعات المتباينة في ثقافتها وتاريخها ومصالحها الخاصة" (universalis، 1998)، لكنها تتقاسم نفس الفضاء الذي يرتكز على جملة من "القواعد والمبادئ والطقوس مما يجعلها (المدينة) نسقا من الأفراد والمؤسسات.

إن نسق الأفراد الذين يشكلون المجموعات المتباينة مختلفون ولكنهم في أن معا متكاملون يتوزعون في فضاء المدينة وفق اليات تصفية وتجمع معقد لهذا تنقسم المدينة إلى أحياء ومناطق مصنفة اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا، مما يجعلنا نقرأ البنية الحضرية من خلال البنية الفضائية "(نفس المرجع نفس الصفحة). فالبنية الفضائية تدلنا على ظاهرتي التفرقة والإقصاء بعائز من الخوف على الهوية أو الحفاظ على التماسك مع فئات اجتماعية أو مجموعات عرقية غير مرغوب فيها.

ورغم التعايش الظاهر بين مختلف المجموعات فإن التجانس غير وارد بينهم، فالمدينة تحفظ الثقافات والأوساط الاجتماعية لأنها تحفظ أولا وقبل كل شيء المسافة التي تفصلها. اضافة إلى الانتماء الإجتماعي الذي يحافظ على الهوية الاجتماعية التي يندمج أفرادها قيمها ويتماهون فيها ويحمونها من خلال اعادة انتاجها عبر جملة من الطقوس ذات الصلة بالعرق أو العرش أو المعتقد أو الدين، الطبقة.... الخ.

فالأفراد ينتجون حياتهم وتاريخهم ووعيهم بعالمهم عبر وداخل فضائهم الذي هو في فكرهم مادّة، ولكنّه أيضا أداة للتفكير مثلما للفعل ووسيلة للإنتاج والمراقبة وبالتالي الهيمنة والنفوذ. هذا الفضاء هو مندمج وملك لجماعة معيّنة تبعا لمتطلباتها وأيضا " أخلاقيتها وأيديولوجيتها " ((Henri), 1971)

وفي نفس المنحى يؤكد لنا لوفافر أنّ الممارسة الفضائية لمجتمع ما تفرز فضائه. فهي "تطرحه وتقترحه في تفاعل جدليّ: تنتجه ببطيء وثبات في الوقت الذي تسيطر عليه وتتملّكه" ((Henri), 1971, p. 21)[ويتطلّب فهم الممارسة الفضائيّة لمجتمع ما فكّ رموز فضائه / فضاء التمثّل أي المعاش عبر الصور والرموز. هذا الفضاء لديه "يقنّع الفضاء الماديّ باستعمال أشيائه رمزيّا " ((Henri), 1971, p. 22)، إذا أنّ الفضاء واحد لكنّ المتعدّد (التمثّل) وهو التصوّر الفردي أو الجماعي لنفس الفضاء الذي يتحرّك ضمنه ليس ماديا فحسب ماديّا ,ولكن بالأساس رمزيّاّ .وهو ما فتح الباب اليوم أمام الأنثروبولوجيا بعدم اكتفاءها بدراسة الحياة الحضرية في شموليّتها، بل غدت تدرس الحياة المدينيّة لأفرادها في تفاصيلها اليومية المعاشة في سلوكيات الأفراد ممارساتهم طقوسهم فيتعلّق الأمر بالمدينة المعيش، la vécue ville هذه هي مدينة الأنثروبولوجي ين اليوم؛ مدينة في طور تأليف وبناء دائم؛ في طور حركة وسيرورة مستمرة.ما جعل المنحى الإبستمولوجي للأنثروبولوجيا الجضرية يتغير إلى أنثروبولوجيا المدينة، وإلى أنثروبولوجيا الذّوات في المدينة.

إن الأفراد يشغلون الفضاء المديني جسدا وذهنا عبر ذاكرة جماعية تشكل وصال بين الفاعل والفضاء ذاته أو الفضاءات المرجع. فالنّاس لا ينقطعون عن ماضيهم أي ذاكرتهم عند التحوّل من فضاء إلى آخر مغاير ضمن المدينة أو من فضاء ريفيّ أو تخوميّ إلى مدينيّ أي من تمثّل وتصوّر للفضاء ونمط عيش إلى آخر ومن يومي إلى آخر. فالفرد مثلما الجماعة يتحوّل ويتحوّل معه كل موروثه الثقافي وكلّ ثقافته المعيشيّة وكلّ تصوّراته وأساطيره ومخياله وتمثّلاته وتطلعاته التي تلتصق بالفضاء المشغول وتشكّله. يعني ذلك أنّ كلّ هذا المخزون الذي يشكّل ويكوّن الذاكرة ويتجسّد رمزيّا، يصبغ الفضاء الذي يشغله الفاعلين.

فالفضاء هو علاقة أو نتاج علاقة تواصليّة وعلاقة استعمال يتخلّلها كلّ المخزون الثقافي والرمزي أي الذاكرة. وتحدّد هذه العلاقة وظيفيّة هذا الفضاء في التصوّر والممارسة اليومية للفاعلين. فالفضاء المعاش هو نتاج العلاقة بين الفضاء المدرك والفضاء المتصوّر ((Henri)، 1971، صفحة 71) لا تختزن ذاكرة جماعة، الظواهر فحسب بل كيفيات عيش وتفكير فالذاكرة، بما هي إعادة تركيب وبناء للماضي المعاش، تستعين في تحقيق ذلك بمعطيات مستمدة من الحاضر، من هنا يصبح الفضاء المديني، بعبارة جودي، متحفا لآثار ذاكرة الاجتماعي وشاهدة على الذي كان والذي يتواصل في الحاضر المديني حيّا. لكن في ارتباط فقط باستمرارية تواجد الجماعة على الفضاء/المتحف. لذلك يعتبر هالبوشز أنّ "ديمومة أي ذاكرة محدّدة بديمومة الجماعة "، والذاكرة الجماعية في تصوره تفكير متواصل وديمومة تنتفي عنها صفة التصنّع أو الافتعال، بما أنّها " لا تحتفظ من ماض إلاّ بما هو حيّ أو قادر على

الحياة داخل وعي الجماعة التي تحفظه (Halbwachs، 1952)

إن السلوك الإنساني في الفضاء المديني إذا هو محصلة أو ترجمة لكل ما سبق: تمثلات، ذاكرة جماعية، خلفيات اجتماعية وثقافية، مورفولوجية المدينة. الخ.

وهنا تطرح، عدّة إشكاليات تعترض مسألة التنمية الحضرية واستقرار المدينة لعلّ أهمّها إشكالية اندماج الأفراد أو الساكنين مع فضاءهم المديني، إن مظاهر الرفض والمقاومة أو أي سلوك انحرافي ضمن المعاش البومي داخل الفضاء المديني سواء

كان من أفراد أو جماعات له دلالات ومعاني تكشف عن موقع هؤلاء ومدى مشاركتهم أو انخراطهم أو إقصائهم وتهميشهم من الفضاء المديني وبالتالي الاجتماعي.

حيث تسعى حركات المقاومة في أشكالها المتعدّدة وكذلك استراتيجياتها إلى محورة الفضاء ومحاولة السيطرة عليه بشكل يخدم تمثلاتها ويستجيب لمصالحها. من منطلق أن الفضاء المديني يعاش عبر كلّ الموروث القيمي والمعاييري المتّصل بالفضاء المرجعي لشاغلي الفضاء المديني، الذي لا يستجيب دائما لوظيفيّته التخطيطيّة ولا يفرز التغيّر المبرمج عبره.." فالفضاء المديني هو حقل تفاعلات بين الشكلي واللا شكلي: بين الموجّه والعفوي بين الضبط الاجتماعي والمقاومة أو الرفض أي بين استراتيجيات فعل متعدّدة ومختلفة"

(**اليحياوي**، المفاهيم الأساسية لمقاربة الفضاء المديني والتغير الاجتماعي، 2014)، معنى ذلك أنناّ لا يمكن مقاربة الفضاء المديني في علاقته بالسلوك الإنحرافي إلا في حضور الفاعلين المدينيين أو الذوات المدينية وخلفياتهم الثقافية وكيفية توزعهم على الفضاء المديني وسيطرتهم عليه ووفق أي منطق (Michel، 2015).

لقد عرفت المدن الجزائرية تطور متسارع في الآونة الأخيرة مما نتج عنه انتشار وتفاقم العديد من المشكلات الاجتماعية والثقافية والأيكولوجية على حد سواء، لتمهد بتزايدها وتراكمها لظهور ملامح أزمة حضرية متصاعدة، تساهم فيها عناصر ومكونات التنظيم الاجتماعي، كون المدينة الجزائرية ذات طابع مورفولوجي وثقافي خضع لتغيرات عدة بحكم التطورات الحاصلة في جميع الميادين بما في ذلك البناء الاجتماعي ومختلف وظائف عناصره، مما أنتج سلوكا إنسانيا وحضاريا يتمايز بين السوي والإجرامي.

وتعتبر مدينة تبسة صورة مصغرة للمجتمع الجزائري بحكم الانتماء الجغرافي والتاريخي، وهي نموذج للمدينة المستحدثة والتقليدية والتي توالت عليها الحضارات الرومانية منها والوندالية والبيزنطية ثم الإسلامية والتركية، وطبعا كباقي المدن الجزائرية فقد خضعت للاحتلال الفرنسي خلال القرن الماضي وتعرضت للكثير من المشكلات والأزمات بعد ذلك، ما مس فضاءها المديني في مختلف تنظيماته وأنساقه، وأثر بصورة كبيرة على سلوك المجتمع التبسي.

ولأن الجريمة كسلوك إنساني منافي للقواعد داخل المجتمع، فقد أثار ذلك تساؤلات عدة حول العلاقة بين الفضاء المديني وأنماط السلوك، وهذا يجعلنا نطرح تساؤلا أساسيا كالتالي:

- ✓ ماهي علاقة الفضاء المديني (المادي واللامادي) بالسلوك الإجرامي؟

وتنبثق عن هذا التساؤل تساؤلا فرعية، كالتالي:

- ✓ ما هي الخصائص السوسيوثقافية لسكان أحياء المدينة؟
- ✓ ماهي أنماط الجرائم الخاصة بكل حي؟
- ✓ كيف تساهم الخصائص السوسيوثقافية للفضاء في إنتاج السلوك الإجرامي؟

ثانيا: المعالجة المنهجية

1. المنهج وأدوات البحث:

من المسلم به أن نجاح أي عمل يتوقف بدرجة ما على التقنيات المستخدمة وكذلك المنهجية المتبعة في جمع المعلومات المتعلقة بالدراسة، وتعتمد هذه التقنيات بالأساس على المنهج الملائم والأدوات العلمية المستخدمة في ذلك، وفي هذا الإطار تتم الاستعانة بمجموعة من الإجراءات في العلوم الاجتماعية للتوصل إلى إجابات موضوعية عن التساؤلات التي ينطلق منها الباحث منذ بداية الدراسة.

ومن الطبيعي أن يستخدم علماء الأنثروبولوجيا مناهج بحث متعددة وأساليب متنوعة لجمع المعلومات، فمنها ما يشترك فيها الأنثروبولوجي مع غيره من الباحثين في مجال الدراسات الإنسانية كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد، ومنها ما هو خاص ينفرد به علم الأنثروبولوجيا، لذلك ضمن هذه الدراسة تم استخدام المناهج والطرق التالية:

1. المنهج الوصفي

من أبرز المناهج المعتمدة في الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية المنهج الوصفي التحليلي، حيث يعتبر من أنسب المناهج، وأقدرها على تمكين الباحث من جمع البيانات الميدانية وتحليلها، وقد تم استخدامه ضمن هذه الدراسة من خلال إجراء مقابلات مقننة، بهدف الحصول على معلومات ومعطيات أكبر من المبحوثين الذين يمثلون فئة محددة داخل المجتمع (المجرمون).

حيث تضمنت الدراسة الوصفية مجموعة من الأسئلة، الغاية من صياغتها الاستفسار عن معلومات تتعلق بالخصائص التي يكتسبها الفرد المجرم من خلال عضويته في الجماعة الاجتماعية أو الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالجريمة أو السلوك الإجرامي، إضافة إلى وصف ظاهرة الجريمة داخل الفضاء المديني محل الدراسة، والوصول إلى نتائج ضمن صيغة إحصائية، ساعدت على بلورة صورة دقيقة لموضوع الدراسة.

تقنيات الدراسة:

تتمثل التقنيات المعتمدة ضمن هذه الدراسة في كل من تقنية تحليل الخطاب وكذلك الملاحظة والملاحظة بالمشاركة والمقابلة، بحيث:

2.3. الملاحظة

وهي أداة مباشرة للوصول إلى المعلومات الدقيقة حول الظاهرة المدروسة، بحيث تهتم بدراسة المجتمعات البدائية من حيث عناصرها العرقية أو السلالية وأصولها الثقافية، ودياناتها وطقوسها وقيمها وتقاليدها، وقد تم الاعتماد عليها في مواضع كثيرة ضمن هذه الدراسة، حيث ساعدت على فهم العلاقة بين طبيعة المجتمع المرتبطة بالعناصر المذكورة أعلاه وطبيعة الجرائم المرتكبة من قبل الأفراد المنتمين إليه وكذلك مدى خطورتها ونسبة تفشيها داخله، كما أنها سهلت مهمة التقدم في إنجاز البحث من خلال كونها أداة فعالة لوضع فرضيات مسبقة، ثم دراستها نظريا وميدانيا بهدف إثبات صحتها أو دحضها بشكل نهائي.

3.3. الملاحظة بالمشاركة

لقد تم تفعيل تقنية الملاحظة بالمشاركة ضمن هذه الدراسة، انطلاقا من كوني باحثة عضو ضمن مجتمع تبسة بجميع فئاته ومدينة تبسة بالتحديد، حيث أن العيش بين أعضائه جعل فهم قيمه وثقافته ومشكلاته وتطلعاته أسهل بكثير، وبالتالي فقد كان من الطبيعي مشاركتي للأنشطة الاجتماعية التي يمارسها أعضاء هذا المجتمع الذي هو قيد البحث، ومن خلال تلك المشاركة تمت دراسة ثقافته، دون أن يتسبب ذلك في استهجاني كباحث من قبلهم ولم يتم مقاومتي أو رفضي، فلم تكن هناك حاجة إلى بذل جهد في سبيل كسب ثقتهم.

بحيث يفترض أن يذهب الباحث الأنثروبولوجي إلى المجتمع الذي يدرسه ليعيش فيه فترة من الزمن لاكتساب ثقة أفراده وجمع المعلومات اللازمة، ولا يبدأ الباحث الزيارة بتوجيه الأسئلة وإنما يتعلم أسلوب الحياة الجديدة، فعليه أن يتكلم لغتهم ويستخدم في تفكيره نفس التصورات أو المفاهيم السائدة ويشعر بالقيم التي يعتنقونها ويعمل معهم يشاركهم طعامهم واحتفالاتهم وارتداء ملابسهم، وفي بعض الأحيان يدخل كعضو في جمعياتهم إذا سمحت النظم الاجتماعية بذلك، وعليه طوال تلك الفترة يكتب تقارير يومية عن كل صغيرة وكبيرة، وعندما تتضح له فكرة عامة عن أسلوب المعيشة في المجتمع يبدأ في التحليل والكشف عن عناصر الثقافة والترتيب البنائي للمجتمع.

4.3. المقابلة

تعتبر المقابلـة من الأدوات والوسائل الرئيسية المهمة التي يعتمد عليها الباحث الاجتماعي لجمع البيانات اللازمة، والمقابلة في جوهرها هي عبارة عن تفاعل لفظي يتم غالبا عن طريق موقف مواجهـة يستثير من خلالـه الشـخص القائم بالمقابلـة أراء ومعتقـدات شـخص أو مجموعـة أشخاص، وذلـك بهـدف الحصول على بعض المعطيات الموضوعية، وقد تم اعتماد تقنية المقابلة الموجهة، بحيث تم اختيار الفئة المستهدفة والتي سوف يتم معها إجراء مقابلة والمتمثلة في عدد من مرتكبي جرائم متنوعة، كما تم تحضير الأسئلة التي سوف تطرح على كل واحد منهم مسبقا، حيث أنه خلال التحضير للمقابلة تمت مراعاة مدى خطورة الجريمة وسن مرتكبها وجنسه، ونوع الجريمة، ومعايير أخرى، ليتسنى الحصول على أفضل النتائج، وتجنب أي مخاطر من شأنها أن تنجم عن مثل هذه المقابلات.

وقد اشتملت المقابلات التي أجريتها الحديث العادي وتوجيه أسئلة ذات نهايات مفتوحة تتيح للفرد أن يبدي رأيه في الموضوع المطروح، وخلال المقابلة تم التركيز على عنصري الاستماع والملاحظة الجيدة حسب ما يتطلبه إجراء المقابلات، حيث حاولت الاستماع إلى كل كلمة تقال، مع ملاحظة الإيماءات، وحركات الأيدي، وباقي أعضاء الجسم خلال الحديث.

ثالثا: أسباب ومبررات اختيار الموضوع:

يتشكل أي موضوع في ذهن الباحث من خلال جملة من الأسباب تقوده إلى اختيار موضوع للدراسة، فعملية تحديد أو اختيار موضوع الدراسة عملية غير خاضعة لعامل الصدفة أو العفوية، بل هي عملية قائمة على جملة من الأسباب والعوامل تقسم إلى عوامل ذاتية وأخرى موضوعية.

وقد وقع الاختيار على هذا الموضوع، لأن السلوك الإجرامي داخل المدن أصبح ظاهرة تهدد المجتمع بجميع فئاته وتمنع من تطوره، كما أن المدينة قد خضعت في السنوات الأخيرة لتغيرات مست جميع مجالات الحياة، خاصة الثقافية والاجتماعية، وكذلك تغيرت بنيتها المورفولوجية مما أدى إلى اتساع أسباب الجريمة وتنامي السلوك المنحرف لدى الأفراد.

ولأن السلوك الإجرامي ظاهرة اجتماعية مرتبطة بعوامل اجتماعية واقتصادية ونفسية، فهو أيضا سلوك إنساني ناتج عن مجموعة من العوامل الثقافية المرتبطة بقيم وعادات وتقاليد المجتمع

المديني، لذلك وجب دراسته في إطار أنثروبولوجي يسمح بدراسة السلوك الإنساني ضمن دائرة ثقافته.

رابعا: أهمية الدراسة

إن لكل دراسة أكاديمية أهميتها التي تدفع الباحث للخوض في أغوارها، ومحاولة التوصل إلى نتائج تجيب على تساؤلاته، ويكون طريقه في ذلك استعمال الأدوات المختلفة للبحث العلمي ومناهجه مع استخدامها بطريقة علمية موضوعية، حيث يفتح الطريق أمام الباحث للتعرف على طبيعة الحقائق والعلاقات الاجتماعية والنظم الاجتماعية، والاستفادة منه في وضع خطة للإصلاح على أساس سليم وفق ما يرتضيه التطور الطبيعي للمجتمع.

تكمن أهمية بحثنا هذا في محاولة إعطاء مقاربة جديدة لموضوع شائك يطرح نفسه باستمرار

ومحاولة تفكيكه وإعادة بناءه أنثروبولوجيا، لأنّه لا يمكننا اليوم، في ضوء ما تشهده المدن والمجتمعات من تغيرات متسارعة وتشعّبات وتعقيدات، أنْ نستغني عن الأنثروبولوجيا، نظراً لمكانتها المركزيّة في العلوم الاجتماعية من جهة أولى، ولمِاَ يمْكن أن تقدِّمه من فهم وتأويل يمكن أنْ يساهم في توسيع مجال تفكيرنا حول الجريمة والانحراف والفضاء المديني الذي كان لبرهة من الزمن تحت سيطرة العلوم الإجتماعية الأخرى

خامسا: أهداف الدراسة

إن لكل دراسة هدف أو غرض يجعلها ذات قيمة علمية، والهدف من الدراسة يفهم عادةً على أنه السبب الذي من أجله قام الباحث بإعداد هذه الدراسة، والبحث العلمي هو الذي يسعى إلى تحقيق أهداف عامة يمكن حصرها كالتالي.

محاولة اثراء الحقل الانثروبولوجي بشكل عام وانثروبولوجيا الجريمة بشكل خاص هذا الأخير الذي لم تتضح بعد ملامحه وذلك من خلال تسليط الضوء على بعض الوحدات التحليلية

- معرفة العلاقة بين الفضاء المديني والسلوك الإجرامي من خلال تحديد أنواع الجرائم وأسبابها وربطها بالأبعاد الاجتماعية والثقافية والمورفولوجية لمدينة تبسة.
- التركيز على الثقافة الشعبية كتراث رمزي يساهم في توجيه سلوك الفرد.

- دراسة البنية البشرية لمدينة تبسة بمكوناتها القبلية أو ما يعبر عنه بالعروش، والذي لازم المجتمع الريفي وانتقل معه إلى المدينة.

سادسا: تحديد المفاهيم:

هي بمثابة حلقة وصل بين النظرية والبحث، كما أن لكل منها محددات نظرية تحيط به وأبعاد ومتغيرات إجرائية تخصه. لذلك فإن عملية تحديد المفاهيم تكتسي أهمية بالغة في أي بحث اجتماعي، لها شروط خاصة وأن الاستغناء عنها يعتبر تقصيرا منهجيا يجب تفاديه

تعتبر المفاهيم بمثابة حلقة وصل بين النظرية والبحث، كما أن لكل منها محددات نظرية تحيط بها وأبعاد ومتغيرات إجرائية خاصة، لذلك فإن عملية تحديد المفاهيم تكتسي أهمية بالغة في أي بحث، كون الإستغناء عنها يعتبر تقصيرا منهجيا يجب تفاديه وفي هذه الدراسة مجموعة المفاهيم الأساسية للبحث، من الواجب التركيز عليها وشرحها، وتوضيح أبعادها، تتمثل فيما يلي: الفضاء، المدينة، المدينة كفضاء، الفضاء الثقافي، الجريمة، السلوك الإجرامي، السلوك الانحرافي، العرش، العروشية والقبلية.

المفاهيم المركزية:

1. الفضاء

الفضاء كلمة تحمل معاني عديدة ومرادفات كثيرة تعطيها وظيفة واستعمالا حسب السياق، فقد تستعمل لتعبر عن الفضاء الخارجي، أي الوسط الخارجي وما يحيط بالمادة، ويقصد به كذلك المكان أو الحيز، ويقابل مصطلح الفضاء باللغة الفرنسية Espace أو Endroit أو place، كما يمكن أن يعطي معنى البعد La distance ويقصد به الفضاء في حد ذاته في معناه الواسع أي فضاء العالم الخارجي، أو الكون الذي نعيش فيه، والفضاء يشمل كل ما يحيط بالإنسان، بداية من باطن الأرض إلى اللامتناهيات الكونية، كالكواكب والمجرات (فريدة، 2018، صفحة 2).

يعرفه Louis Quéré على أنه: " **فضاء رمزي أين يسمح للأفراد بالتموقع والتموضع داخل المجتمع واتجاهاته، فالمفهوم يحمل فكرتين: الأولى أنه مجال عمومي للتعبير الحر، ننظر إليه كفضاء الاتصال، والثانية أن الأفراد بداخله يبرزون آراءهم خلال النقاش العلني، بحيث يلجؤون**

إلى استعمال دلالات عقلانية في محاولة إيجاد حلول مناسبة للمسائل العامة" (Quéré, 1990, p. 101).

وبالتالي فالفضاء كما يقول Marcillo يرتبط بالهوية والذاكرة الجماعية للأفراد، فهو بمثابة العالم المنظم بالنسبة للمجموعة التي ترتاده، بمعنى أن هوية الأفراد وذاكرتهم تتأسس عبر الزمن وفق معالم هذا الفضاء (Marcillo, 1999, p. 146)

أما بورديو Bourdieu فيرى أن:" **الفضاء مزود بقوة تنظم ممارسات وتمثلات الأعوان الاجتماعيين**" (Bourdieu, 1980, p. 25)

في حين أن مدرسة شيكاغو وعلى لسان Richard Semret ترى أن: "**الفضاء هو ذلك المكان أين نجد الإشارات والرموز تحت تصرف الأفراد الذين يقومون بترجمتها وتأويلها من أجل بناء علاقات تبادلية بينهم، أي أن الفضاء هو العلاقات المبنية بين الأفراد داخل المجتمع في إطار التفاعل الاجتماعي، حيث تعتبر علاقة الإنسان هي علاقة دينية اجتماعية ونفسية واقتصادية وأدبية وعلمية وسياسية وثقافية** (اللطيف، 2003، صفحة 12).

صرح بيرتراند Bertrand أن الفضاء هو الشكل الأول للتفكير الإنساني والذي يعبر عن امتداد غير منته يحتوي ويحيط بكل شيء، كما يمكن إدراكه من خلال آلية تنظيم العلاقات القائمة بين مختلف العناصر الفيزيائية والتي تشمل الأشجار، المناخ، الأرض، المباني...، بينما أشار إليه الجغرافيون بأنه القاعدة البيولوجية للأفواج الإنسانية والتي تشكل مسرحا لمختلف نشاطاته، أما بالنسبة للعمرانيين فالفضاء يشمل التفاعلات والتداخلات المنظمة للإنسان من أجل الوصول إلى انسجام بين الأشخاص، بحيث يتم توفير التجهيزات المادية لضمان تطور المدينة بشكل فعال (اللطيف، 2003، صفحة 12)

كما حلل ابن خلدون المجتمع الإسلامي في مرحلة النزاعات الفكرية والدينية والسياسية في القرن 8هـ-14م، من خلال الفضاءات المادية والمعنوية وكذلك السياسية، الدينية، الثقافية، الفكرية، العمرانية بهدف الوصول إلى فهم دقيق لحركية المجتمع (خلدون، 1992).

والخلاصة أن الفضاء هو انصهار الأبعاد المادية والرمزية المفتوحة أمام الأفراد لتشكل البناء والثقافة والعلاقات، فيتخذون داخله سلوكيات معينة حسب طبيعة الفضاء، يتفاعلون

ويتبادلون المواقف والاتجاهات، فالمدرسة فضاء والمنزل فضاء والجامعة فضاء والسوق فضاء والمدينة فضاء، وهو أشمل من المكان حيث يتجاوز ذلك ليحوي حتى الزمان.

2. المدينة

عندما نحاول إعطاء تعريف للمدينة، فإننا نواجه صعوبة في ذلك، فهي لا تخص مصطلح المدينة بعناه المادي وحده، لأن الكثير من الباحثين وخاصة علماء الاجتماع يدركون ماذا نعني بكلمة المدينة، ويعتبرونها بذلك ظاهرة معقدة تولدت عن تفاعل عدد من العوامل المتشابكة.

عرف **روبيرت بارك** المدينة على أنها: "**منطقة طبيعية لإقامة الإنسان المتحضر، لها أنماط ثقافية خاصة بها، حيث تشكل بناء متكاملا يخضع لقوانين طبيعية واجتماعية على درجة عالية من التنظيم لا يمكن تجنبها**" (أمطوش، 2001، صفحة 68)، إذن ومن خلال تحليله النظري للمدينة أظهر أن هناك مستويين للتنظيم الاجتماعي، مستوى حيوي وآخر ثقافي، حيث يمثل المستوى الأول البناء التحتي للتنظيم، تكون المنافسة فيه هي العملية الأساسية والموجهة، وبالتالي يكون البقاء هو القانون المسيطر، بينما يمثل المستوى الثقافي بناءً فوقيا، يكون فيه التماثل والاتصال والاتساق أهم العمليات المنظمة، ويشكل النظام الأخلاقي والتقاليد القانون المسيطر، وبالتالي يفرض البناء الفوقي ذاته على البناء التحتي .

وقد عرف **ماكس فيبر** المدينة على أنها ذلك الشكل الاجتماعي الذي يؤدي إلى ظهور أنماط متعددة وملموسة في أساليب وطرق الحياة، مما يسمح بظهور أعلى درجات الفردية الاجتماعية، وهي بذلك وسيلة للتغير الاجتماعي التاريخي (أمطوش، 2001، صفحة 68)، ومنه فقد عرف **فيبر** المدينة في ضوء الأشكال الاجتماعية التي تسمح بالتجديد الاجتماعي وتطور القدرات الفردية، ومنه فإن تطور الروابط والصلات الاجتماعية بين سكان المدينة يعتبر شرطا أساسيا في وجود المجتمع الحضري، ومنه فإن المدن التي تكون فيها المجتمعات والثقافات مختلفة، تنتظم الحياة فيها بطرق متباينة ويعتبر ذلك نتيجة حتمية لتباين السلوك الاجتماعي فيها.

أما **لويس ويرث** فعرف المدينة بأنها المركز الذي تنتشر فيه تأثيرات الحياة الحضرية إلى أقصى جهات من الأرض، ومنها أيضا يتخذ القانون الذي يطبق على جميع الناس، وقدم **ويرث**

تعريفا آخر مفاده أن المدينة عبارة عن موقع دائم للإقامة يتميز بكبر الحجم وارتفاع الكثافة السكانية، يسكنه أفراد غير متجانسين اجتماعيا (السيد، علم الإجتماع الحضري، 2017، صفحة 76).

ركز هذا التعريف على ثلاث متغيرات وهي: **الحجم، الكثافة واللاتجانس** وهي في حد ذاتها من خصائص المجتمع الحضري، فحسب رأي ويرث إن نمو حجم المدينة وتوسعها وتنوعها يؤدي إلى إضعاف العلاقات الاجتماعية بين سكانها، فيترتب عن ذلك ظهور جماعات وثقافات متعددة ومختلفة ومتباعدة، وبالتالي يقل احتمال معرفة الفرد لسكان المدينة معرفة شخصية، فتصبح العلاقات بذلك بين السكان سطحية ومؤقتة (السيد، علم الإجتماع الحضري، 2017، صفحة 76).

اقترح بارك ضمن مقال له نشر سنة 1925م تعريف مفاده أن المدينة هي شيء أكثر من تجمع أفراد وتجهيزات جماعية، المدينة هي حالة ذهنية ومجموعة عادات وتقاليد وتصرفات وأحاسيس منظمة ومرتبطة بهذه العادات وتنقل مع تقاليدها، المدينة ليست فحسب آلية مادية وبناءً مصنعا، فهي معنية بالعمليات الحيوية لساكنيها، كما تعتبر كذلك نتاج الطبيعة البشرية (أمطوش، 2001، صفحة 68).

ومما سبق يمكن أن نعرف المدينة: **بأنها عبارة كيان أيكولوجي وسوسيوثقافي وأخلاقي مبني على التواصل الذي يسمح بتقريب وجهات النظر ويشكل الكيان كمجموعة كبيرة وغير متجانسة تعيش على قطعة أرض محدودة نسبيا وتنتشر منها تأثيرات الحياة الحضرية المدنية، ويعمل أهلها في الصناعة أو التجارة أو كليهما معا، كما تمتاز بالتخصص وتعدد الوظائف السياسية والاجتماعية.**

3. المدينة كفضاء

إذا أسقطنا مفهوم الفضاء وربطناه بالمدينة كمجموعة من الأفراد يعيشون في حيز مكاني وزماني لهم هوية وذاكرة مشتركة تأسست وترسخت في ذهنيه الإنسان المديني من خلال الكثير من الممارسات والسلوكيات والأحداث والتفاعلات والعلاقات، فيصبح الفضاء هو الإطار الذي تبنى ضمنه: العادات، طرق التفكير، السلوكيات، العلاقات، وذلك من خلال التفاعل المستمر مع مكوناته، بحيث يتجسد الترابط الوثيق بين الفضاء والمدينة والإنسان المديني.

ومن هذا المنطلق يرى روبرت بارك Robert Park في ذات المقال الذي أشرنا إليه سابقا أن المدينة ليست تجمعات من الناس فقط، مع وجود الشوارع والمباني والكهرباء ووسائل النقل، كما أنها ليست فقط مجموعة من النظم والإدارات مثل المحاكم والمستشفيات والمدارس والشرطة والخدمات، إن المدينة فوق هذا كله، فهي اتجاه عقلي ومجموعة من العادات والتقاليد والعواطف المتأصلة في ذهنيات الإنسان المدني (فريدة، 2018، صفحة 8).

ومن منطلق هذا التعريف يتبين لنا أن المدينة ليست جانبا ماديا إضافة إلى مجموعة من المؤسسات والخدمات، وإنما هي كيان ثقافي تتداخل فيه المكونات الثقافية من عادات وقيم وتقاليد ودين مع المكونات المادية للمدينة، وبذلك تشكل الفضاء المادي واللامادي ذو البعد المكاني والزماني الذي يختص بإقامة الإنسان المتمدن.

والخلاصة أن المدينة هي فضاء مادي وفضاء ثقافي موسوم بنوعيته الثقافية الخاصة تعيش فيه مجموعات حضرية تتميز بخصوصياتها.

4. الجريمة

وجدت الجريمة منذ وجود الإنسان ومازالت تلازمه، والجريمة نوع من الخروج عن قواعد السلوك التي يحددها المجتمع، كونه يستند إلى مبادئ وقيم لابد من إتباعها لغرض تحقيق الانضباط، والخروج عن هذه المبادئ والمعايير يعتبر جريمة، والجريمة هي أي فعل يحدث أذى أو ضرر للغير، وهي سلوك يسبب خروجا عن قوانين المجتمع وخرقا لتقاليده، حيث يقابل المجتمع هذا السلوك بالرفض والعقاب.

وتمثل الجريمة والسلوك الإجرامي ميدانا واسعا في مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية وخاصة علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس والقانون، غير أن العلماء قد اختلفوا في تحديد مفهوم الجريمة، بحيث تنوعت تعريفاتهم وتباينت وذلك حسب الحقل العلمي الذي ينتمون إليه، وما يهمنا هو التعريف السوسيوأنثروبولوجي للجريمة.

يعرف علماء الأنثروبولوجيا الجريمة بأنها انتهاك للسنن والآداب والمعايير الاجتماعية (الربايعة، 1984، صفحة 14). كما تعرف الجريمة أيضا بأنها السلوك المخالف لما ترتضيه

الجماعة، وهي كل فعل ضار بالمصالح الاجتماعية، وفيه انتهاك لحرمة التقاليد والأعراف والعادات وتقتضي الحساب.

ويعرفها ديفيد هربرت ودايفيد سميث بأنها شكل من أشكال السلوك الانحراف بهدف إفساد النظام القائم، كما يعرفها سالن أنها انتهاك للمعايير الاجتماعية (smith, 1979, p. 117)، كذلك عرفها توليو في نظريته حول التكوين الإجرامي الجريمة بأنها سلوك إنساني بيولوجي وتعد مظهر من مظاهر عجز الفرد عن التأقلم مع القواعد الاجتماعية، ويرجع ذلك إلى مجموعة من الأسباب تتداخل فيها العوامل الفردية مع العوامل الاجتماعية، ويرى **جاروفالو**: أن الجريمة الحقيقية هي الانتهاك الضار للشعور الأخلاقي العام لدى المجتمعات على مدى تاريخ الإنسانية (عباس، 2005، صفحة 398).

ولا يوجد مجتمع يخلو من الجريمة سواء كان مجتمعا متقدما في نظمه أو متخلفا، ولكن الاختلاف يكمن في قوامها ومدى انتشارها وفقا لقيم وتقاليد وقوانين جماعة معينة وفي وقت محدد وفي مكان محدد، بل إن المجتمعات الأكثر تقدما وتطورا تنشأ فيها صور جديدة من الإجرام، لا سيما حين يتم التغيير بخطى سريعة قد لا تستطيع الأفكار والتقاليد السائدة مسايرته، فتختل القيم وتضطرب الموازين في المجتمع، مما يسفر عنه صعوبة الاهتداء إلى السبيل القويم فترتكب حينها الجريمة.

5. السلوك الإجرامي

يكاد ينطبق جميع ما سبق إيراده عن الجريمة وتعاريفها على السلوك الإجرامي، وإن كانت الجريمة هي مسمى الفعل، والسلوك الإجرامي هو الممارسة لذلك الفعل، وبناء على ذلك تتم الجريمة عن طريق ارتكاب سلوك أو الامتناع عنه على نحو غير مقبول في المجتمع، بحيث يتم توقيع العقوبة على مرتكبه سواء كان مصدر هذه العقوبة شريعة أو قانون ذلك المجتمع.

6. السلوك الإنحرافي

الانحراف (Déviation): في اللغة هو الميل، وإذا مال الإنسان عن شيء قيل انحرف، ومنحرف، والكثير من علماء الاجتماع لا يميزونَ بين مصطلحي الجريمة والانحراف، أي أنهما مصطلحان مترادفان يشيران إلى معنى واحد، غير أن هناك من يضع فروقا بينهما من خلال درجة الإساءة أو حجم الأضرار التي تلحق بالفرد والمجتمع ومدى تسامح المجتمع مع هذه الأفعال، فالفعل الذي يصدر عن شخص ما قد يوصف بأنه سلوك انحرافي، إذا كان أقل خطرا على الفرد والمجتمع أو القانون ويمكن أن يدخل هذا الفعل الضار اجتماعيا في نطاق حدود التسامح وعندها يوصف بأنهَ سلوك انحرافي، أما الفعل الإجرامي فهو ذلك الفعل الضار اجتماعيا والذي يتجاوز حدود التسامح وحينها يوصف بأنه جريمة (الربايعة، 1984، صفحة 16).

السلوك الإنحرافي عند مصطفى العوضي هو كل خروج عما هو مألوف من السلوك الاجتماعي دون أن يبلغ حد الإخلال بالأمن الاجتماعي بصورة ملحوظة، أما مفهوم الانحراف الاجتماعي بشكل عام ينصرف إلى المعايير والقيم التي يعتنقها أغلبية أعضاء الجماعة، وتختلف وتتباين المعايير والقيم التي تميز الثقافات الفرعية المختلفة عن بعضها البعض (الربايعة، 1984، صفحة 16)، فما تعتبره جماعة ما بأنه سلوك منحرف قد تراه جماعة أخرى بأنه سلوك عادي، فمثلا العلاقات دون رابط شرعي (العلاقات غير الشرعية) فهي محرمة في المجتمعات الإسلامية ومقبولة في المجتمعات الغربية.

ويتجسد السلوك الانحرافي في الفضاء المديني في خصوصية المكونات المادية واللامادية لهذا الأخير، كونه محصلة لمجموعة عوامل ثقافية توارثها الأجيال وتم تكرارها وكذلك اجتماعية وإيكولوجية وبيئية إضافة إلى ما تمخضت عنه تغيرات الحداثة والعولمة داخل الفضاء وساهمت في إنتاج إعادة إنتاج التصورات والممارسات داخل هذا الفضاء العام، لتنتج سلوكا إنحرافيا يميزه.

المفاهيم اللصيقة:

7. الفضاء الثقافي

كلمة الفضاءات الثقافية غالبا ما تطلق على ما يسمى بالفضاءات الحضرية من مسارح ودور سينما وأبرا ودور ثقافة، مثل دور الشباب والرياضة وغيرها من الفضاءات المصنفة كإنجازات حديثة

ومعاصرة عرفتها المدن، والفضاء الثقافي في معناه الحقيقي هو أشمل من كل هذا، فهو فضاء تتحقق فيه وساطة وتواصل ثقافي ، تتبادل من خلاله الأفراد والجماعات التجارب الحياتية والأدبية والجمالية والمواضيع الدينية وحتى الثقافة الشعبية كتداول أشكال التعبير الشعبي (من شعر، قصص، نكت، أمثال شعبية، أساطير، روايات، حكايا، ألغاز) (حورية، 2020، صفحة 187)، والتي تساهم في عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية لدى الأفراد والجماعات.

يعرف **برناد لامتياز** الفضاء الثقافي بأنه: " **على انه الفضاء الذي تتم فيه البنية الرمزية لأشكال الانتماء من خلال البعد اللغوي والرمزي**" (حورية، 2020، صفحة 187)، ولذلك وبالتالي فالفضاء الثقافي يتم فيه إنتاج وإعادة إنتاج الجوانب المادية واللامادية للثقافة، ومن خصائص الفضاءات الثقافية أنها ذات خصوصية مجتمعية بيئية محددة بفعل الانتماء الجغرافي والبيئي، ومن أمثلة الفضاءات الثقافية: المدينة، القرية، مجلس القرية، السوق، المقهى، أماكن تبادل الحكاية والنكت والألغاز.

8. الجريمة وثقافة المجتمع

ترتبط الجريمة في أي مجتمع من المجتمعات بثقافة هذا الأخير، نظرا للأثر الكبير للعوامل المؤدية لارتكابها، ففي المجتمع التقليدي القديم (التقليدي بدل البدائي لأنها كلمة تم الاستغناء عنها في الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة)، أين كانت فكرة **الطوطمية** سائدة (التي تعني أنه كل عشيرة تلتف حول رمز إلهي وغالبا ما يكون هذا الرمز حيوانا أو نباتا والتي تعتقد العشيرة بأنها تنحدر من سلالته)، ويتضمن هذا النظام أداء أفعال معينة وتحريم أفعال وأشياء أخرى، والتي تعرف عندهم (بالتابو)، بحيث يشمل التابو كافة مناحي الحياة، وقد لازم هذه المرحلة أنواع من العقاب الذي يتم بواسطة الأفراد أنفسهم، ويكاد ينحصر في الثأر والانتقام الذي كان يتم بغير قيود، ثم تطور حق العقاب إلى رب الأسرة ثم إلى شيخ القبيلة أو العشيرة (المهيرات، 2001، صفحة 38).

كما صور الرحالة وعلماء الأثنوجرافيا الثقافية طريقة عيش بعض القبائل الإفريقية ومراحل تطورهم، والتي لم ترقى إلى مستوى بعض أنواع الحيوان، وربطوا الجريمة بأسس الحياة والثقافة التقليدية، حيث أن الرجل التقليدي يثور لأتفه الأسباب بكل عنف وقسوة، وهو مقاتل بالفطرة، نظرا لأن القتل كان جزءا من متطلبات العيش والبقاء، فهو يرتكب جريمة القتل في سبيل الدفاع عن

النفس أو من أجل الغذاء أو التسلط أو التملك، وهو إنسان يندفع بأقصى غرائزه ساعيا إلى إشباع حاجياته، ضمن نسيج ثقافي متلاصق مع الجماعة، يتجلى بوضوح من خلال الطقوس والممارسات الاجتماعية والثقافية التي تحقق الحد الأقصى للولاء والتماسك الاجتماعي (عباس، 2005، صفحة 399).

9. العرش

لغة: عرش، جمعها عُرُوش وأَعْرَاش، وعِرَشة وعُرُش (معلوف، دون سنة)، وقد وردت في معاجم اللغة عديد المعاني لكلمة عرش أهمها: عرش بمعنى كرسي عالي المستوى يجلس عليه الملك (الحاكم)، ليمارس مهامه (مطر، 2002).

– عرش بمعنى سقف، فيقال عرش البيت أي سقفه، وعرش البئر أي ما يوضع فوق البئر ويشكل عريشا له، أي سقفا، أعرش بمعنى بنى عريشا (معلوف، دون سنة).

– عرش من الفعل عَرَشَ بمعنى ثبت، فيقال عرش بالمكان عروشا وتَعَرَّش بمعنى ثبت (إبن منظور، 2004).

عَرْش: لقد ورد مصطلح العرش بمشتقاته عديد المرات في القرآن الكريم، منها كلمة: العَرْشُ– يَعْرِشها – عَرْشَ – عَرْشها – عُرُوشها – مَعْرُوشَات – يَعْرِشُون، وانطوت على عديد الدلائل اللغوية.

يقول تعالى: **{.... وَدَمَّرْنَآ مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمَهُ/، وَمَا كَانُوْا يَعْرِشُونَ}** سورة الأعراف، الآية 137، وقوله: **{وَأَوْحَي× رَبُّكَ إِلَى اَلنَّحْلِ أَنِ اِتّخِذِي؟ مِنَ اَلْجِبَال بُيُوتًا وَمِنَ اَلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ}** سورة النحل، الآية 68، بمعنى يبنون الأبنية، وقيل يرفعون دوالي الأعناب على الخشب وقيل العروش هنا بمعنى السقوف، والعرش في الأصل بمعنى شيء مسقف وجمعه عروش، قال تعالى: **{...وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا}** سورة البقرة، الآية 259، وقوله تعالى: **{وَهُوَ الذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ}** سورة الأنعام، الآية 141.

وبالتالي فإن كلمة عرش لم تكن مصطلح أمازيغي، بل مستمد من اللغة العربية كما سبق بيانه، حيث أنها تعني شغل أفراد العشائر للأراضي وبسط سلطانها عليها، وكأنها تغطيها كالسقف، كما قد يكون معنى عرش من الفعل عرش أي ثبت، فتقاس على استقرار عشيرة أو جماعة ما على أرض معينة.

اصطلاحا: العرش اصطلاحا هو القبيلة كما أشار إليه ابن خلدون في دراسته للنظام القبلي في بلاد المغرب.

والقبيلة هي تركيبة بشرية اجتماعية مكونة من عدة وحدات صغرى قد تكون أسرا أو عشائرا أو أفخاذا، حيث تتلاحم تلك الوحدات بفضل الاعتقاد بالنسب والمصلحة المشتركة والاجتماع في منطقة عيش واحدة في حلهم وترحالهم، ويعتبر النسب بمثابة الركيزة الأساسية وأهم ما يعزز ويقوي أواصر أفراد القبيلة (العرش)، ويخضع أفراد القبيلة إلى عرف وعادات متفق عليها، ويتبعون دينا واحدا، ويسهرون على تطبيق العرف واحترام العادات وتقديس الدين، حيث يعيش أفراد القبيلة ضمن نظام اجتماعي يسمى بالنظام القبلي (الدراجي، ملامح تاريخية للمجتمعات المغاربية، 2013).

ولقد اختلف المؤرخون والنسابة الأمازيغ والعرب في تحديد التسمية الصحيحة والتقسيم الصحيح للمجتمع الأمازيغي، حيث تفتقر المجتمعات البربرية للدراسات الاجتماعية المعمقة التي تفصل في الموضوع، فعلى الرغم من بقاء النظام القبلي في بلاد المغرب العربي والجزائر إلى الآن، إلا أنه ظل موضوع البناء القبلي والتسميات المتداولة مأخوذة من تقسيمات ومسميات عربية الأصل، ومع هذا فهي تبعث الشك في صدقها، حتى وإن تعلق الأمر بالقبائل العربية ذاتها (الدراجي، ملامح تاريخية للمجتمعات المغاربية، 2013، صفحة 124)، وقد قسم النظام القبلي إلى ستة حلقات وقسم إلى سبعة حلقات وقسم إلى عشرة حلقات، وتظم مسميات كثيرة أتى بها القرآن وهي القبيلة، العشيرة، الفصيلة، الرهط، حيث تتجزأ القبائل إلى بطون وأفخاذ متناثرة، وقد جاء في القرآن الكريم مصطلح الشعوب والقبائل: **{ يَآ أَيُّهَا اَلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُواْ ÷ }** سورة الحجرات الآية 13.

أما العشيرة فهي الطبقة الثامنة لدى أصحاب التقسيم العشري، وتنشأ بانقسام الفخذ إلى عشائر، وقد اشتق اسمها من المعاشرة، أي المخالطة، وهي من المراتب التي تم ذكرها في القرآن الكريم، لقوله تعالى: **{وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ اَلأَقْرَبِينَ}** سورة الشعراء الآية 214.

وبالتالي فالعشيرة عبارة عن قبيلة مصغرة، واللحمة في العشيرة تكون أقرب وأمتن، ولها وظائف اجتماعية وربما سياسية، ويدير شؤونها شيخ أو رئيس، يتميز بصفات أخلاقية بارزة، ويتمتع بعصبية قوية يستمد منها نفوذه المعنوي، وعليه يمكن القول بأن العشيرة هي فئة صغيرة من الأقرباء، مشكّلة

من أسر عديدة، يعتقد أعضاؤها بانتمائهم لأصل واحد، ويعيش أعضاء العشيرة على أرض مشتركة وفي أحياء متقاربة ومتجاورة، وتجمعهم روابط اقتصادية واجتماعية وثقافية موحدة.

10. العروشية أو القبلية:

هي المظهر العام للوحدة الاجتماعية (العرش)، وهي بمثابة الصورة المعبرة عن روح القبيلة بنظامها وكيانها المادي، وقيمتها المعنوية، وهي مثل عبارة المدنية أمام عبارة المدينة، فالقبلية (العروشية) هي الظاهرة الاجتماعية المنبثقة عن مفهوم القبيلة(العرش)، اقتضتها ظروف معينة (الدراجي، ملامح تاريخية للمجتمعات المغاربية، 2013، صفحة 118)، وكثيرا ما تقابل مصطلح العروشية مصطلح العصبية، أي التعصب للعرش من طرف أفراده.

سابعا: الإجراءات الميدانية للدراسة

2. مجالات الدراسة:

هذه الدراسة تتحدد من خلال مجالين هما: المجال المكاني والمجال الزماني.

2.1. المجال المكاني:

تمت الدراسة في مدينة تبسة وبالتحديد في أحياء مدينة تبسة، حيث تم تحديد هذه المناطق بالتعاون مع مديرية الأمن، من خلال تقسيم مدينة تبسة إلى قطاعات حسب الخصائص المورفولوجية والجغرافية وكذلك التركيبة البشرية للأحياء، حيث أن كل قطاع تتميز أحياؤه بخصائص مشتركة.

2.1. المجال الزماني:

تمت الدراسة خلال الفترة الممتدة بين 2018 إلى غاية 2022.

من المسلم به أن نجاح أي عمل يتوقف بدرجة ما على التقنيات المستخدمة وكذلك المنهجية المتبعة في جمع المعلومات المتعلقة بالدراسة، وتعتمد هذه التقنيات بالأساس على المنهج الملائم والأدوات العلمية المستخدمة في ذلك، وفي هذا الإطار تتم الاستعانة بمجموعة من الإجراءات في العلوم الاجتماعية للتوصل إلى إجابات موضوعية عن التساؤلات التي ينطلق منها الباحث منذ بداية الدراسة.

ومن الطبيعي أن يستخدم علماء الأنثروبولوجيا مناهج بحث متعددة وأساليب متنوعة لجمع المعلومات، فمنها ما يشترك فيها الأنثروبولوجي مع غيره من الباحثين في مجال الدراسات الإنسانية

كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد، ومنها ما هو خاص ينفرد به علم الأنثروبولوجيا، لذلك ضمن هذه الدراسة تم استخدام المناهج والطرق التالية:

ثامنا: الدراسات السابقة:

تمثل الدراسات السابقة الجزء الثاني من الإطار النظري للبحث، وأحد أهم أجزاءه والتي تتمثل في الكتب أو المؤلفات التي تطرَّقت لموضوع البحث العلمي أو أحد الجوانب الهامَّة به، والهدف من الاطلاع عليها الحصول على معلومات وبيانات؛ لتعزيز محتوى البحث، وفي الوقت نفسه التَّوصُّل لنتائج جديدة لم يصل إليها السابقون، ونقد تلك الدراسات في حالة وجود سلبيات بها. ويجب أن يحرص الباحث عند عودته إلى الدراسات السابقة أن يختار المصادر الأولية والأصلية، كما يجب أن يتأكد من صحة المعلومات الواردة فيها.

ويجب أن يحرص الباحث عند عودته إلى الدراسات السابقة أن يختار المصادر الأولية والأصلية، كما يجب أن يتأكد من صحة المعلومات الواردة فيها.

حاولنا مليا البحث عن دراسات سابقة تبحث في نقس الموضوع أو قريب منه، من منظور انترويولوجي غير اننا فشلنا في بلوغ هدفنا، غير أننا عثرنا على دراسات سوسيولوجية عالجت بعض جوانب موضوع بحثنا منها دراسات أجنبية وأخرى عربية، والتي يمكن سردها كالتالي

1. الدارسة الأجنبية

دراسة كل من روبرت بارك وأرنست بورجس:

Robert E. Park and Ernest W. Burgess, The City Suggestions for Investigation of Human Behavior in the Urban Environnement (1925):

المدينة: اقتراحات للتحقيق في السلوك البشري في البيئة الحضرية

1.1. مضمون الدراسة:

اشكالية الدراسة

إنطلق بارك من الإشكالية التالية: هل المدينة هي مختبر اجتماعي لتحليل وفهم كل الظواهر الحضرية؟

وتمحورت فرضيات الدراسة على النقاط التالية:

- المدينة من المنظور الايكولوجي مجالا غنيا بالتفاعلات والديناميات الاجتماعية

- دراسة الانسان ينبغي أن تتم على أساس دراسة التفاعلات بينه وبين الوسط الطبيعي والجغرافي الذي ينتمي اليه.
- هجرة الفلاح الى المدينة هي ظاهرة تاريخية وعملية دائمة لا يمكنها أن تتوقف
- هجرة الفلاح إلى المدينة تتحول إلى مشكلة إجتماعية عندما يتم السعي إلى حلها بالإندماج الحضري

المنهج والأدوات

إتبع بارك المنهج التحليلي وفق منظور ايكولوجي او ما يسمى بالمقاربة الايكولوجية، حيث انطلق من تفسيره لتفاعل الحاصل بين المجال الحضري بكل ما يزخر به من خصوصيات وأنماط وقيم وبين الانسان وما يمتلكه من مواقف وتمثلات.

وهكذا يمكن القول بأن أهم ما ميز بارك في دراسته لكل الظاهر الاجتماعية الحضرية هو هيمنة البعد الايكولوجي عليه في تناوله لهذه الظواهر معتبرا المدينة مجالا خصبا ومختبر ا اجتماعيا لدراستها، وقد قال بارك مخاطبا طلابه " ارجعوا كل علاقة اجتماعية الى علاقة مجالية وعندئذ يمكنكم أن تطبقوا على العلاقات بين الناس المنطق الأساسي للعلوم الفيزيائية.

اعتبر روبرت بارك بأن التحضر ظاهرة إيكولوجية بمعنى أنها مثل باقي الظواهر الطبيعية وتخضع لنفس القوانين التي تحكم هذه الأخيرة، حيث عمل على إحداث القطيعة مع التصور "الغير العلمي" الذي كان سائدا خلال فترة الإصلاح الاجتماعي، ومنه فالمدينة حسب بارك تضخم وتنشر وترسخ مظاهر الطبيعة الإنسانية الأكثر تنوعا، فهي تمنح جوا خاصا لأفرادها، فكل فرد وكيفما كانت أطواره يجد مجالا فيها يمكنه من التعبير عن خصوصياته، فالمجال الحضري مجال متنوع يضم "المجرم – المتسول – الإنسان – العبقري" هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية المدينة حسب المنظور الإيكولوجي هي السكن الطبيعي للإنسان المتحضر، ففي المدينة تطورت الفلسفة والعلم اللذان يجعلان الإنسان ليس حيوانا عاقلا فحسب، بل حيوانا رفيعا، وبالتالي فالفرد المديني تميز عن الحيوانات وعن البدائيين.

لكن إذا كانت المدينة هي العالم الذي خلقه الإنسان فإنها أيضا العالم الذي أصبح محكوما على هذا الإنسان أن يعيش فيه، فهي حالة ذهنية وهي مجموعة من العادات والتقاليد والمواقف المنظمة والمشاعر، فهي ليست مجرد مدينة مادية آلية وبنية اصطناعية، حيث تبنى بارك نظرة مزدوجة عن المدينة على الرغم من التقدم والرخاء والحرية ونمط العيش الأفضل الذي تتميز به، إلا

أنها تعتبر بيئة خصبة للجريمة والانحراف وسوء التنظيم الاجتماعي، فالمجال الحضري مجال غير متجانس، لأنه عبارة عن فسيفساء متعددة الألوان والأشكال، وذلك ما يعبر عنه بارك من منظور إيكولوجي واضح من خلال تقسيمه للمدينة إلى عدة مناطق متجاورة:

المناطق الطبيعية les régions naturelles، والمناطق الروحية les région morales، لكن ما يميز هذه المناطق عن بعضها البعض هو طبيعة السكان ونوعية الوظائف الممارسة فيها، فكل مدينة مكونة من حلقات: حلقتها الأولى هي مركزها ونواتها التي تكون مخصصة للأعمال والتجارة ثم المناطق الصناعية سواء تلك المختصة في الصناعات الثقيلة أو الخفيفة، أيضا فإن كل مدينة لها مدنها التابعة المحيطة بها، بالإضافة إلى أحيائها ومستوطنات المهاجرين الذين يتمسكون بدرجات مختلفة بثقافتهم، ولكل مدينة لها مناطقها الهامشية حيث تكون أكثر حرية وأكثر تشجيعا على المغامرة وأكثر عزلة مقارنة بالأخرى.

إن البنية الإيكولوجية للمدينة تتشكل بفعل الانتقاء والتميز من جهة، وعملية التنشئة والعدوى من جهة أخرى، هاتين العمليتين تجعل مناطق المدينة تتحول إلى مناطق متميزة عن بعضها البعض مجاليا وثقافيا، فالناس داخل المدينة كثيرا ما يبحثون عن التميز وعدم التجانس الاجتماعي والثقافي، ومنه فالمسألة المجالية يتم تحديدها انطلاقا من الانتماء الاجتماعي والاقتصادي.

في نفس الدراسة نجد bergs.e الذي أشار إلى دور متوسط الدخل والمجال الذي ينتمي إليه الفرد، فالسكن يحدد الطبيعة الاقتصادية والاجتماعية للأفراد، وهذا سيساهم بشكل أتوماتيكي في ارتفاع مستوى الفوارق الاجتماعية والاقتصادية، وسيقلص من نسبة التواصل بين الفئات، لأنه يتم وفق حلقات مغلقة، حيث أفراد المركز تتواصل مع أفراد المركز والعكس بالعكس... فلكل مجال في المدينة خصوصياته، فمثلا كلما ابتعدنا عن مركز المدينة ابتعدنا عن التنظيم والقانون، وأيضا العودة إلى المركز تفرض على الأفراد أن يكونوا مجبرين على التصنع، وكلما انتقلنا من المركز إلى المحيط نجد العنف والعدوانية، ومنه فالمجال بثقافته يفرض على الأفراد سلطة معينة.

نتائج الدراسة

- المدينة مجال لبروز الحريات الفردية وتحسن نمط العيش والاتصال مجال للإبداع الفكري والعلمي ولكن في نفس الآن مجال للانحراف، والانتحار والعنف، وبهذا فإن المدينة هي عبارة عن مجال ذو وجهين.
- المجال الطبيعي يتكون من أفراد غير متشابهين ثقافيا ما يجعلهم يعيشون بشكل مشترك هو وضعيتهم الاقتصادية وهذه الوضعية هي وضعية إجبارية وليست اختيارية، ومن هنا، فهاته الفئات تشكل تاريخها المشترك الذي يقوم على ذاكرة جماعية ومشاعر خاصة بها.
- هذا المجال الهامشي يصبح مع مضي الوقت مجالا خاصا له تقاليده وعاداته وقيمه الخاصة
- المجالات تشكلت بطريقة اعتباطية وتلقائية بمعنى أنها تنمو بمعزل عن أي استراتيجية أو سياسية للدولة، وهي تخص الأحياء الهامشية والعشوائية.
- تنتج المجالات عن سببين وهما: الضغط الذي يمارسه المركز على الأفراد والإقصاء والتهميش الذي تتعرض له فئات عريضة داخل المجال الحضري. وهذا يعني أن المركز له خصوصياته وله قالبه الخاص، وهو الذي تتوفر فيه الأنشطة الاقتصادية والتجارية وهذا ما يجعله نقطة جذب بالنسبة للأحياء الأخرى وهو أيضا ما يمنحه سلطة الضغط .بالإضافة إلى أن الانتماء إلى المركز يتطلب مكانة اقتصادية مريحة

2.2. التعليق على الدراسة

تقاطعت دراسة بارك ودراسة برجس مع دراستنا في التركيز على المدينة كفضاء يجمع المادي واللامادي من خلال التعبير عنها بالفسيفساء التي تتمازج فيها الخصائص الاجتماعية والإيكولوجية والثقافية.

كما قسم بارك المدينة مجاليا وثقافيا، حيث ترتفع نسبة الجريمة كلما انتقلنا من المركز نحو الحدود، وهذا ما أشرنا إليه في دراستنا من خلال تحديد الأحياء المتواجدة في أطراف المدينة والتي تعاني من قلة المرافق وتؤثر فيها العوامل الطبيعية والإيكولوجية، حيث تستقطب الفئة الهشة من المجتمع.

كما تقاطعت دراسة برجس مع دراستنا في تركيزه على علاقة المسكن بالحالة الاقتصادية للأفراد والدخل الفردي ودوره في تشكيل الفوارق الاجتماعية والاقتصادية ونسبة التواصل بين الفئات ليكون دافع في توجيه الفرد نحو ارتكاب الجريمة.

2. **الدراسات العربية** من أهمها:

1.2. الدراسة الأولى:

جغرافية الجريمة (علم الإجرام الكارتوجرافي) لبركات النمر المهيرات وهي دراسة تطبيقية للجوانب المكانية لظاهرة الجريمة في المملكة الأردنية الهاشمية 1985-1996.

تمحورت إشكالية الدراسة حول ماهية الخصائص الجغرافية والديمغرافية لظاهرة الجريمة؟

حيث تفرعت منها التساؤلات التالية:

- ماهي الأنماط النوعية والكمية للجريمة؟
- ما هو أثر المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقفية والبيئية على مرتكبي الجرائم؟
- ماهي علاقة الجريمة بعامل السكان والبيئة؟

استخدمت الدراسة الإحصاءات الوصفية التقليدية لقياس انتشار الجريمة كقياس نسبة المحكومين في جريمة السرقة إلى بقية الجرائم المرتكبة، كما تم استخدام أسلوب التحليل العنقودي وأسلوب التحليل التميزي، بهدف تصنيف مرتكبي الجرائم إلى مجموعات متشابه.

كما تم استخدام العينة العشوائية في المجتمع المستهدف، وقد بلغ أفراد العينة 1000 نزيل عينة من مرتكبي الجرائم والمحكوم عليهم من نزلاء مراكز الإصلاح والتأهيل المختلفة.

ومن أدوات الدراسة: الاستبانة: تم تصميمها وفق محاور التساؤلات الفرعية التي ركزت أسئلتها على مختلف الخصائص الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والطبيعية للبيئة الحضرية، والأنماط النوعية والمكانية والزمانية للجرائم.

1.1.2. مضمون الدراسة:

حيث تم خلال هذه الدراسة إلقاء الضوء على الظاهرة الإجرامية في المملكة الهاشمية، لإبراز سماتها الزمانية وأنماطها المكانية النوعية، من خلال خصائص التدفق الانسيابي للجرائم واتجاهاتها،

وتحديد النطاقات المستهدفة في المدينة ومعرفة أماكن ارتكابها في الحيز الجغرافي مع إبراز الخصائص الاجتماعية والثقافية والديمغرافية لمرتكبي الجرائم.

ومن **النتائج** التي تم التوصل إليها في هذه الدراسة ما يلي:

- حجم وأنماط الجريمة هو انعكاس للتركيب الاجتماعي والتنظيم الحضري والتوزيع المكاني للسكان، وكذلك خصائص المكان المادية والمعنوية.

- الحيز المكاني الذي تحدث فيه الجريمة يختلف من محافظة إلى أخرى ومن نمط إجرامي إلى أخر.

- تختلف الجرائم حسب الخصائص الاجتماعية والديمغرافية والاقتصادية للجريمة.

- تختلف أنماط الجريمة حسب التغيرات الفصلية السنوية، فهناك جرائم تكثر في الشتاء مثل الاختلاس والرشوة، وجرائم ترتكب في الصيف مثل الاعتداءات والقتل.

ومن **التوصيات** التي تم صياغتها في هذا البحث

- إعادة النظر في تخطيط المناطق ذات الخصائص الأيكولوجية الرديئة مثل المناطق الشعبية ومحاولة توفير الظروف الملائمة للحياة الجيدة.

- العمل على تحسين مشكلات المجتمع والتخفيف من الظلم الاجتماعي.

- ربط الإستراتيجيات الأمنية بالتنمية الاجتماعية.

- التركيز الإعلامي على البعد الديني ومعالجة مختلف أنواع وأنماط الجرائم عن طريق تبين حكم الإسلام فيها.

- شن حملات مساندة للحملات الإعلامية، وتفعيل دور العبادة والمدارس والمؤسسات الاجتماعية والثقافية.

2.1.2. التعليق على الدراسة

هناك مجموعة من الجوانب التي يلتقي فيها موضوع هذا البحث مع دراسة بركات النمر المهيرات، كما أن هناك مجموعة من نقاط الاختلاف، يمكن شرحها من خلال ما يأتي:

أ- نقاط الاتفاق

أبرز الباحث في دراسته العوامل الجغرافية والاجتماعية والثقافية والظروف الاقتصادية والبيئية التي ساهمت في إنتاج السلوك الإجرامي من خلال دراسته لمحافظات المملكة الأردنية الهاشمية، كما ربطها بالأنماط النوعية والمكانية للجريمة وهذا ما أشرنا إليه في تحديدنا لخصائص الأحياء وعلاقتها بالسلوك الإجرامي وطبيعة الجريمة في كل حي.

كانت الدراسة غنية بالإحصاءات الخاصة بتوزيع الجرائم حسب العمر والجنس والمناخ والعوامل الاجتماعية والثقافية ما زاد في دقة الدراسة، حيث تطرقنا في دراستنا أيضا من خلال الجانب الميداني إلى تحليل الإحصاءات التي قدمت من طرف الأمن وفقا للمنهج الوصفي التحليلي وربطناها بالعوامل والظروف المسببة للسلوك الإجرامي.

بعض نتائج الدراسة التي توصل إليها الباحث كانت قريبة من نتائج دراستنا ومن بينها:

أن البناء الإيكولوجي والموقع الجغرافي للحي له دور في إنتاج السلوك الإجرامي، كما يساهم المسكن في تنشئة الفرد اجتماعيا وثقافيا ويؤثر على توجيهه للسلوك الإجرامي.

ب- نقاط الاختلاف

ركزت دراسة بركات النمر المهيرات على الجانب الكمي للمعلومات مع إهمال الجانب الكيفي خاصة في التحليل الكيفي للبيانات وأيضا غياب أهم النظريات المفسرة للجريمة.

استعمل الباحث في دراسته الخرائط الكارتوغرافية والتي تحوي كثيرا من التعقيد، حيث يصعب على الباحث أو القارئ خارج اختصاص الجغرافيا فهمها والاستفادة منها.

لم يفصل الباحث في دراسته في العوامل والظروف الدافعة للجريمة، حيث كان الربط بين الأنماط المكانية والنوعية للجريمة منفصل عن العوامل الدافعة لها، حيث كان هناك فقر في المعلومات النظرية.

2.3. الدراسة الثانية: الجريمة والمجتمع، لخضر زرارة دراسة مقارنة، الأردن، 2014.

1.2.2. مضمون الدراسة:

تمحورت إشكالية الدراسة على تحليل ومناقشة الظاهرة الإجرامية في كل من المجتمع الريفي والمجتمع الحضري من حيث الأسباب والعوامل الدافعة إلى ارتكابها والمتمثلة في الظروف البيئية

والاجتماعية والثقافية والاقتصادية لمعرفة مدى تأثيرها في دفع الفرد إلى ارتكاب الجريمة ومدى صلتها بالجريمة من حيث الكم والنوع، وقد طرح الباحث الفرضيات التالية:

- إن أي مجتمع إنساني مهما كان متقدما أو ناميا بسيطا كان أو معقدا يقوم على قيم ومبادئ ومعايير اجتماعية لها دور في الحد من الجريمة.
- الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والبيئية تؤثر على دافعية الفرد لارتكاب لجريمة.
- إن الخروج عن القانون وكذا القيم والمعايير الاجتماعية، يخلق جريمة.
- معدل الجريمة في المجتمع الحضري أكثر من معدل الجريمة في المجتمع الريفي.

وقد اعتمدت الدراسة الميدانية المسح الشامل لملفات تم الحصول عليها من محكمة الجنايات لدى قضاء باتنة المتعلقة بالجرائم المختلفة، وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي وكذلك المنهج المقارن، كما استعمل أدوات الملاحظة والمقابلة وتقنية تحليل المحتوى.

ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يلي:

- أي مجتمع مهما كان متقدما أو ناميا أو بسيطا أو معقدا، فهو يقوم على قيم ومبادئ واتجاهات اكتسبها من بيئته الاجتماعية والثقافية وكذلك الأيكولوجية تكرس دعائمه وتؤثر في نمط سلوكه.
- تعتبر فئة الشباب من أكثر الفئات المرتكبة للجرائم الأخلاقية، وكلما ارتفع السن كلما انخفضت هذه الجرائم.
- ترتفع الجرائم الأخلاقية في المجتمع الحضري وتنخفض في المجتمع الريفي.
- الجريمة تنخفض في المناطق التي تسيطر فيها العادات والتقاليد الاجتماعية وتزيد فيها قوى التماسك والتضامن الاجتماعي والتي تسود في المجتمع الريفي قياسا بالمجتمع المديني.

ومن **التوصيات** التي تم اقتراحها:

- العمل على استقرار السكان في الريف وتوفير الحاجيات الأساسية لمعيشتهم للحد من النزوح الريفي نحو المدن وما تتولد عليه من ظروف تساعد على ارتكاب الجريمة.
- العمل على إنجاز النوادي الرياضية والثقافية والاجتماعية داخل المدن والأرياف.
- مراقبة ما تقدمه وسائل الإعلام على مختلف أنواعها خاصة من قبل الأولياء.
- العمل على تقوية الوازع الديني في نفوس الأفراد مما يقوي فرص الابتعاد عن الجريمة.

2.2.2. التعليق على الدراسة

كان البعد الأساسي للدراسة هو الكشف عن القوى والدوافع التي دفعت مرتكبي الجرائم إلى السلوك الإجرامي، وتوضيح أثر كل من الثقافة السائدة والظروف الاجتماعية والعوامل البيئية والاقتصادية القائمة في تهيئة مناخ ملائم لدفع الفرد إلى ارتكاب الجريمة وممارسة السلوك الانحرافي، وهذا ما قمنا به في البحث عنه من خلال طرح إشكاليتنا للوقوف عن الدوافع والأسباب داخل الفضاء المديني والتي تدفع الفرد إلى انتهاج سبيل الجريمة والانحراف.

كما ركز الباحث عن أنماط الجريمة وحلل الإحصائيات المقدمة من طرف السجون وميز بين الأكثر انتشارا وربطها بالبيئات المختلفة في الحضر والريف، وهذا ما بحثنا عنه من خلال تحليل أنماط الجريمة في أحياء مدينة تبسة وربطناه بالظروف الثقافية والاجتماعية والإيكولوجية ومدى صحة هذه الظروف والعوامل والتوجه للجريمة.

وفي تحديده للظروف الاجتماعية تطرق الباحث إلى التنشئة الاجتماعية ودورها في غرس القيم الدينية ومجموع القيم والمعتقدات في تهيئة سلوك الأبناء نحو الجريمة والابتعاد عنها، وهذا ما أشرنا إليه من خلال تحليل البيئات التي تساهم في تنشئة الفرد سلوكيا من محيط أسري ومدرسي وجواري.

كانت الدراسة ثرية بجل النظريات المتعلقة بتفسير السلوك الإجرامي، حيث خصص لها الباحث الفصل الرابع وفصل فيها من خلال ذكر مضمون النظرية والرواد والنقد الموجه إليها.

أ- نقاط التقاطع مع الدراسة

وقد توصلنا مع الباحث إلى نتائج مشتركة ألا وهي:

- أي مجتمع إنساني تتحكم فيه عوامل ثقافية واجتماعية وكذلك بيئية تدفعه أو تمنعه من ارتكاب الجريمة، وأن الثقافة تلعب دورا أساسيا في صقل السلوك الإنساني وتوجيهه وأن الفرد ليس وحده المسؤول عن ارتكاب الجريمة بل تحيط به جملة من الظروف والأسباب.
- أنماط الجريمة تختلف من مكان إلى أخر، حيث هناك أنماط أكثر انتشارا من غيرها تتحكم فيها عوامل مختلفة.

- أدى التقدم السريع في وسائل الاتصال والتطور التكنولوجي إلى الانتشار الثقافي في جميع أنحاء العالم، وهي أشد تأثيرا على نقل النماذج الجديدة للجرائم عن طريق التقليد والمحاكاة وتكوين اتجاهات مختلفة عن تلك التي اكتسبوها داخل أسرهم، وهذا ما توصلنا إله من خلال تأثير التغير الثقافي على سلوك الفرد واكتسابه لأنماط السلوك المختلفة.

ب- نقاط الاختلاف مع الدراسة

- كان مجال البحث ولاية باتنة بكل دوائرها وبلدياتها وهذا ما قلل من دقة الدراسة، خاصة وأن كل بلدية لديها خصائص اجتماعية وثقافية وطبيعية خاصة بها تؤثر على نوع الجريمة ونسبتها وخصائص ساكنيها.

- كان المجال المكاني للدراسة هو محاكم ولاية باتنة، حيث ركز الباحث على الإحصائيات المقدمة من المحكمة أي القضايا التي تم الفصل فيها، في حين وجود جرائم لا تتعلق بالمحكمة والتي لم يتم الإعلان عنها من مديرية الأمن أو الأشخاص مما يقلل من إمكانية إحصاء كل الجرائم وتحديد أسبابها.

- بالنسبة لأدوات جمع البيانات ركز الباحث على تحليل محتوى الملفات التي تم الفصل فيها من محكمة الجنايات بمقر مجلس قضاء باتنة والتي بلغ عددها 149 ملف، في حين لم يستعمل أدوات أخرى كالملاحظة والمقابلة.

- بالنسبة لعينة الدراسة ركز الباحث على القضايا فقط وأهمل جانب المجرم والمجتمع وهذا ما ينقص من إمكانية الوصول إلى نتائج أكثر دقة.

- في دراسته الميدانية ذكر الباحث معظم العوامل المؤثرة على السلوك الإجرامي ولكنه لم يفصل في هذه العوامل، خاصة العوامل الثقافية المتعلقة بالقيم الدينية والمجتمعية والعادات والتقاليد.

- كما أهمل الباحث الجانب الإيكولوجي للإطار المكاني، كونه يشكل عاملا أساسيا في تشكيل المجرم.

2.2. الدراسة الثالثة: البيئة العمرانية والثقافية وأثرهما على الظاهرة الإجرامية:

مذكرة لنيل شهادة الماجيستير تخصص أنثروبولوجيا الجريمة سنة 2008

1.3.2. مضمون الدراسة:

وهي دراسة سوسيوأنثربولوجية مقارنة لإثنين من الأحياء السكنية بمدينة تلمسان (حي الكدية والكيفان)، للطالب سالم بن عاشور، وقد تم صياغة إشكالية الدراسة كالاتي:

إلى أي مدى يمكن للبيئة العمرانية والثقافية أن تؤثر سلبا أو إيجابا على الظاهرة؟

حيث ارتبطت الدراسة بالأسس التي تكون البناء الاجتماعي والعادات والتقاليد والبيئة العمرانية وعلاقتها بالظاهرة الإجرامية وكذلك تكيف الجماعات البشرية مع أنماط البناءات الفوضوية، وقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي وكذلك تقنية تحليل المحتوى، لدراسة المحيط العمراني التوجيهي للأحياء محل الدراسة، حيث انطلق الباحث من الفرضيات التالية:

- السكنات القصديرية والمباني ذات الشوارع الضيقة تعتبر وكرا لتنامي الظاهرة الإجرامية.
- البيئة العمرانية لوحدها ليست سببا وحيدا في تنامي الظاهرة الإجرامية وإنما هناك عوامل أخرى اقتصادية وثقافية.
- يمكن للبيئة العمرانية والثقافية أن تؤثر بصفة مباشرة أو غير مباشرة على الظاهرة الإجرامية.
- لا علاقة للإجرام بالبيئة العمرانية والثقافية.

وقدد توصلت الباحثة إلى **النتائج** التالية:

- للبيئة الثقافية دور مميز في تقليل فرص ارتكاب الجرائم وتضيق نطاقها، وذلك عن طريق غرس قيم السلم وثقافة اللاعنف بين أفراد المجتمع.
- تعمل البيئة الثقافية على تحصين النفس البشرية بثقافة تربوية أخلاقية تساعد على كبح جماح الغرائز الدنيئة.
- كما تعمل على ترسيخ فكرة الأمن والنظام في المجتمع حتى يتسنى لهذا الأخير القيام بدوره في مجال صد الجرائم.
- كما تساهم البيئة الثقافية على تعميم التعليم في نفوس الأفراد، وهو ما يحميهم من الوقوع في الجريمة، كما تعمل على تهذيبهم الديني والخلقي حتى يصبحوا في مركز يسمح لهم بتقدير ما هو خير وما هو شر، وما هو نافع وما هو ضار.

2.3.2. التعليق على الدراسة:

أ- نقاط الاتفاق مع الدراسة

تتقاطع هذه الدراسة مع دراستنا من خلال:

- التركيز على البيئة الثقافية التي تساهم في التأثير على توجه الأفراد نحو السلوك الإجرامي، حيث ركز الباحث على دور القيم الثقافية في تحصين الفرد من الوقوع في الجريمة.

- كما تتشابه دراستنا مع دراسة الباحث في التطرق إلى دور البيئة العمرانية من خلال التركيز على طبيعة المسكن والأحياء وبالتحديد تأثير المساكن القصديرية والأحياء العشوائية التي تعزز دافعية الفرد نحو السلوك الإجرامي.

ب- نقاط الاختلاف

تختلف هذه الدراسة عن دراستنا بتركيزها على المجرم من الناحية التكوينية والنفسية، حيث استدلت الباحثة بالنظريات النفسية والبيولوجية والتكوينية لتفسير الجريمة كدافع نحو ارتكاب الفعل الإجرامي، على الرغم من تسليط الضوء في الجانب الميداني على العوامل الثقافية والبيئية، حيث وقعت الباحثة في تناقض بين المقاربة النظرية والنتائج المتوصل إليها من الدراسة الميدانية والتي تم ذكرها سابقا.

الفصل الثاني:

البعد الثقافي لمورفولوجيا المدينة

- **تمهيد**

أولا: مونوغرافية مدينة تبسة

ثانيا: البناء الأيكولوجي للمدينة

رابعا: البعد الثقافي للبناء الأيكولوجي

خامسا: الخصائص الجغرافية والبيئية وأثرها في تطور الجريمة

خلاصة الفصل

تمهيد

إن الثقافة بالمعنى العميق حاضرة في المدن كما البوادي والأرياف، بل نؤكد أن أي مجتمع، تساهم مناطق مختلفة منه في بنائه الثقافي، فحيثما توجد تفاعلات بشرية مبنية بشكل قوي حيث التواصل الإيجابي والبناء المشترك والإحساس بالانتماء والأهداف المشتركة يوجد إسهام ثقافي مهم يضمن لهذا الفضاء هويته ومناعته ضد كل ما يهددها، إنه الكيان الذي تمنحه المدينة، لكن بأي معنى نتحدث عن المدينة؟ ووفقًا لأي منظور تحديدًا؟

قد يصح القول أنه لا أحد لا يعرف المدينة أو بمعنى آخر المدينة معروفة لدى الجميع، غير أنها مع ذلك تعتبر مفهوما صعب التحديد، ولأن تحديد معنى الثقافة سوف يكون من خلال البعد الأنثروبولوجي الذي يجعلها أوسع وأشمل من المعنى الذي يجعلها تقتصر على الجانب الفكري، فإننا لا نتصور المدينة خارج هذا السياق، الأمر الذي يجعلها فضاء ثقافيا وقيميا وليست مجرد تجمّع سكاني للمواطنين الذين يعيشون داخل حدوده الإقليمية، وبالتالي فالمدينة هي أسلوب حياة خاص، له ملامحه الكبرى التي تميّزه عن سواه، وبعيدًا عن المعيار الإحصائي في تحديد المفهوم فإنها تعد بدرجة أولى فضاء اجتماعيا وثقافيا لا ينفصل عن خصوصية المجتمع وتاريخه والحضارة التي ينتمي إليها.

أولا: مدينة تبسة دراسة مونوغرافية

تتمثل الدراسة المونوغرافية في تحديد الموقع والمساحة، معالم المدينة، التركيبة البشرية، العصبية القبلية (العروشية)، تأثير العروشية على السلوك الإجرامي.

1. مدينة تبسة المعالم والإنتماء

1.1. أصل مدينة تبسة:

رجع أصل تسمية تبسة إلى الأصل البربري الأول الذي أطلقه عليها سكانها الأصليون، والذي يعتقد حسب الترجمة اللوبية القديمة بأنها اللبؤة ولما دخلها القائد الإغريقي "هركيليس " شبهها لكثرة خيراتها بمدينة تيبيس الفرعونية العريقة والمعروفة تاريخيا بطيبة أو طابا الفرعونية ثم حرف الرومان اسمها لما دخلوها عنوة فصارت تسمى مدينة تيفيستيس لسهولة نطقها ومنذ ذلك التاريخ اختصرت كل الزيادة اللفظية منها وصارت تعرف بـ " تيفست ويعدها مؤرخون نوميديا منشأ لجذورها التاريخية وهناك

من يرجعها إلى ما قبل العهد الفينيقي وفي 814 ق م اعتمدها الفينيقيون مركزا فعالا لرحلاتهم ومبادلاتهم التجارية ثم استولى عليها القرطاجيون حوالي ق م247 وبعد الفتح الإسلامي في حدود بدايات القرن الثامن ميلادي والقرن الهجري الأول وبعد تصحيح الفاتحين الأوائل لاسمها كعادتهم اللغوية مع الأسماء الأعجمية الأخرى صارت تعرف باسم تبسة بفتح التاء وكسر الباء مع تشديدها وفتح السين مع تشديدها أيضا وظلت هذه التسمية ملازمة لها إلى اليوم وتعد مدينة تبسة أول مدينة رومانية تجاورها أول مدينة إسلامية صغيرة في المغرب الإسلامي عامة وفي الجزائر خاصة، فبعد إنشاء المسلمين لمدينة القيروان بتونس قد أنشؤا أول مدينة إسلامية مجاورة للمدينة الرومانية المحصنة بالسور العالي (كاستال، 2010، صفحة 18).

الموقع والمساحة

تبسة هي تسمية لإحدى ولايات الجزائر، تحمل الرقم 12، حيث تقع في الشمال الشرقي للقطر الجزائري على الحدود التونسية، أما فلكيا فتقع مدينة تبسة بين دائرتي عرض 15° و35° شمالا، وما بين خطي طول 52° و4° شرقا، وتمتد من آخر قمة لجبل قريقر شمالا إلى منطقة الشطوط جنوبا على طول 180 كلم، ومتوسط امتدادها من الشرق إلى الغرب 64 كلم في القسم الصحراوي وحوالي 90 كلم من قنتيس غربا إلى الحدود التونسية شرقا، في مساحة تقدر بمليون ومائة هكتار (كاستال، 2010، صفحة 21).

وتعتبر مدينة تبسة هي مركز الولاية يحدها شمالا بلدية مرسط ومسكيانة وغربا بلدية بئر مقدم والشريعة، ومن الجنوب بلدية الماء الأبيض وبئر العاتر، أما شرقا فبلدية بكارية والكويف التي تتصل بالحدود التونسية، تبلغ مساحتها 180 كلم مربع ويبلغ عدد سكانها حوالي 196.537 نسمة (DB city.com, 2022)، وتحيط بالمدينة سلاسل جبلية من الشمال الغربي كجبال تروبيا والقعقاع والدكان وأنوال وبورمان، حيث تشكل خط من المرتفعات ذات القمم المتوسطة العلو، كما تتميز مدينة تبسة بمناخ قاري في الغالب، أي أنه حار صيفا وشديد البرودة شتاء مع مدى حراري كبير بين الليل والنهار وبين الشتاء والصيف.

1. معالم المدينة

تستمد تبسة اليوم شهرتها من معالمها الأثرية التي تعود إلى العهدين الروماني والبيزنطي، وهي تعد بالرغم من وضعيتها الحالية من أحسن المعالم القديمة حفظا ببلاد المغرب القديم، ولا يزال ترابها يضم العديد من أطلال وأساسيات المعالم القديمة المندثرة، من أبرزها:

- **المسرح المدرج**

شيد هذا المدرج في عهد الإمبراطور سباسيانوس من قبل جنود الفيلق الثالث حوالي 77م، يقع على الضفة اليسرى لواد زعرور، تتوسطه حلبة دائرية قطرها ما بين 54 إلى 50 متر، ويبعد عن السور البيزنطي بحوالي 150 م، ويصنف هذا الأخير ضمن المدرجات المتوسطة في الجزائر، فهو أصغر من مدرجي لامبيز وشرشال وأكبر من مدرجات تيبازة وسكيكدة وجميلة، ويشبه عدد كبير من المدرجات الرومانية في العالم، كما تحتوي جدران المدرج على نقوش.

- **قوس نصر كاراكلا**

يقع على بعد 450 م إلى الشمال الغربي من المدرج، شرع في بنائه عام 211م أو 212م، وتم تدشينه عام 214 م خلال عهد كاراكلا، ينتمي إلى طراز الأقواس المربعة ذات الوجهات الأربعة، وتعد كل واجهة فيه قوس نصر لوحدها.

- **معبد مينيرفا**

يقع داخل السور البيزنطي على امتداد الجدار الشمالي منه، جنوب قوس كاراكلا، إنه المعبد المنسوب إلى مينيرفا آلهة الحكمة والفنون عند الرومان، ابنة الإله الأكبر جوبيتر، ويتم الصعود إليه عبر السلالم، وقد أستخدم المعبد في العهد الفرنسي لأغراض شتى، منها كورشة لصناعة الصابون، مكتب هندسة، مقر للقاضي المسلم، ثم مطعم، فسجن وأخيرا حوّل إلى متحف بعد الاستقلال.

- **القصر القديم**

وقع اكتشاف عفوي للقصر القديم بحي الزاوية عقب أشغال وقعت في شهر أبريل من عام 1972م بوسط المدينة جنوب شرق السور البيزنطية، والقصر مغلق حاليا ولا يسمح بدخول السور الذي يحيط به من طرف أهل المدينة.

- **المقبرة الرومانية**

تقع غرب السور البيزنطي على بعد حوالي 300 متر على مقربة من شارع الأمير عبد القادر، هذه المنطقة تقع حافة النسيج العمراني لمدينة تبسة.

- **الكنيسة الكبرى**

تعود هذه المؤسسة الدينية الكبرى إلى عهد الإمبراطور الثاني في فترة انتصار المسيحية نهاية القرن 19 م، وقد بنيت وفق الطراز الكورنثي على بعد 500 متر شمال قوس نصر كاراكلا، وتبلغ مساحة المجمع الكنيسي أزيد من 20 ألف متر مربع يحيط بها سور مربع يتميز بناؤه بالحجارة المنتظمة ذات الشكل المستطيل، وهو مكان أثري يمتع النظر.

3. التركيبة البشرية

لقد كان إقليم تبسة عامرا بالسكان في جميع العصور، وكان محل سكن مجموعة بشرية هامة خلال العصور الحجرية، وتوجد مؤشرات على ذلك مثل ما تم العثور عليه في دولمان جبل الدير وجبل سمر وتروبيا، وهي حجارة ضخمة منصوبة فوق الأرض بعضها معزول وبعضها متجمع، وقد عثر الأثريون على بقايا أدوات حجرية من السيليكا في عديد المواقع تعود إلى تلك العصور، كما قد سكنت عدة أقوام منطقة تبسة، إضافة إلى قدماء البربر الذين كانوا يتميزون ببناء اجتماعي ذو طابع قبلي، كما شهدت منطقة تبسة أيضا عدة حضارات تتالت من بينها:

الحضارة القرطاجية التي غزت المدينة الأهلية تيفيست حوالي القرن 250 ق.م ولم يدم احتلالها أكثر من 50 سنة.

الحضارة النوميدية التي شهدت خلالها منطقة تيفسب إزدهارا كبيرا، حيث كانت المنطقة تتبع حينها مملكة ميسيبسا الممتدة من المنطقة الوهرانية إلى المنطقة الطرابلسية، وبسقوط المملكة النوميدية أقيمت على أعقابها مقاطعة أفريكا نوفا الرومانية، وظلت تبسة وإقليمها خارج تلك المقاطعة تتمتع بالاستقلال، إلى غاية عهد الإمبراطور تيبريوس الذي أراد وضع يده على تيفيست، ولكن واجهه سكانها بالرفض وأعلنوا عليه الحرب.

الإمبراطورية الرومانية: حيث أصبحت بلدة تبسة مقرا للجيش الروماني الذي منح للمدينة مكانة مرموقة، وأصبحت تستقطب التجار والحرفيين ثم أنظم إليهم المعمرون الرومان، ومع مرور

الزمن بلغت تيفيست أي تبسة أوج اتساعها عمرانيا حيث تشهد على ذلك الآثار التي تزين المنطقة (كاستال، 2010، الصفحات 133-137).

1.3. البنية ما قبل حداثة المجتمع

تعتبر ظاهرة القبلية (العروش) ظاهرة اجتماعية ضاربة في أعماق التاريخ العربي في المغرب والمشرق على حد السواء، بحسب غودلي، تمثل القبيلة « شكلاّ من أشكال المجتمع، يتكون عندما يتحد ويتضامن رجال ونساء يعتبرون أنفسهم أقرباء على أساس حقيقي أو افتراضي عبر التناسل أو المصاهرة، من أجل السيطرة على مجال ترابي محدد، بحيث يملكون الموارد التي يوفرها بصفة مشتركة كما يستغلونها بشكل جماعي ومشترك أيضا، مع الاستعداد للدفاع عنها بالسلاح، والقبيلة تحمل دائما اسما خاصا تعرف به، حيث يصنف غودلي ثلاثة أنواع من الوظائف التي تقوم بها القبيلة والتي تكون دائمة الحضور في هذه المجتمعات وهي: **التعريف بالهوية، الدفاع والحكم، والدين** الذي يخترق جميع علاقات القرابة، ليكون بذلك مصدر تضامن بين أفراد القبيلة الواحدة، كونه لا يمكن أن يختلف أفراد القبيلة في المعتقد أو التوجه الديني (حمودي، 2017، صفحة 18)، وتقوم القبيلة على أساس التوالد الذي يقوم أساسا على الزواج الداخلي بين أفراد العرش الواحد والذي كان في القديم بمثابة العرف والتقليد الذي لا تخرج عنه القبيلة.

أما الأنثروبولوجيون الفرنسيون، الذين اهتموا بالمغرب الكبير، بداية من ماسكري إلى غاية بيرك فقد استعملوا من جهتهم مفردتي « gens» و« gentilice» لوصف رابطة التضامن التي هي –بحسب رأيهم– من مواصفات الجماعات القبلية المستقرة في البلاد المغاربية، ولأعضاء هذه المجموعة عموما مجال ترابي يعتبرونه ملكا جماعيا لهم، ويستغلون موارده، كما يعتبرون أنفسهم متضامنين في الدفاع عن ذلك المجال، ومن ناحية أخرى يمارس هؤلاء نمط عيش مرتبط بفهمهم لإكراهات هذا المجال، وهو نمط يميزهم عن أنماط أخرى، خاصة نمط العيش في المدن (حمودي، 2017، صفحة 48).

من هنا تبدو المورفولوجيات القبلية بمثابة أشكال ووسائل للحشد، ولهذا السبب تستمر طويلا قبل أن تختفي، ومن ناحية أخرى تواصل هذه الأشكال حياتها حتى داخل المجالات الترابية رغم تحول نمط العيش والمكان وكذلك توزع الأفراد داخل الأحياء في المدن، فظاهرة القبلية مازالت

متجذرة في المجتمع التبسي وداخل مدنه، رغم غياب شكلها الخارجي الواضح، كون الروابط التي يرتبط بها أفراد القبيلة هي روابط معنوية، والتي تعتبر من بين أقوى الروابط الإنسانية.

2.3. طبيعة العروش في مدينة تبسة

تختلف نوعية التماسك بين مكونات القبيلة من مجموعة إلى أخرى، لذلك من الصعب الفصل بين مجتمع القبيلة والمجتمع ككل، كون الأفراد يتناسبون ويخرجون من أنسابهم من نطاق القرابة الدموية مع الزمن ويتفرعون داخل المجتمع، حيث أن سلسلة النسب تصلح لتفسير العلاقات السائدة، والقرابة نظرية تقدم لتأكيد التجانس، وهي ليست واقعا يمكن إثباته تجريبيا، فالزمن الذي يفصل بين الأجداد والمؤسسين في كل مستوى من مستويات النسب نظري وأسطوري، وهذه الخاصة تتأكد أكثر بقدر ما نصعد في هذه السلسلة من الحاضر اتجاه الماضي، نحو الجد المشترك، هذا يعني أن القرابة لها وجود حقيقي في المستويات السفلى في البناء الانقسامي، لكنها تتحول في المستويات العليا إلى مجرد مبدأ (حمودي، 2017، صفحة 24)، حيث القبلية تكون أكثر تماسكا في المجال المكاني، وتقل كلما اتسع المجال، وهذا ما تفسره قوة العلاقات القرابية في الريف وضعفها في المدينة.

والعروشية في مدينة تبسة وبعض المناطق في الجزائر تعد جزءا لا يتجزأ من المشهد الاجتماعي والسياسي الحديث، شأنها شأن الجماعات العرقية واللغوية والشبكات الاجتماعية المتماسكة في الأوساط الحضرية، إذ بالإمكان العثور على الشبكات القبلية في المناطق الحضرية، فمن المجحف التسليم بأن القبلية تتعلق بالمنطقة النائية أو المناطق القروية، أو أنها تركز على قرابة الدم فقط.

حيث تقوم ظاهرة القبلية على أساس الزواج الداخلي والمصاهرة، وبانتقال الأفراد إلى المدن توسعت دائرة العلاقات وأصبح الزواج يتعدى أفراد القبيلة الواحدة، وذلك لوجود علاقات جديدة تتيح فرصة الزواج الخارجي، مثل علاقات الجيرة والمصلحة والزمالة في العمل والدراسة وميولات الأفراد التي أصبحت أكثر تحررا من قبل.

3.3. توزع العروش في مدينة تبسة

1.3.3. عرش النمامشة

النمامشة فرع من فروع العائلة البربرية الكبرى هوارة التي بدأت في الظهور خلال القرن العاشر في إقليم تبسة بعد نزوحها من المنطقة الطرابلسية وهجرتها إلى الأوراس واستقرارها في جبل ششار في قرية قرب الحمرا ولا تزال أثارها تحمل اسم تاقليعت نلموش، وهو اسم يعني قرية النمامشة، وهي قبيلة مرهوبة الجانب تتكون من ثلاث عشائر كبرى هي: البرارشة والعلاونة وولاد رشاش، وأكبر هذه القبائل ولاد رشاش والتي ضمت إلى حوز خنشلة، وبقي في حوز تبسة البرارشة والعلاونة، حيث الملكيات الزراعية لهاتين القبيلتين متداخلة ومشتركة وموزعة في كل جهات الإقليم دون حد فاصل بينهما ولذلك فإن عشائر القبيلتين مندمجة في بعضها وهي كذلك إلى اليوم (مقابلة مع أحد كبار قبيلة النمامشة).

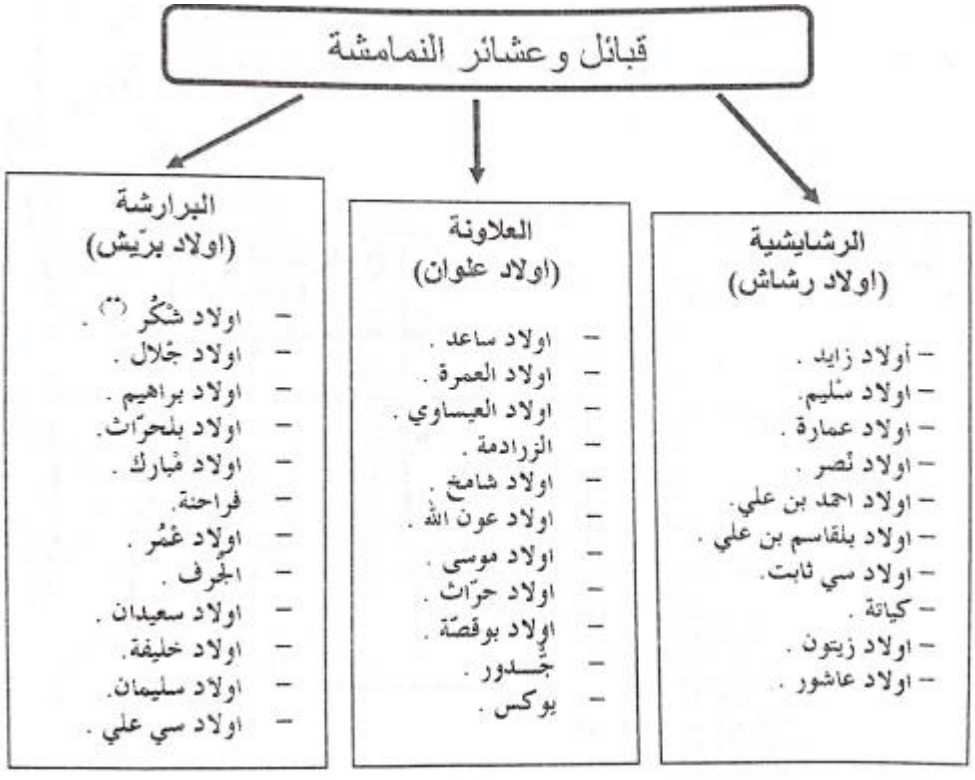

المصدر: كتاب حوز تبسة للمؤلف: بيار كاستال، ترجمة العربي عقون، ص321

- **خصائص عرش النمامشة**

كان بعض النمامشة قرويين يسكنون قرى تابردقة وبعضهم رحل يتكونون من عدة نجوع، وكان كبير أعيانهم وأسمه الرزقي بن عمارة من ولاد رشاش يتصف بالشجاعة والمروءة والقوة وكان لجدهم الأكبر محمد بن عثمان نسل كبير تكونت منه الفرق الثلاثة السابقة الذكر، ولاد رشاش والعلاونة والبرارشة (كاستال، 2010، صفحة 169).

كما تميزت قبائل النمامشة بعد ذلك بالفروسية والقوة والسيطرة وكذلك عدم الخضوع للحكام، وقد كانت هذه القبائل تغزو على القبائل الأخرى من أجل السلب والنهب للحصول على الغنائم، وفي عهد الاستعمار الفرنسي كانت قبيلة النمامشة في المقدمة لمواجهة الاحتلال، بحمل السلاح وعدم الخضوع، فقد ظل الاحتلال لا يقوى على التوغل داخل إقليم هذه القبيلة، لأن أهاليها متحدين في موقفهم من الاحتلال، يجمعهم نمط حياة موحد ونفس الرؤى والمواقف

والمصالح، وكان لا يمكن للإدارة الفرنسية مراقبتهم إلا خلال الربيع والصيف عندما يصعدون من الصحراء ويقيمون في بحيرة الأرنب ومشنتل وثليجان وقريقر، وحتى الذين أعلنوا خضوعهم كان ذلك ظاهريا ووهميا.

وفي هذا السياق كتب القائد الأعلى قائلا: "**النمامشة الخاضعون هم غير كذلك في الواقع، إنهم يدفعون ضرائب أقل ويؤجرون الأرض ويتاجرون لصالح القبائل الأخرى غير الخاضعة، التي تخفي عندهم كل المشبوهين واللصوص والقتلة، الذين صدرت في حقهم أوامر بالقبض عليهم، فلا فرق كبير بين الخاضعين والعصاة، كلهم يقومون بالنهب، ويدعون غنائمهم لدى العشائر غير الخاضعة، يقاسمونها الأموال والحيوانات المسروقة، وهم في مأمن دائم من المتابعة الأمنية، يخضعون ليكونوا حاجز وقاية لإخوانهم المتمادين في العصيان وأكثر من ذلك ينقلون إليهم ما يجري في الطرف الفرنسي**" (كاستال، 2010، صفحة 195).

وقد كانت قبيلة النمامشة في صراع مستمر ضد القبائل الأخرى المجاورة لها بسبب الأراضي والمياه، كما أنها خاضت عدة معارك وثورات أخذت فيها وسام البطولة الرمزي ومن بينها:

- ثورة حيرباص ضد روما.
- مشاركة الكاهنة في حروبها ضد العرب المسلمين.

- مشاركة بعض عروشها الجنوبية في ثورة صاحب الحمار مخلد ابن كيداد اليفرني ضد العبيديين.
- ثورة النمامشة والحراكتة ضد الحكم العثماني 1780. حيث كانت سببا في افتكاك أراضي قريبة من قسنطينة من النمامشة بقيادة الوزناجي وهو قائد إنكشاري معروف.
- ثورة التكاكا (1954)
- ثورة النمامشة الأولى ضد فرنسا 1871.
- ثورة النمامشة الثانية ضد فرنسا 1916.
- الثورة الجزائرية المظفرة 1954.

وهناك عدة حروب خاضتها ضد القبائل المجاورة أمثال العمامرة والهمامة والسوافة وأولاد عبيد والتلية وأولاد يحي حيث كانت الغلبة لها دوما نظرا لبسالة رجالها في القتال وشجاعتهم وكثرتهم، غير أن النمامشة كانت دوما محل كرم وضيافة لقبائل اولاد يحي وأولاد ملول القبيلتين اللتان كانت حليفتان للنمامشة دوما إلى يومنا هذا ولم تسجل أدنى مناوشات بينهما، وقدمت قبيلة النمامشة الكثير من الشهداء أيام الثورة المباركة ونكلت فرنسا بسكانها كثيرا ورحلت العديد منهم إلى الصحراء وضربت عليهم حصارا كبيرا، ولا يوجد بيت من بيوت النمامشة إلا وفيه شهيد أو مجاهد (فاتح، 2022).

2.3.3. عرش ولاد يحي

أولاد سي يحيى بن طالب هو اسم عرش يجمع عدة قبائل أمازيغية نوميدية تستوطن شمالي تبسة بشكل رئيسي منذ حقب طويلة، من أبرز هاته القبائل البطايشة، أولاد مولة، الهرايسية، ورفلة المغارسة، البلالة، العبادنة، الخنافسة، الحمايلية، أولاد بريك، المرازقة، المعاليم، وقبائل أمازيغية كثيرة مندرجة ضمنه، تنتمي هذه الفرق (إخوة الحنانشة) إلى قبائل هوارة الأمازيغية المستعربة منذ الفتح الإسلامي، والتي كانت منذ القدم تقيم بين تبسة إلى باجة شمالا وبين تبسة إلى حدود قابس بتونس جنوبا، حيث كانت هذه القبائل تشبه إلى حد كبير قبائل الجزيرة العربية في نمط عيشها بسبب المناخ الحار الذي يميز المنطقة والذي يشبه إلى حد كبير مناخ الجزيرة العربية، كما ذكر أبرز المؤرخين العلامة ابن خلدون الذي دون تاريخ الجزائر وتونس والمغرب في تلك الفترة بشكل دقيق (كاستال، 2010، صفحة 293).

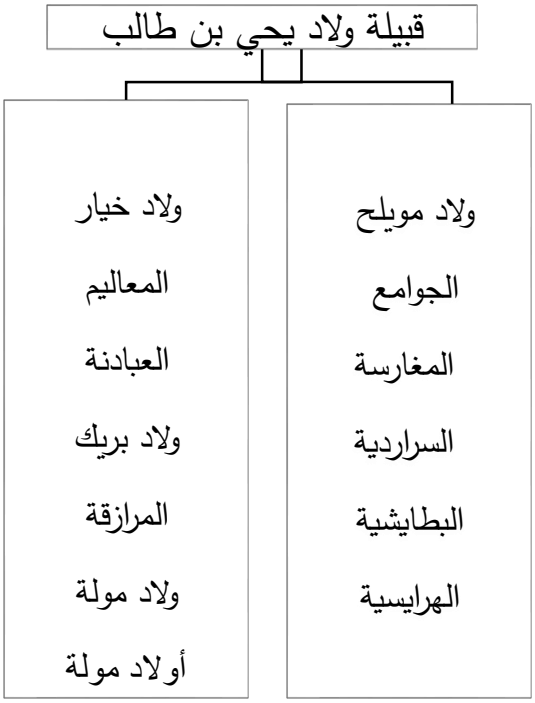

المصدر: من إنجاز الباحث

3.3.3. عرش ولاد عبيد

هم قبيلة نزحت إلى الإيالة التونسية بعد إعلان استسلامها من قبل القوة الفرنسية، وعودتها بعد ذلك لتستولي على أراضي في حوز تبسة، بعد اعتداءات شنتها فرق منها لتمتلك أراضي في كل من قنتيس وتنوكلة وبكارية (كاستال، 2010، صفحة 292)، وتتفرع هذه القبائل إلى عدة فرق كالتالي:

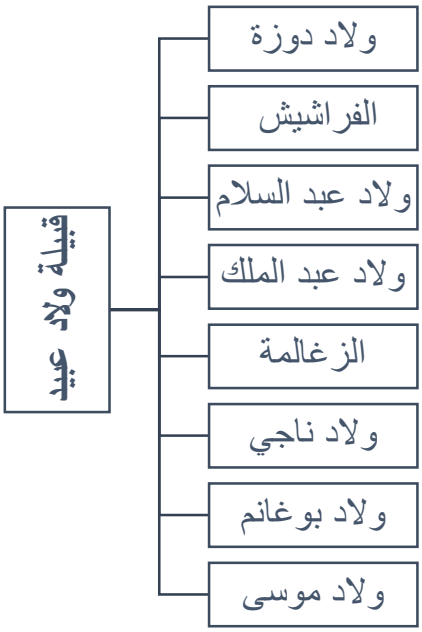

المصدر: إنجاز الباحث من خلال مقابلة أجريت مع أحد كبار قبيلة ولاد عبيد

- **خصائص قبيلة ولاد عبيد:**

كانت هذه القبائل خارج الصراعات لطبيعتهم المرابطية لأنهم أهل زاوية أكثر منهم رجال حرب، وكثيرا ما يولون الطاعة للنظام الذي يلمسون فيه القوة والحق، حيث كان نشاطهم مرتبط بالزوايا وكذلك التجارة من خلال التنقل بين حدود تبسة وحدود تونس لتبادل السلع وذلك لتمركزهم على الحدود، أما تربية المواشي فهي من النشاطات الحديثة لهذه القبائل كونها لا تملك أراضي زراعية مثل باقي القبائل ماعدا التي تم حيازتها بعد الاستقلال ولكن المناخ الجاف حال دون زراعتها (ن.غ، 2021).

إضافة إلى عروش أخرى مثل **ولاد دراج** الذين ينتسبون لقبيلة ولاد نايل، وعرش يسمى **الأتراك**، وهم أقلية في مدينة تبسة، وقد اندمجوا مع القبائل الأخرى من خلال النسب والمصاهرة والجوار **(أنظر الشكل1)**.

4.العصبية القبلية (العروشية)

بدأت العصبية القبلية سلوكا فرديا وإحساس نفسي ينتاب الفرد فيخرج للذود عن قبيلته، ثم أصبحت برنامجا متكاملا، الهدف منه تحقيق الجماعات أهدافها خاصة حينما إختمرت فكرة القبيلة في عقلية الإنسان.

وتعرف العصبية على أنها رابطة معنوية ذهنية، تصل وشائح القربى وتشد اللحمة بين الأقرباء والأولياء (الدراجي، 2003، صفحة 23)، حيث يرمي مفهوم العصبية إلى الرابطة الاجتماعية والتلاحم بين أعضاء المجتمع والتكافل الاجتماعي، كما يعرفها عابد الجابري في كتابه 'العصبية والدولة' على أنها رابطة اجتماعية سيكولوجية شعورية ولا شعورية تربط جماعة قائمة على القرابة المادية والمعنوية تظهر هذه الرابطة جليا عندما يكون هناك خطر يهدد أفرادها، فقد تكون العصبية بمثابة الأسوار التي تحمي القبيلة، إذ تقوم بصد العدوان كوازع معنوي داخلي (الدراجي، 2003، صفحة 181).

وتتجلى مقومات العصبية عند ابن خلدون من خلال عامل النسب، حيث يقول إبن خلدون "صلة الرحم طبيعية في البشر إلا في الأقل، ومن صفتها النعرة على ذوي القربى، وأهل الأرحام،

أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة، فإن القريب يجد نفسه غضاضة على ظلم قريبه، أو العداء عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك" (الدراجي، 2003، صفحة 165).

5. تأثير العروشية على السلوك الإجرامي

تؤثر القبيلة والعشيرة والعائلة الممتدة، سواء إيجابيا أو سلبيا بشكل صريح أو بشكل ضمني في البنى الاجتماعية للبلاد والمناطق التي تشكل جزءا منها (حمودي، 2017، صفحة 59)، حيث أن العروشية تجعل المجتمع يتمايز إلى مجموعات تحمل كل منها اسما خاصا بها ويشكل رابطا معنويا بين أفرادها، حيث ترتبط هذه الأفراد وتشكل بانتمائها حاجزا منيعا لا بدخله أفراد المجموعات الأخرى.

وما يميز المجتمعات المغاربية كما ذكرها ابن خلدون هي ظاهرة البداوة التي تتميز بالانتشار الواسع في أقطار المغرب الإسلامي كافة، وبالمقابل فقد وجد أن مظاهر الحضارة والتمدن بقيت منكمشة ومتقوقعة ضمن المدن والأمصار، دون أن تتطور في المسار المطلوب ألا وهو المسار الحضاري، وذلك لعجزها عن تذويب المظاهر البدوية (الدراجي، 2003، صفحة 164).

وهذا ما يظهر جليا على المجتمع التبسي الذي مازال منقسما إلى عروش منذ الأزل، وهذا الانقسام يتجلى في المعاملات والممارسات، في جميع الميادين الاجتماعية والثقافية والسياسية وحتى الاقتصادية، أما بالنسبة للسلوك الإجرامي فإن انقسام العروش يجعلها تتميز بالحمية أو ما سماها ابن خلدون النعرة على ذوي القربى، حيث يمكن أن تنشب معارك طاحنة بين العروش، يستعمل فيها حتى السلاح، وذلك لعدة أسباب من أهمها أسباب متعلقة باعتداء أحد الأفراد من عرش معين على فرد من عرش آخر أو من أجل الأرض أو من أجل الشرف المتعلق بالمرأة خاصة، مما يولد نوعا من العداء بين العروش ويجعل المجتمع منقسما بعدائية، كما أن للعروش جانبا إيجابيا والذي يبرز من خلال التآزر فيما بينها ومحاولة حل المشاكل المتعلقة بأفرادها وإبرام الصلح بين المتخاصمين، حيث يتجمع العرش الواحد ويأخذون كبارهم إلى مجموعة أخرى طلبا للصلح وحل المشاكل بالحسنى والتفاهم.

ثانيا: البناء الأيكولوجي للمدينة

يعد الاجتماع الإنساني والعيش في مجموعات من أهم الخصائص البشرية، بل اعتبره ابن خلدون من الضروريات الإنسانية، من أجل الأنس والجيرة والتشارك كما أنه من فطرة الإنسان التعاون على المعاش، فالقبائل الرحل تنتقل في جماعات، وتضرب خيامها على شكل مجموعة تشكل بذلك القبيلة أو العشيرة ، لتنتقل بعد ذلك المجتمعات من حياة الترحال وعدم الاستقرار إلى حياة الاستقرار في القرى وامتهان النشاط الزراعي والرعي وتربية الحيوان، لتخط بعد ذلك المدن، وحياة الكماليات، والتي تتميز عن الحياة السابقة بالتوسع والخصوصية وخط الطرق والشوارع وظهور الأحياء وتنوعها وتنوع المساكن فيها.

1. الأحياء السكنية لمدينة تبسة

يشكل الحي جزء أساسي في الحياة الاجتماعية للفرد الجزائري والتبسي بالتحديد، كما أن هناك أصناف متعددة للأحياء، بحيث:

1.1. مفهوم الحي:

يعبر الحي منذ ظهوره على نمط تنظيم للجماهير وهو المكان الذي يعيش فيه الإنسان في مجال جغرافي واجتماعي، والحي يشير إلى جماعة من الأفراد تربطهم علاقات عديدة ويتشاركون في المصالح والاهتمامات داخل حيز مكاني، وهدفهم السعي نحو تحقيق استمرارية الحياة والشعور بالانتماء من خلال علاقات تحكمها قواعد ومبادئ معينة، كما أن الحي يعبر عن وحدة عمرانية متجانسة من خلال التخطيط وبناء المساكن والأرصفة والطرقات (عاشور، 2008، صفحة 20).

2.1. أشكال الأحياء السكنية

لكل حي من الأحياء السكنية كيان متميز، يظهر تأثيره بشكل واضح على سعر العقار، حيث نجد الاختلاف الواضح والكبير بين أسعار المساكن والأراضي من حي إلى أخر، وينتج ذلك في الغالب بسبب موقع الحي والخدمات المتوفرة به، وكذلك طبيعة السكان وطرق معاملاتهم ووجود الجريمة في الحي أو اختفائها، ولكن التأثير الأكبر يكون لخصائص السكان المقيمين فيه من ناحية الأسر ومستواها الاقتصادي والثقافي، وخلفياتها العرقية والجغرافية وقوة علاقاتها الاجتماعية (عاشور، 2008، صفحة 20)، ومن أهم التصنيفات التي صنفها العلماء للأحياء كما يلي:

1.2.1. الحي الشعبي

ويظهر الحي الشعبي كوحدة عمرانية له تنظيم معين تسكنه فئات من عامة الناس من الفئات الشعبية ذات الدخل المحدود والمستوى المعيشي الضعيف أو المتوسط، تمتاز هذه الأحياء بالقدم وهي أحياء مخططة ومهيكلة، أغلب مساكنها مبنية بمواد محلية تمتاز بالبساطة، كما يعرف عن الحي الشعبي بصفة عامة أنه مكان التقاء فئات اجتماعية مختلفة تمتاز حياتهم اليومية بالتعقيد من جراء الاكتظاظ الكبير الذي تشهده (شويشي، 2006، صفحة 76)، وعلى الصعيد العمراني من حيث التخطيط فإن مثل هذه الأحياء تمتاز بأزقتها الضيقة وتداخل منازلها وقلة المرافق الضرورية داخل المنازل.

ومن جهة أخرى فإن ما يميز عادة الأحياء الشعبية هو وجود فئات مختلفة ضمن تركيبة المجتمع والمتمثلة في الشيوخ والنساء والرجال والأطفال، أما الشباب فهم موجودين بكثرة من فئات عمرية مختلفة، من جهة أخرى فيما يخص حجم الأسرة داخل هذا المجال العمراني التقليدي فجلها عائلات ممتدة وكبيرة ذات مستوى تعليمي ومهني ضعيف، إلا أنه على مستوى العلاقات الاجتماعية فنجدها جد وطيدة بين أفراد المجتمع "المجال"، ويعود تاريخ هذا النمط العمراني في الجزائر إلى الحقبة الاستعمارية التي ساهم وجودها في تطور هذا النوع، نظرا لما عرفته تلك المرحلة من هجرات كبيرة لسكان الريف نحو المدن، مما ساهم في اكتظاظ المدن (شويشي، 2006، صفحة 76).

2.2.1. الحي التقليدي:

تعني الوحدة العمرانية التي تسكنها فئة من المجتمع منذ فترة زمنية طويلة وقديمة، وهو أحد الأشكال الأكثر انتشارا بالمقارنة مع الأحياء الشعبية والعصرية حديثة النشأة، ولهذا النوع من الأحياء خصائص بارزة تميزه عن باقي الأحياء الأخرى، والتي تدل عليه مؤشرات ذات طابع تقليدي ويتجلى ذلك من خلال انتشار المنشآت الدينية كالمساجد المزخرفة والمنازل التقليدية ذات الأبواب الخشبية وأيضا حجم الأسرة الكبير، ومن الأشياء المرتبطة ارتباطا وثيقا بالأحياء التقليدية هو انتشار الأمية وهذه الأخيرة من شأنها أن تأثر سلبا على تطور أساليب الحياة الحديثة داخل الحي، لكن الملاحظ أن هذه الأحياء ما تزال تحافظ على جوانب تقليدية ترتبط بالمهن والحرف الممارسة من طرف أفرادها بكثرة، والجدير بالذكر أن جل الأحياء التقليدية بالجزائر بنيت إبان الحكم العثماني الذي يعد النواة الأولى لمثل هذه الأنماط العمرانية، وتتميز مباني هذه الأحياء بنوعية مواد البناء التي استخدمت

في تشييدها والمتمثلة في مواد محلية بسيطة، كما يلاحظ على الأنماط العمرانية أنها تمتاز بالكثافة، مشكّلة نسيج متلاحم حسب منطق يراعي الجانب الفيزيقي والوظيفي، وبيوت الحي التقليدي مبنية بالحجارة والطين وغالبا ما تكون متلاصقة، شوارعها ضيقة متعرجة وكثيرا ما يكون المبنى مكون من طابقين يتم إيصالهما بسلالم وتكون محاطة بفناء" حوش" أو وسط الدار (شويشي، 2006، صفحة 77).

وفي مدينة تبسة بالتحديد هناك نوعين من المساكن التقليدية، نوع بني إبان الحكم العثماني، ونجده داخل الأسوار الرومانية وتتميز مساكنه بالحجارة الضخمة والأبواب الخشبية المقوسة، وكذلك بناءات خ0لفها الإستعمار الفرنسي، وهي ذات طابع أوروبي ، أزقتها واسعة وتتميز بناياتها بالأبواب القصيرة والنوافذ الحديدية الطويلة، الحجارة الضخمة والإنتظام في البناء، ومعظم هذه الأحياء إكتسحتها الأحياء ذات الطابع المحلي، بسبب بناياتها المكتضة والمتلاصقة.

3.2.1. الحي العصري

يعبر عن وحدة عمرانية تسكنها فئة من المجتمع في فترة زمنية قصيرة ومعظم الأحياء العصرية حديثة النشأة مقارنة بالأحياء القديمة، وهدف إنشاء هذه التجمعات السكانية هو إدخال نمط عمراني حديث لحل أزمة السكن والتي أصبحت تعاني منها جل المدن، وما يميز هذه الأحياء أنها لا تراعي هذه التقاليد والعادات على الصعيد الاجتماعي والعمراني، حيث أنها عرفت تغييرات داخلية، وهذه الأحياء عبارة عن تجمعات مبنية بوسائل وأشكال مخالفة على التي عرفت به الأحياء القديمة، وعلى صعيد المواصفات الفيزيقية فهي تمتاز بأنها ذات ارتفاع به عدة طوابق لها شكل هندسي موحد وعدم وجود بعض التجهيزات ذات الأهمية الكبرى مثل الأسواق وما عدا ذلك فهي تتوفر على تجهيزات تفتقر لها جل الجماعات السكانية ذات الطابع الشعبي والتقليدي مثل الشبكات الحيوية " ماء، كهرباء، غاز، هاتف "، كما تتميز بالانفتاح على الهواء الطلق، وتمتاز شوارعها الواسعة عكس التجمعات القديمة ذات الممرات الضيقة، كما تتوفر على مواقف السيارات ويسودها طابع العمارات (شويشي، 2006، صفحة 78) .

4.2.1. الحي العشوائي:

الأحياء العشوائية هي أيضا شكل من أشكال احتلال سكان القرى والأرياف للأماكن التي تحيط بالمناطق الحضرية، هذه الأماكن تركت فارغة من طرف ملاكها أو الدولة وتم حيازتها أو بعبارة أخرى التعدي عليها من طرف مجموعة من السكان المهمشين الذين يعيشون في ظروف اجتماعية صعبة، ويتفق العديد من الباحثين في مجال الأحياء العشوائية أنها مناطق سكنية ذات مظاهر سيئة تفتقر الى مخطط توجيهي رئيسي وتتميز بخصائص اجتماعية واقتصادية وثقافية خاصة، حيث يغلب عليها طابع الفوضى والعشوائية (معتوق، 1997، صفحة 301).

يعرفها "فرمان Formon" بأنها عبارة عن جزء من أجزاء المدينة المزدحم بالسكان الفقراء، وينخفض بها مستوى النمط العمراني ونوعية السكان، وتسودها قيم نزعية ذات معايير أخلاقية وقيم نابعة من وضعها الاجتماعي والاقتصادي والصحي والتعليمي المنخفض والعادات والتقاليد السيئة والسلوك المنحرف، في حين أن سكانها يتمتعون بظاهرة اللامبالاة، أما "جيست Custe" يرى بأنها منطقة سكنية فقيرة، سكانها فقراء، وهي منطقة مفككة اجتماعيا، وأيضا مأوى للمجرمين الهاربين من العدالة والقانون والخارجين عن المجتمع، ويضيف "برجل Berojel" بأنها أماكن تتميز بمساكن منخفضة المستوى بالنسبة للأسس والمعايير الإسكانية السائدة في المجتمع الحضري (بوذراع، 1997، الصفحات 13-15).

كما نجد "كلينارد Clinard" يرى أنها أسلوب حياة وثقافة فرعية ذات قيمة ومعايير اجتماعية معينة، وأن سكانها قد انعزلوا وتقوقعوا في مناطق بعيدة عن مناطق القوة، حيث ينظر إليهم على أنهم دون مستوى غيرهم من سكان المدينة (وليمي، 2007، صفحة 159).

ويضيف "ريتشارد استفين Richard Esteven" أن هذه الأحياء الغير قانونية هي مناطق ينجز فيها السكان بناياتهم الذاتية، دون الاعتماد على مخطط أو الأخذ بعناصر تنظيم الحي الحضري، والالتزام بقياسات ومواصفات المخطط والاعتراف بالمفاهيم الخاصة بالحدود، خاصة الحدود التي تتعلق بالطرق والمدارس وبنظام تصريف المياه، واذا وجدت هذه الخدمات فإنها قليلة في هذا النوع من الأحياء (وليمي، 2007، صفحة 160).

تعرف الجمعية الاجتماعية لمدنية "ري دي جينيرو Rio D.Janiro" " الفافلا Favella" الأحياء العشوائية على أنها مجموعة من السكنات المبنية ذاتيا وذات كثافة سكانية مرتفعة، بنيت بطريقة فوضوية وبمواد غير مناسبة وبدون تدخل المصالح العامة أو بنيت فوق أراضي الخواص بغير موافقة أصحابها (وليمي، 2007، صفحة 161).

أما أحمد الجوصري، فيعرفها بأنها عبارة عن مناطق سكن عشوائي سريعة النمو ذات كثافة سكانية تقع بالقرب من المنطقة الحضرية (الجوصري، 1977، صفحة 122).

ويضيف "السيد عوض حنفي" بأن هذه الأحياء العشوائية هي أماكن الإقامة ضمن المدينة التي تعبر عن واقع اجتماعي واقتصادي وفيزيقي متردي بالنسبة للبناء الاجتماعي للمدينة، يقيم فيها مجموعة من الناس على مساحة أو أرضية، غالبا ما تكون بوضع اليد، غير ملائمة للسكن الإنساني، وترمز هذه المناطق عادة لغياب العدل وعدم المساواة والمسؤولية الجمعية، كما تدل على التكافؤ الاجتماعي للمواطن (عوض، 1997، صفحة 97).

2. الفضاء الخاص (المسكن)

يمكن اعتبار أن المسكن والحاجة إلى السكن بالتحديد هو ما ساهم في تطور المجتمعات، والتحول من جماعات هائمة في الطبيعة بحثا عن الماء والغذاء تلجأ عند هبوط الظلام إلى الكهوف والأدغال بحثا عن الحماية من قوى الطبيعة ومن المفترسات، إلى جماعات تقيم مع بعضها، وتصنع الدفاعات الكفيلة بالذود عنها وعن ممتلكاتها (إبراهيم ف.، 2019، صفحة 1).

1.2. تعريف المسكن

والمسكن هو المنشأة التي يأوي إليها الإنسان وعائلته للعيش والاحتماء من عوامل الطبيعة، ولقضاء احتياجاته اليومية خارج نطاق عمله، ويستخدمه للراحة والنوم، وتحضير الطعام وتناوله، واللقاءات الأسرية والاجتماعية، وممارسة بعض النشاطات والهوايات الأدبية أو الفنية أو الرياضية أو الترفيهية أو الإنتاجية (إبراهيم ف.، 2019، صفحة 1).

ويعرف المسكن على أنه المنزل الذي تسوده العلاقات الإنسانية، والذي يكفل تماسك الأسرة ورقيها، وفيه يبلور كل فرد منها ذاته وكيانه الاجتماعي ويحمي حياته الخاصة بشكل عادي، وبذلك هو من أهم حاجيات حياة الفرد والأسرة وشكل من أشكال ثقافتها المادية، ويعرف بيار جورج المسكن

بأنه عنصر أساسي للارتباط بين الفرد والعائلة والوسط الاجتماعي والصلة اليومية في الإطار التاريخي والجماعي والوظيفي معا، ويصنع نموذجا من الإنسانية (سعيد، 2007، صفحة 13).

ويقوم المسكن بعدة وظائف كما أشار إليه Robert Lerous ، حيث يوضح في دراسته حول إيكولوجية الإنسان، أن المسكن يستجيب إلى عدة وظائف، حيث يقي الفرد من العواصف والأمطار والثلج والشمس، ويحافظ على الفرد من العدوان الخارجي ويحفظ الأشياء السرية ويحافظ على الخصوصية الفردية والأسرية وذلك بتركيزه على السقف الذي يمثل الحماية (باشلار، 1987، صفحة 44)، وذهبت اليزابيت وود إلى القول في نفس الصدد أن المسكن الجيد يسمح للعائلة بتحقيق وصيانة الشرف وعزة النفس ويوفر فضاء إضافي يستجيب لطموحات أخرى (سعيد، 2007، صفحة 13).

2.2. الحاجة إلى المسكن

المسكن هو الوحدة الأساسية التي قامت عليها الحضارات وتطورت بها الإنسانية ويعكس تطوره تطور الجنس البشري، وبالنظر إلى النماذج المذكورة للمسكن عبر التاريخ نلاحظ أن التصميم الأساسي سواء للمسكن الريفي أو المديني لم يطرأ عليه كثير من التغيرات، خاصة وأن التصميم كان مستوحى من طبيعة المكان وحاجة الأشخاص في المجتمع، فكانت العوامل الأساسية المؤثرة في التصميم هي:

- الاحتفاء بالزوار وإقامة المراسم الدينية
- الفصل بين مساحة العائلة ومساحة الضيوف
- تعديل المناخ داخل المنزل والعمل على تلطيفه (معظم الحضارات القديمة قامت في مناطق حارة) .
- تخصيص مزيد من المساحة للنساء، باعتبارهن يبقين في المنزل وقتا أطول، ويمارسن فيه كل نشاطاتهن وأعمالهن تقريبا.
- الراحة والاستجمام والتمتع بالنباتات والمياه.
- حفظ المؤن ورعاية الحيوانات.

3.2. أنواع المسكن

يمكن تقسيم أنواع المسكن كما ذكر الدكتور عبد الفتاح وهيبة في كتابه "جغرافية العمران" إلى :

1.3.2. المسكن الريفي

ينظر إليه على أنه أساس نشأة السكن، كما نعرفه اليوم فهو المرحلة التالية للاستقرار في المزارع والمراعي بعد مرحلة الصيد وسكن الكهوف، وينقسم إلى نوعين طبقا لنشاط السكان في المواسم المختلفة فقد كان هناك:

1.1.3.2. المسكن المؤقت

الذي يتخذه الصيادون والرعاة وحتى المزراعون البدائيون في مواسم معينة، تتكرر كل سنة أو تتغير كل بضعة سنوات، ومن أشكال هذا النوع من السكن الخيام والعشش المؤقتة والأكواخ الثلجية، وقد تكون منفردة أو على هيئة تجمعات صغيرة حسب النشاط والموقع الذي تقام فيه (إبراهيم ف.، 2019، صفحة 16).

2.1.3.2. المسكن الدائم

ويتمثل في بيوت القرى التي تبنى غالبا من الطين والقش ويسكنها غالبا من يشتغلون بالزراعة، وقد تقام على أطراف الأرض الزراعية كتجمعات، تتكون منها القرى التي تمثل اللبنة الأولى لقيام بعض المدن (إبراهيم ف.، 2019، صفحة 16).

2.3.2. المسكن الحضري أو المديني

يعتبر صورة متطورة للسكن الريفي، لكنه بني بمواصفات المدينة التي تتلاصق بيوتها وتتراصف على جانبي الشوارع، وتتميز هذه المنازل بمساحتها المحدودة وطبقاتها المتعددة، كما تكون منظمة بشكل جيد لتستوعب نشاط ساكنيها الذين تختلف أعمالهم ووظائفهم عن سكان الريف (إبراهيم ف.، 2019، صفحة 16).

يمكن تحديد أنماط المساكن الحضرية من حيث الشكل والتخطيط والقدم والجدة إلى:

1.2.3.2. المسكن الفردي

هو مسكن تستعمله أسرة واحدة تكون أغلب الأحيان أسرة نووية، وقد تم بناؤه أو شراؤه أو كراؤه، وهو مسكن خاص بالأسرة أي الاستعمال الفردي، وهذه المساكن تجمع بين الطابع الحديث والقديم من حيث الشكل، ويكون دون حديقة أو ساحة، ويمكن تصنيف نوعين من هذا النمط :

- ✓ **الفلل الفاخرة:** والتي ظهرت في أوروبا وانتقلت إلى الدول الأخرى عن طريق عملية التثاقف في التخطيط وطريقة توزع الغرف والطوابق، وتستخدم فيها عادة مواد بناء ذات جودة وثمن أغلى، حيث يقطن هذه المنازل الفاخرة الميسورين وأعيان المدينة، كما تتميز شوارع هذه المناطق بالاتساع وتباعد المنازل عن بعضها، إضافة إلى وجود مساحات أمام هذه المساكن تخصص للمساحات الخضراء وفناءات لسيارات مالكيها، في حين تخلو هذه المساكن من المحلات والأسواق في شوارعها (المالكي، 2016، صفحة 29).
- ✓ **مسكن فردي قديم:** وهو منزل يكون قديم في بنائه ويكون بمعايير عربية، أي يحتوي على الحوش أو الفناء والذي تحاط به الغرف، وعادة يبني الساكنين فوقه طوابق من أجل أن يضم العائلات النووية، ويتميز هذا النوع بالخصوصية، وكذلك أصحابه هم الساكنون الأوائل للمدينة.

2.2.3.2. المسكن نصف الجماعي

هو سكن جماعي به خصائص السكن الفردي، وهو عبارة عن خلايا سكنية مركبة ومتصلة ببعضها عن طريق الجدران أو السقف، لا يتجاوز عددها إثنين أو ثلاث سكنات تشترك في الهيكلة وفي بعض المجالات الخارجية (المالكي، 2016، صفحة 29).

3.2.3.2. المسكن الجماعي

ويتكون من مجموعة من الطوابق، ويمثل العمارات التي قد تصل إلى عشرة طوابق أو أكثر، ويشترك سكانها في مدخل واحد، وقد تكون متجانسة من الداخل وتختلف من حيث عدد الغرف، كذلك هو المسكن الذي تستعمله أسر عديدة سواء كانت تربطها علاقات قرابة أو لا، ومن سلبيات هذه المساكن هو انعدام الخصوصية وكذلك الجيرة، والتي بدورها تؤدي إلى المخالطة بين الأفراد ونشوء المشاكل والاعتداءات، نظرا لضيق المساحات أمام المساكن وبين الطوابق وعدم خصوصية هذا الوسط الحضري، ففي المدن تبنى الدور بالقرب من بعضها البعض، القاعدة العامة أن تبنى

حائطا لحائط، حيث أن التصور الشائع في الوقت الحاضر يربط المدينة بخصائص كمية محضة (المالكي، 2016، صفحة 29).

ثالثا: البيئة العمرانية وعلاقتها بالجريمة

للمسكن والحي دور كبير في تحديد مستوى السلوك الإجرامي لدى تجمع المدن، ولتطور المدينة وازدياد كثافتها السكانية دور أكبر في تطور الجريمة كما وكيفا، وتلك هي ضريبة التطور الحضري للمدينة، فلقد أثبتت العديد من الدراسات وجود تناسب طردي بين التطور الحضري للمدن وارتفاع مستوى الجريمة فيها، وذلك رغم ارتفاع مستوى الأسلوب العلمي والتقني في مكافحة الجريمة، والعمارة لها دور في تحديد مستوى السلوك الإجرامي وأعمال العنف والانحراف، فالمسكن والحي وكثافة السكان عوامل مؤثرة في تحديد طبيعة المجتمع (عاشور، 2008، صفحة 10).

1. العلاقة بين المسكن والجريمة

يتأثر اختيار مسكن الأسرة إلى حد كبير بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي للوالدين، فالأسرة التي يتوفر لديها دخل كبير سيكون باستطاعتها توفير مسكن في حي ذا مستوى رفيع وبعدد كاف من الغرف لأفراد الأسرة، وتوافر شروط الإضاءة والتهوية اللازمة، ومما لا شك فيه توافر المسكن بهذه الشروط الضرورية يكون له أثر طيب على الحالة الصحية لكل أفراد الأسرة مما ينعكس على سلوكهم داخل الأسرة وخارجها، فيصدر منهم السلوك السليم الذي يحميهم من الانزلاق نحو طريق الجريمة، أما عندما يكون دخل الوالدين منخفضا تضطر الأسرة إلى الإقامة في حي متواضع وفي مسكن يتناسب ودخلها الضعيف، وغالبا ما يكون هذا المسكن ضيق المساحة رديء التهوية والإضاءة ويتكدس فيه كل أفراد الأسرة، يضاف إلى ذلك حالة اشتراك أكثر من أسرة في شقة واحدة وكذلك اشتراك عدد كبير من الأولاد في غرفة واحدة، وتكون دورات المياه أو الحمامات مشتركة بين أفراد هذه الأسر **(زرارة، 2014)**.

ولا شك أن ظروفا مثل هذه يتولد عنها المنازعات أو الشجارات بين الأسرة الواحدة أو بينهم وبين جيرانهم، زيادة على سوء الحالة النفسية والصحية للقاطنين في مثل هذه الظروف، مما يؤدي بهم إلى محاولة الهروب منها وقضاء أغلب أوقاتهم خارجها، وانخراطهم في جماعات تكون في

الغالب ذات ميول إجرامية أو الانزلاق نحو الجرائم الخلقية أو جرائم العنف بسبب الازدحام الشديد بين سكان الحي.

وبذلك يلعب الموقع السكني وكذا المستوى الاجتماعي دورا كبيرا في نماذج السلوك التي يختلط بها الأطفال، فالطفل يختلط ويتصل بأطفال جيرانه داخل منازلهم ويكون على صلة بأسرهم وبذلك يبدأ في تقليدهم ومحاكاتهم، مما قد يؤدي به إلى سلوكيات منحرفة على غرار ما يلاحظه في هذه الصور، معتقدا أنها سلوكيات سليمة والحال أنها قد تكون إجرامية، لذلك فإن التواجد في مساكن بأحياء سيئة وغير لائقة له أثر كبير على اختلاط الأطفال بالسكان المجاورين، زد على ذلك المعاملة السيئة للأولياء تجاه أبنائهم، الأمر الذي قد يؤدي بهم إلى مغادرة المنزل لأوقات طويلة وما ينتج عن ذلك من التأثر بالسلوكيات الإجرامية لباقي الأطفال المنحرفين، مما يؤدي إلى سلوك طريق الجريمة، وبالتالي ارتفاع نسبة إجرام المدينة عنه في الريف، وقد ثبت في دراسة قام بها الباحث الفرنسي لوفاسور Levasseur سنة 1987 أن 90 % من الأطفال الجانحين في باريس ولدو وترعرعوا في الوسط السكني المتكون من الأكواخ والعمارات والأحياء الشعبية المكدسة بالسكان **(زرارة، 2014)**.

2. العلاقة بين طبيعة الحي والجريمة

تعتبر البيئة الإيكولوجية التي يعيش فيها الأفراد إحدى جوانب نوعية الحياة، حيث يمكن أن تسهم حالة هذه البيئة إيجابيا أو سلبيا، وتكمن طبيعة هذه البيئة في عدة جوانب تتمثل في:

– موقع الحي وحالة الشوارع والمواصلات، حيث يتوقف على حالتها انسياب الحركة وسهولة التفاعل الاجتماعي بين سكان الحي.

– طبيعة المرافق والخدمات القائمة في الحي، من التهيئة والإنارة ووجود الأرصفة أمام المساكن ذلك لأنه يتوقف عليها إشباع بعض الحاجات الأساسية للسكان.

– درجة إحساس السكان بالأمان كون الحي لابد أن يكون أكثر راحة وهدوء وخالي من المشاكل والتهديدات التي من شأنها أن تعرقل سير حياة الأفراد داخل الحي.

– مشكلات البيئة الطبيعية، مثل تلوث الهواء والماء وعدم وجود لأماكن خضراء

– وكل هذه العناصر هي التي يمكن أن تحدد درجة رضا الأفراد في الحي وتقييمهم لواقعهم ومدى إشباعهم لحاجاتهم (الجوهري، 2010، صفحة 54).

1.2. الأحياء العشوائية والجريمة

تعتبر الأحياء العشوائية من أخطر الظواهر الاجتماعية التي تهدد المجتمع نظرا لنموها المتزايد والآثار السلبية الناجمة عنها، اتضح أن هذه الأحياء هي أكثر المناطق احتضانا لمرتكبي الجريمة وأن هذه البيئة المحرومة منتجة للإجرام والعنف، وتساهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة في انتشار الظاهرة الإجرامية وتعلم أنماط معينة من الجرائم، حيث تعد انعكاسا لظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ومعبرة بوضوح عن حالة التفكك الاجتماعي والتدهور الفيزيقي والقيمي وعن شيوع البطالة وضعف الفرص المتاحة لإشباع الطموحات فضلا عن شعور ساكني هذه الأحياء بالتهميش والتجاهل من طرف الدولة (زرارة، 2014، صفحة 58).

1.1.2. الثقافة الجانحة

تتمثل في جماعات من السكان لهم ثقافة خاصة بهم وأساليب مميزة في التعامل مع غيرهم وفلسفة خاصة في الحياة، حيث يوجد العديد من الجماعات من فقراء المدينة يقيمون في الأحياء المتخلفة والفقيرة عموما، فهم جغرافيا يعيشون على أطراف المدينة، ووظيفيا محرومين من الخدمات التي تقدمها المدينة اجتماعيا واقتصاديا، حيث يكونون بعيدين عن الحياة الحضرية، كما أن مظهرهم لا يتيح لهم فرص الاختلاط بغيرهم من سكان المدينة، إلا في الأماكن العامة أو من خلال العمل الذي مكنهم من الاحتكاك بغيرهم، حيث تشكل عالما واسعا يمتد عبر الشرائح المختلفة الواقعة في قاع المدينة وتنتشر في أماكن متعددة، إنه عالم له علاقاته ولغته ونمطه المعرفي والقيمي وأفراده خليط من العناصر الرثة المعدمة كليا والمحرومين والفقراء وممتهني الأنشطة غير الرسمية والمستخدمين ذوي الأجور المنخفضة والعاطلين عن العمل والمتسولين ساكني الأحياء المتخلفة والأحداث المشردين (الجهني، صفحة 9).

وفي نظرية كوهن على السلالات الهيكلية الناتجة عن التناقضات بين الأهداف المرجوة اجتماعيا والوسائل اللازمة لتحقيقها تحدث عن عصابات الجانحين التي نشأت نتيجة البنية الطبقية في المجتمع الأمريكي، حيث يشعر الأطفال من الطبقة العامة بأنهم مركز الإحباط في المجتمع الأمريكي لأن قيم الطبقة الوسطى هي المسيطرة وتملك تطلعات هؤلاء الشباب للنجاح الفكري والمهني، وإنهم يدركون عجزهم عن تحقيق هذه الأهداف لذلك، فإن حل هذه المشكلة هو من خلال إيجاد ثقافة فرعية للجانحين والتي يتم فيها رفض قيم الطبقة الوسطى (الكريمين، 2014)

وهذه الجماعات على هذا النحو فئة تتبوأ وضعا متدنيا في إطار نظام التدرج الاجتماعي وتعاني عزلة تامة، تميزه الغربة عن الثقافة المحيطة بها وعن الجماعات الأخرى من حولها، فضلا عن حرمانها من كل الخدمات التي يقدمها المجتمع الحضري وخاصة في المجال التنموي.

وأمام هذه الوضعية الاجتماعية الصعبة التي تعيشها هذه الجماعات وفي ظل رواج ثقافة اليأس والقنوط وانعدام أي حلول جدية كفيلة بتغيير وضعهم، يلجؤون إلى تشكيل تكتل ثقافي فرعي معارض للثقافة العامة السائدة في المجتمع، تشجع أفرادها على اتباع أساليب غير شرعية في سبيل تحقيق أهدافهم وتحسين أوضاعهم مثل السرقة والنهب والمتاجرة في الممنوعات كالمخدرات والأشياء المسروقة، الخ، ومن بين المناطق التي تتميز بهذه الثقافة ما يطلق عليها في علم الإجرام: البؤر الإنحرافية والمناطق السوداء.

2.1.2. البؤر الإنحرافية

تعرف البؤر الإنحرافية بأنها المناطق المتواجدة داخل الأحياء والتي تقام فيها كل أنواع الانحراف والانحلال الأخلاقي وتشيع فيها مظاهر الرذيلة، وهذه البؤر غير قانونية ولا شرعية ونذكر منها أوكار الدعارة، الحانات والمراقص، الأسطح والأقبية التي يخبأ فيها تجار المخدرات بضاعتهم المسروقة أو المهربة (العامة، 2021).

3.1.2. المناطق السوداء

يمكن تعريف المناطق السوداء إجرائيا على أنها المناطق التي تكثر فيها الآفات الاجتماعية كالفقر والبطالة والبيوت القصديرية إضافة إلى البناءات الفوضوية والعشوائية سواء كانت مساكن أو محلات، وتدني مستوى المساكن من حيث التخطيط والواجهات وكذلك الضيق في المساحات والاكتظاظ، وحالة الأحياء أو الظروف الأيكولوجية الصعبة كوجود واد مثلا أو مجرى مائي ملوث أو إنشاءات معرضة للوقوع، كذلك تضم المناطق التي تحدث فيها الكوارث الطبيعية كالفيضانات مثلا أو الحرائق الطبيعية، وليست بالضرورة تمثل المناطق الإجرامية، ولكن هذا لا يعني عدم ارتباطها بالجريمة، فمعظم سكان هذه الأحياء يشعرون بعدم الانتماء للمجتمع المحلي، وكثيرا ما يتمردون، حيث يكثر في هذه المناطق تعاطي المخدرات والمتاجرة فيها، كما تكثر فيها الشجارات والاعتداءات، ونميز من هذه المناطق في مدينة تبسة:

– **حي الميزاب** الذي يتوسطه واد ميزاب، والذي يمثل خطرا كبيرا على السكان عند هطول الأمطار الغزيرة، لارتباطه مباشرة بمنحدر جبل الميزاب، وكثيرا ما يكون هذا الواد مكانا لرمي القمامة ووكرا لتعاطي المخدرات وارتكاب الجرائم.

– **حي جديات مسعود** والذي تكثر فيه البنايات الفوضوية والبيوت القصديرية، وكثرة الاعتداءات والمشاجرات وحالات التمرد وإغلاق الطرقات بسبب حالة الطرقات والشوارع التي تفتقر إلى التهيئة العمرانية وحالة الطرقات التي تمتلئ بالطين عند نزول الأمطار مما يتعذر التنقل على مستوى هذا الحي، إضافة إلى افتقاره لحاويات القمامة والأماكن المخصصة لها.

4.1.2. التحضر الرث

إن الزحام ليس مجرد ملمح منفرد للحياة المنزلية في المدينة ولكنه جزء ومكون من مكونات ظاهرة حضرية يطلق عليها بعض علماء الاجتماع الحضري مصطلح التحضر الرث، ورغم أن التحضر هو صفة جيدة للمدينة ومظهر من مظاهر التقدم ولكن ارتباطه بمصطلح الرث يفرخ نوعا من التحضر المتخلف، كون الكثافة الكبيرة للسكان تولد ظاهرة الزحام داخل المسكن وداخل السوق وداخل الأحياء، مع غياب مرافق الراحة كالمواصلات والاتساع في المسكن وحالة السوق يجعل منه تحضرا رثا (الجوهري، 2010، صفحة 174).

إن الكثافة السكانية المرتفعة في المدينة عوض أن تقوي الاتصال والانسجام بين الأفراد تؤدي إلى تقوية التباعد والاختلافات بينهم، ففي الحياة الحضرية بالرغم من تقارب الاتصالات البدنية إلا أن الاتصالات الاجتماعية فيها متباعدة، ذلك أن الجوار لا ينتج عنه التفاعل والاتصال بين الأوساط الاجتماعية المختلفة، الشيء الذي يؤدي إلى طغيان الفردية والعلمانية في المجتمع الحضري، لأن الأفراد لا يكترثون فيه إلا بما يتصل بأهدافهم الخاصة فقط، لذلك فإن التساكن والتجاور لا يؤدي إلى انفتاح الأفراد عن بعضهم البعض، بل يؤدي على العكس من ذلك إلى التوحش الفردي وإلى العدوانية في النهاية (المالكي، 2016، صفحة 158)، وما يميز أحياء المدينة ذلك الاكتظاظ في المساكن والأحياء الضيقة والشوارع المتعرجة الغير منظمة، مما يخلق نوعا من الفوضى وعدم الارتياح، وعدم معرفة الناس لبعضهم نظرا لكثرتهم في حيز صغير، لا يملك فيه الفرد فضاءا خاصا به غير مسكنه الضيق.

رابعا: البعد الثقافي للبناء الأيكولوجي

إن تفسيرات السلوك الإجرامي عادة ما ترجع إلى تأثير النواحي الأيكولوجية والطبيعية للمدينة، كنمط الأحياء ونوع المرافق الاجتماعية والصحية كمحدد للنطاق الذي يدور فيه المجرم ونتيجة حتمية لتفاعله مع الوسط الطبيعي والجغرافي الذي ينتمي إليه، وهذا لا يعني غياب البعد الثقافي للبناء الأيكولوجي، كون المدينة مجال تنصهر فيه الأبعاد الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وكذلك الأيكولوجية مشكلة ظروف وعوامل توجه السلوك الإنساني، فالمجرم قبل أن يكون شاغل لفضاء معين فإنه ينتمي إلى المدينة، فهو كائن ثقافي مرتبط بعلاقات اجتماعية وروابط قيمية وثقافية تخص المجال الأيكولوجي الذي يشغله الفرد.

1. الفضاءات الحضرية الضيقة

يُعتبر الافتقار إلى الشروط الصحية من حيث النظافة والتهوية والمناخ ودرجة الحرارة والرطوبة ذا تأثير في تصعيد السلوك العدواني، كما أن الازدحام وضيق المكان يؤديان إلى الإرهاق والتوتر والصراع والرغبة في الهروب من المنزل والنزاع المستمر بين أفراد الأسرة، وذلك بسبب نقص الإمكانات وتضارب المصالح والدخل المحدود، ومما خلص إليه **هوغلاند** أن البشر الذين يعيشون في زحام المدينة يعانون أكثر من غيرهم أمراض تصلب الشرايين والقلب، وهذا نتيجة طبيعية لزيادة درجة التحضر (مقبول، 2016 ربيع ، صفحة 67).

في الفراغات العمرانية المنكمشة يتعرض الإنسان لمزيد من الإجهاد السيكولوجي بسبب الازدحام، والذي بات من أهم المشكلات التي تواجهها المدينة الجزائرية اليوم، وقد بيّنت عدد كبير من الدراسات وعلى رأسها دراسات هدسون هوغلاند ودراسات جون كالهون بشأن الكثافة السكانية وتأثيراتها على السلوك في الفضاءات الحضرية، أنه عندما تزداد أعداد السكان ويضطر الناس إلى العيش بعضهم قرب بعض متزاحمين فإنهم يشعرون بالتوتر وهو ما يطلق عليه **مارك جاكسون** تسمية "**زمن التوتر**" ، الأمر الذي يشكل نوعًا من التهديد، وبالتالي فإنهم يشعرون بالإرهاق والتوتر المتنامي داخل المدينة التي أصبحت أشبه ما يكون **بالتجمعات المرضية**، حسب ما وصفها **كالهون**، هذا إلى جانب مظاهر الفوضى والانحرافات السلوكية المصاحبة لها، الشيء الذي دفع **كالهون** إلى صوغ عبارة "**الانحطاط السلوكي**" لوصف حالة الاندفاع أكثر في اتجاه العنف الذي يصبح سلوكًا يوميًا (مقبول، 2016 ربيع ، صفحة 67)، كما أن التساكن المرضي المعدي في المدن الكبرى

الذي يعيش فيها الفقير والمدمن والمنحرف يجعل هذه الأنماط تتوالد بشكل لا نهائي، وهذا ما سماه البعض "**الحتمية الأيكولوجية**" (المالكي، 2016، صفحة 133).

2. المسكن الفقير ثقافيا

من وجهة نظر علم النفس العمراني يُعتبر «السكن الاجتماعي » و «السكن الوظيفي » وغيرهما من أنماط السكن التي بدأت المدينة الحديثة تضج بها نموذجًا حيًا للتناقض بين الخارج والداخل الذي حملته العمارة الجديدة، كما يعد أداة لتدهور العمارة العربية ولتدهور الفضاء التواصلي في مدينة باتت مشوهة، لأن هذا النوع من العرض العمراني أو السكني ليس في النهاية سوى مجموعة من الصناديق الأسمنتية الضيقة الخالية من كل تعبير ثقافي أو لمسة جمالية، فهي عبارة عن مراقد فقط، إنه السكن الفقير ثقافيًا والذي لا يمكن الإنسان أن يعيش فيه حميميته ولا أن يستوحي أو يستمد من خلاله أي معنى، ولا أن يتواصل فيه مع غيره بنوع من الخصوصية، حيث بات يكشف أسرار البيوت بوضوح، لأن كل ما يجري داخله يجد صداه في الخارج من دون عناء؛ إنه «شفاف » يهدم جدار الخصوصية ومغشوش في مواد بناءه (مقبول، 2016 ربيع ، صفحة 68).

يَعتبر **بارك** في دراسته أن الظروف النفسية والأخلاقية للحياة في المدينة تعكس نفسها بصورة طبيعية، حيث يتم التفاعل بين التنظيم المادي أي العمراني للمدينة والتنظيم الأخلاقي لسكانها، وفي إنشاء علاقة «نوعية» بالمكان، وكذلك في أنماط الحركة الإنسانية وجميع أشكال التواصل والتفاعل والصناعة والإنتاج (park, 1984, p. 45)، مما يظهر حياة خاصة بالمدينة تختلف باختلاف طبيعة السلوك وطبيعة المكان أي البيئة العمرانية، كما يضيف بارك أن المجتمع الإنساني في صورته الأكثر عقلانية، والأكثر اكتمالا لا يشكل نظاما إيكولوجيا فقط ولكنه أيضا نظام اقتصادي وسياسي وأخلاقي (المالكي، 2016، صفحة 137).

3. التحضر المستورد

استنتج **مارشال كليناررد** من بحث قام به بهدف التعرف على العلاقة بين التحضر والجريمة أن نسبة الجرائم تختلف باختلاف كل منطقة تبعا للسمات الحضرية فيها، وأن هناك سمة مشتركة بين مجرمي المناطق الحضرية هي صفة الحضرية ذاتها، ومعناها الحراك والعلاقات الشخصية

والاختلاط بالجماعات المختلفة وعدم المشاركة في تنظيم المجتمع المحلي، بالإضافة إلى أن المجرم الحضري طراز إجرامي اجتماعي، وسواء كان المجرم ريفيا أو مدينيا فهو يعتبر الشخص الذي أخفق في تكوين مجموعة من الأحكام القيمية والعادات السوية واستعاض عنها بقيم وعادات مرفوضة اجتماعيا، ذلك أن الخبرات التي اكتسبها قد جعلته يؤمن بأن كل ما تعلمه من قيم أخلاقية وأمور مثالية لا تصلح للتعامل في مجالات الحياة المختلفة (المقدم، 1995، صفحة 168).

يخبرنا الحبابي أن للحضارة الصناعية بنياتها الخاصة، فيكفي أن نسوق سيارة ونركب طائرة ونسافر في بلدان تلك الحضارة لنكون منها (مقبول، 2016 ربيع ، صفحة 70)، فكثيرة هي الشعوب التي تمتلك آلات دقيقة ومعامل صناعة كبرى، لكن السر ليس في الإمكانيات بل في تكييفها من أجل الارتقاء والتحضر، في ظل قيم إيجابية وعادات صحية تسمح للمجتمع أن يليق بالمدينة كمكان للتحضر والعمران البشري والحصول على الكماليات.

4. اللاتجانس

إن اللاتجانس هو نتيجة حتمية لكبر الحجم والكثافة العالية من جهة والاستجابة المباشرة لظروف اقتصادية (تقسيم العمل) وأخرى اجتماعية، ومن جهة ثانية فإن اللاتجانس يؤدي بدوره إلى سلسلة المصاحبات الاجتماعية، من أهمها تنوع الجماعات الموجودة في المدينة والصراع بين مختلف الانتماءات والحراك الجغرافي والاجتماعي المتزايد، كما أن تنوع النشاطات والبيئات الاجتماعية والثقافية قد يؤدي إلى التفكك الاجتماعي، حيث يرى **ويرث** أنه كلما كبر حجم المجتمع الحضري "المدينة" اتسع نطاق التنوع الفردي وارتفع معدل التمايز، الأمر الذي يزيد من انتشار العزل المكاني للأفراد والجماعات على أساس السلالة والمهنة، ويساهم العزل المكاني بدوره في إضعاف روابط الجيرة والعواطف التي تنشأ نتيجة المعيشة المشتركة ولأجيال متعاقبة تحت تقليد عام مشترك (هربرت، 2001، صفحة 23).

من هذا المنطلق ينتقل **ويرث** من قضية إيكولوجية إلى عدد من القضايا التي تمس المجتمع الحضري والشخصية الحضرية، حيث يتجسد اللاتجانس من خلال:

أن الروابط السطحية والضعيفة والتي تربط سكان المدينة بعضهم ببعض إنما تعود إلى نمو وتباين السكان، من خلال التجديدات والتغيرات الاجتماعية والتي تؤدي إلى تغير انتماءاتهم الثقافية،

في حين أن سكان الريف لا يتعرضون لأي تغير لأنهم يعيشون في ظل تراث ثقافي مشترك، وبناء على الحالة الأولى فإنه لابد من وجود ضوابط رسمية تعمل على فرض تراث ثقافي مشترك لسكان المدينة، يصبح خلالها السلوك العام سلوكا مصانا.

فخاصية اللاتجانس تجعل من المدينة موطنا طبيعيا للتغاير أو كما يسميها البعض بوتقة تختلط فيها الأجناس والثقافات المتغايرة، لتسمح بل لتشجع على تأكيد الفروق الفردية باستمرار، وتزيد الهوة بين الجماعات ومن ثم تحل اللامبالاة والعلاقات ذات الطابع الانقسامي بمعنى تصبح هذه الأخيرة وسائل لتحقيق أهداف شخصية أكثر بعيدا عن العاطفة أو الانفعالية.

5. غياب الألوان

يندرج التلوين كأحد الأنساق الثقافية في المجتمع حيث يؤثر في ممارسات الناس اليومية شفاهه أو كتابة أو سلوكا، فيكون للألوان دور في تحديد المواقف وفي الحكم والتصرفات وتكوين الانطباع عن الأشخاص.

وبالتالي تصبح ذات دلالة، ويهتم الإنسان بالألوان ويتخذ منها رموزا ثقافية تدخل في قناعاته وتقاليده، ليس الفرد فحسب، وإنما الإنسان جماعات ومجتمع، ففي أعلام الدول المختلفة تدخل الألوان بشكل حاد صريح وواضح، ليقال إن الأحمر يشير إلى التضحية والفداء مثلا، وأن الأخضر يدل على العطاء أو الزراعة، والأزرق يدل على البحر والمياه، والأصفر يدل على الصحراء بمداها وثرواتها والأبيض على الصفاء والإخلاص.

1.3. أبعاد تأثير الألوان على السلوك الإنساني: يشكل اللون جانبا من سلوك الإنسان الذي يتحدد بشكل عام من خلال البعدين الخارجي والداخلي، بحيث:

- **البعد البيئي الخارجي والبعد الفسيولوجي الداخلي:** وهو الذي يتضمن متغيرات كثيرة من بينها الانفعالات، إذ يرتبط اللون غالبا بالإحساس بالسعادة أو بعدمه، ويفضل الناس الألوان البراقة ويفضل بعضهم الهادئة وغيرهم الألوان الداكنة، فالأحمر يرتبط بالإثارة أو السخط، والأزرق يرتبط بالفرح الهادئ، والأسود يرتبط بالحزن والاكتئاب، أما من الناحية الثقافية فيتخذ اللون الأسود رمزا للحزن والوقار (غرايبية، 2015)، تؤثر الألوان في أحاسيس الإنسان

بالدفء أو البرودة، فبينما يعتبر اللون البرتقالي من الألوان الدافئة ويعتبر اللون الأزرق من الألوان الباردة.

وتجد الألوان تفسيرا لها في منظومة القيم الوطنية والأخلاقية العليا، فيقال أن الأحمر يشير للتضحية والفداء مثلا، وأن الأخضر يدل على العطاء والاستنبات والأبيض على الصفاء والإخلاص، فألوان الأرصفة والطرقات وكذلك واجهات المساكن والمحلات لها تأثير على انفعالات الأفراد، فالمدينة ذات الألوان الباهتة تنشر شعور الحزن والقلق والكآبة، ولكن المدينة ذات الألوان الناصعة والمتجانسة والألوان الظاهرة التي لها معاني ثقافية ونفسية تجعل الفرد مبتهجا وتزيل القلق وتزرع شعور السعادة (غرايبية، 2015)،.

وسلوك الفرد متوقف على ما تمليه عليه أحاسيسه وانفعالاته، وإذا كان شعور الفرد يتجه نحو القلق والحزن وقلة الحيلة فإنه سوف يستعين بالمصادر التي تعطيه الإحساس العكسي، مثل تعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية كالأدوية والأقراص المهلوسة والخمر أو يتجه إلى الجنس بأي طريقة أو نحو الجريمة بأنواعها.

خامسا: الخصائص الجغرافية والبيئية وأثرها في تطور الجريمة

إن البشر لا يعيشون في فراغ وإنما في تفاعل مستمر مع البيئة منذ ظهور النوع البشري على الأرض، ويشكل هذا التفاعل جانبا أصيلا من تطور الإنسان، الذي مر بمراحل مختلفة من حيث قدرته على تغيير علاقاته بالبيئة الطبيعية (الأولية) وبالبيئة الثانوية التي اصطنعها، وهي البيئة الثقافية والاجتماعية، وأبرز ما يميز المجتمع المعاصر عن المجتمعات التي سبقته هو تسارع التغيرات التي تحدثها الثورة العلمية والتكنولوجية في البيئة، والتي بدورها تؤثر على سلوك الفرد وتجعل منه فردا فعالا في بيئته أو فردا مجرما يتصدى لهذه الظروف بطريقته الاستدمارية، كتعبير عن رفض داخلي لهذه البيئة.

1. البيئة الجغرافية والسلوك الإنساني

لا يعيش المجتمع أبدا في فراغ بل لكل مجتمع إقليم خاص يرتبط به ويشغل رقعة محددة من الأرض وتحيط به ظروف جغرافية وبيئية معينة، تؤثر بطريق مباشر أو غير مباشر في الحياة الاجتماعية والثقافية السائدة فيه وتطبعها بطابع مميز، وقد تقبل علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا

هذه الحقيقة، ولكن بعضهم بالغ فيها فذهب إلى حد القول بنوع من الحتمية الجغرافية التي تسلم بأثر العوامل الجغرافية في تشكيل الملامح الفيزيقية للبشر، وقيام أنماط من السلوك الإنساني والنظم الاجتماعية تحددها العوامل الجغرافية والبيئية، وقد تؤثر هذه الظروف والعوامل والبيئة السائدة في تلك المجتمعات التي لم تقطع شوطا كبيرا في مجالات التقدم الفني والتكنولوجي والثقافي بدرجة تسمح للناس بالتغلب على ظروفهم (زيد، 1978، صفحة 100)، ففي مثل هذه البيئات يظهر الأثر واضح على النظم الاجتماعية والأنساق الثقافية السائدة، والتي تتجلى بوضوح في ممارساتهم وسلوكياتهم اليومية.

تقدم البيئة الجغرافية مجموعة منى الاحتمالات التي يمكن أن تتشكل في إطارها العناصر والمركبات الثقافية، وعلى الإنسان أن يختار بين تلك الاحتمالات وفق عوامل ثقافية، وعليه كذلك ألا يتجاوز حدود تلك الاحتمالات التي تقدمها البيئة الجغرافية، فمثلا وجود الثعابين في منطقة ما تتيح مجموعة من التصرفات الممكنة منها: عبادة الثعابين أو صيدها وأكلها أو اللهو بها أو قتلها أو مطاردتها أو استخدامها كقرابين للإلهة أو استخدام جلدها في الملابس (وصفي، 1981، الصفحات 102-103).

2. أثر البيئة الجغرافية على السلوك الإجرامي

يقول ابن خلدون في مقدمته الثالثة من **المنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير في أحوالهم : " لما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين من الحر والبرد، فالإقليم الرابع أعدل والثالث والخامس أقرب إلى الاعتدال والذي يليهما والثّاني والسّادس بعيدان من الاعتدال والأوّل والسّابع أبعد بكثير فلهذا أتت العلوم والصّنائع والمباني والملابس والأقوات والفواكه بل والحيوانات وجميع ما يتكوّن في هذه الأقاليم الثّلاثة المتوسّطة مخصوصة بالاعتدال وسكّانها من البشر أعدل أجساما وألوانا وأخلاقا وأديانا حتّى النّبوءات فإنّما توجد في الأكثر فيها ولم نقف على خبر بعثة في الأقاليم الجنوبيّة ولا الشّماليّة وذلك أن الأنبياء والرّسل إنّما يختصّ بهم أكمل النّوع في خلقهم وأخلاقهم، وأهل هذه الأقاليم أكمل لوجود الاعتدال لهم فتجدهم على غاية من التّوسّط في مساكنهم وملابسهم وأقواتهم وصنائعهم يتّخذون البيوت المنجّدة بالحجارة المنمّقة بالصّناعة ويتناغون في استجادة الآلات والمواعين ويذهبون في ذلك إلى الغاية وتوجد لديهم المعادن الطّبيعيّة من الذّهب والفضّة والحديد والنحاس والرّصاص والقصدير ويتصرّفون في معاملاتهم**

بالنّقدين العزيزين ويبعدون عن الانحراف في عامّة أحوالهم وهؤلاء أهل المغرب والشّام والحجاز واليمن والعراقيين والهند والسّند والصّين وكذلك الأندلس ومن قرب منها من الفرنجة والجلالقة والرّوم واليونانيّين ومن كان مع هؤلاء أو قريبا منهم في هذه الأقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والشّام أعدل هذه كلّها لأنّها وسط من جميع الجهات" (خلدون، 1992، صفحة 76).

ويواصل ابن خلدون في ذات المؤلف كلامه عن النوع الثاني من البشر قائلا:

" **وأمّا الأقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الأوّل والثّاني والسّادس والسّابع فأهلها أبعد من الاعتدال في جميع أحوالهم فبناؤهم بالطّين والقصب وأقواتهم من الذّرة والعشب وملابسهم من أوراق الشّجر يخصفونها عليهم أو الجلود وأكثرهم عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وأدمها غريبة التّكوين مائلة إلى الانحراف ومعاملاتهم بغير الحجرين الشّريفين من نحاس أو حديد أو جلود يقدّرونها للمعاملات وأخلاقهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات العجم حتّى لينقل عن الكثير من السّودان أهل الإقليم الأوّل أنّهم يسكنون الكهوف والغياض ويأكلون العشب وأنّهم متوحّشون غير مستأنسين يأكل بعضهم بعضا وكذا الصّقالبة والسّبب في ذلك أنّهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض أمزجتهم وأخلاقهم من عرض الحيوانات العجم ويبعدون عن الإنسانيّة بمقدار ذلك وكذلك أحوالهم في الدّيانة أيضا فلا يعرفون نبوة ولا يدينون بشريعة إلّا من قرب منهم من جوانب الاعتدال**" (خلدون، 1992، صفحة 76)

فالبيئة تؤثر في الإنسان وسلوكه وأخلاقه وكذلك طريقة بناء مساكنه وملابسه وطرق الحصول على قوته، حيث يرى ابن خلدون أن الأقاليم المعتدلة يعيش فيها سكان طبيعيين يتميزون بحسن الأخلاق وأحوالهم حتى أن هذه المناطق هي من ظهر فيها الأنبياء، أما الأقاليم البعيدة عن الاعتدال فأهلها يعيشون في فوضى وتوحش وأخلاقهم تميل إلى الانحراف وبيوتهم هشة وبناؤها عشوائي وطريقة حصولهم على غذائهم أقرب إلى الحيوان.

أما الأقاليم الغير معتدلة تفتقر للخيرات وللهواء النقي وتميل إلى الحرارة والجفاف مما يصعب حياة البشر وبذلك تؤثر على سلوكهم وأحوالهم، فالبيئة هي التي تحتم نسق ثقافي معين ينساق إليه الإنسان ويمارسه في حياته اليومية، كما لها دور في التوجه إلى الجريمة.

لذلك نجد أن مهد الحضارات عبر التاريخ الإنساني أقيمت في المناطق الزراعية على ضفاف الأنهار التي تعد أساس قيام المجتمعات الإنسانية وفي المناطق التي تيسر عملية الاتصالات البرية والبحرية الضرورية للحياة الاجتماعية، وهذا ما أشار إليه اليونان في رسالة بعنوان "**تأثير الجو والماء والموقع** " لتأكيد تأثير البيئة الجغرافية على الإنسان.

أما **أرنولد توينبي** فيرى أن البيئة الجغرافية من العوامل المساهمة في نشوء الحضارات لكنها ليست العامل الوحيد في ذلك (حامد، 2012، صفحة 148)، وهذا ما يجعلنا نستنتج أنه بالرغم من أهمية العامل البيئي على سلوك الفرد إلا أن الإنسان بمقدوره أن ينمي قدراته وأن يتجاوز الظروف المحيطة به ويكون إنسانا سويا، والدليل على ذلك أن نسبة المجرمين تمثل نسبة فقط من فئة المجتمع والباقي فهم أشخاص يتمتعون بقيم إنسانية سوية.

سادسا: المقاربة النظرية

إعتمدت الدراسة على نظرية أساسية وهي النظرية الإيكولوجية (مدرسة شيكاغو)، كما عززنا دراستنا بتوضيف بعض النظريات الفرعية التي تخدم الدراسة في جوانب مختلفة، مثل نظرية تمركز الجريمة في حدود الأحياء ونظرية النوافذ المهشمة .

1. لنظرية الإيكولوجية في تفسير الجريمة (مدرسة شيكاغو)

يعود الفضل في ظهور النظرية الإيكولوجية إلى مدرسة شيكاغو، التي بدأت دراستها الأولى تحت إشراف العالمين الأمريكيين **روبرت بارك وأرنست برجس**، حيث تمحورت دراساتهم الأيكولوجية حول الاختلافات القائمة بين معدلات الجريمة وتفاوت نسبتها وفقا لاختلاف المناطق الجغرافية ومدى ارتباطها ببعض الظروف الاجتماعية والثقافية وكذلك الاقتصادية.

تطرق بارك وفق منظور إيكولوجي ينطلق في تفسيره للمدينة من التفاعل الحاصل بين المجال الحضري بكل ما يزخر به من خصوصيات وأنماط وقيم وبين الإنسان وما يمتلكه من مواقف وتمثلات، حيث اعتبر بارك أن دراسة الإنسان ينبغي أن تتم على أساس دراسة التفاعلات بينه وبين الوسط الطبيعي والجغرافي الذي ينتمي إليه، معتبرا بذلك المدينة من هذا المنظور الإيكولوجي مجالا غنيا بالتفاعلات والحركات الاجتماعية، أو بحسب تعبير بارك أن المدينة هي مختبر اجتماعي

لتحليل وفهم كل الظواهر الحضرية، واعتبر أن المدينة نوعا من الكائنات الاجتماعية (أمطوش، 2001، صفحة 60).

وفي هذا الإطار حديث تطرق بارك إلى ظاهرة الهجرة الإنسانية والتحضر، حيث اعتبر أن هجرة الفلاح إلى المدينة هي ظاهرة تاريخية وعملية دائمة لا يمكنها أن تتوقف، ولكنها تتحول إلى مشكلة اجتماعية عندما يتم السعي إلى حلها عن طريق الإدماج الحضري أو ما يسميه بارك بعملية الانصهار، لأن الثقافة التي يحملها المهاجر القروي والتي تتميز بهيمنة الأعراف والتقاليد الجامدة بالمقارنة مع الثقافة الحضرية التي تتميز بسيادة الفردانية والرأي العام والقانون الوضعي.

واعتبر بارك المدينة بمثابة المجال الطبيعي والثقافي الذي يقطنه الإنسان المتحضر، فهي وحدة مبنية على درجة كبيرة من التنظيم، ونتيجة لذلك انطلق بارك من حقيقة أن العالم الطبيعي وحدة تتحرك وفق قواعد، ومن ثم استهدف من خلال بحوثه الكشف عن الأنماط المنتظمة الموجودة ضمن العلاقات الاجتماعية والأيكولوجية، وذلك بهدف البحث عن العوامل التي تؤدي إلى التوازن الحيوي في المجتمع، وذهب برجس إلى ظاهرة النمو الحضري واعتبرها نتيجة لازمة لعمليات التنظيم والتفكك في نفس الوقت (أمطوش، 2001، صفحة 74)..

إن تفسير الجريمة يكون على أساس ارتباط السلوك الجانح بأوضاع معينة، أي ظروف التفكك الاجتماعي التي تنشأ نتيجة عملية نمو المدينة، فانخفاض المستوى المعيشي والجهل والازدحام والسكن غير اللائق ليست هي من تفسر لنا الجريمة، بل هي أعراض النظام الانحلالي، لأن المناطق الإجرامية يرجع ظهورها إلى تدهور مقومات الضبط الاجتماعي.

كما تجلت أفكار هذه النظرية من خلال أفكار لويس ويرث تحت عنوان الحضرية كطريقة للحياة، حيث تبين من خلالها أن حجم السكان وكثافتهم ودرجة اللاتجانس بينهم تجتمع لتشكل الثقافة الحضرية، فيؤدي ذلك إلى تفكك الروابط التقليدية في القرابة والمجتمع، وهو ما يؤدي إلى تمزق الروابط الاجتماعية فيصعب إقامة العلاقات في المدينة، ويضعف التكامل والارتباط الاجتماعي الذي ينعكس في صورة العزلة (التفكك) والانسحاب(الاغتراب) والإحباط والأعراض السلبية والسلوك المضاد للمجتمع (ثقافة فرعية) (الحسني، 2000، صفحة 120).

ويظهر الاتجاه الأيكولوجي أيضا في الطرح الذي جاء به كليفارد شو من خلال موضوع الحي ومدى اختلاف نسبة العنف والجريمة من حي إلى آخر، وهذا بمقارنته بالأحياء الهامشية، والتي وصفها شو بأنها أحياء سكنية تتميز بسمات اجتماعية واقتصادية وسكانية متدهورة تنتج المجرمين، كما أن الانحراف يرتكز في المناطق التي تتجمع حول المنطقة المركزية التجارية، كما أن هذه المناطق بتركيبها المادي والثقافي الخاص والمتميز بالمستوى المعيشي المتدني والصراع الثقافي أظهرت أعلى نسبة جنوح وعنف من جهة وكذا أعلى نسبة عود للجريمة من جهة أخرى، وهذا ما أدى إلى خلق التصادم بين الفئات والطبقات الاجتماعية بفعل فئة متمردة تمارس الإجرام والعنف في إطار ردة فعل متوقعة (الحسني، 2000، صفحة 121).

وركزت هذه النظرية على إشكاليتين أساسيتين، هما الهجرة والاندماج من جهة، ثم العلاقة بين الثقافة والمجال الحضري من جهة أخرى كبلورة لمفهوم "التحضر"، على اعتبار أن هذا المفهوم يتضمن بعدين أساسيين: بعد ديموغرافي/مجالي (انتقال الأفراد من البادية إلى المدينة)، ثم بعد سوسيولوجي/ثقافي (مسألة الاندماج، واكتساب الثقافة الحضرية) (المالكي، 2016).

وهذا ما سمح لنا بتطبيق هذه النظرية على دراستنا كون الفضاء المديني بطابعه المزدوج الطبيعي والثقافي أو ما عبرنا عنه بالمادي واللامادي أكبر من تجمع أفراد وتجهيزات جماعية وإنما حالة ذهنية ومجموعة من العادات والتقاليد والتصرفات والممارسات، حيث ينصهران (الثقافي والطبيعي) داخل البناء الاجتماعي ويؤثران على سلوك الفرد واتجاهاته التي تتجلى في السلوك السوي أو الانحراف، ودراسة الجريمة من منظور إيكولوجي لا يعني حصرها على مستوى الأحياء الهامشية أو القصديرية التي تفتقر إلى الظروف المعيشية الجيدة، وإنما أيضا ربطها بالحياة الثقافية للفرد والتي تتشكل عبر الزمن من خلال تشبعه بالعادات والتقاليد والقيم والممارسات التي تم اكتسابها عبر عمليات التنشئة، إضافة الى العلاقات التي تتشكل داخل المدينة والعلاقات القرابية التي لها تأثير على توجيه سلوك الفرد من خلال الانصهار داخل الجماعة أو ظاهرة العروشية، وهذه الأخيرة التي يمكن أن تنطبق على مجتمعنا المحلي ولا تنطبق على مجتمعات أخرى.

2. نظرية تمركز الجريمة في حدود الأحياء

مضمون هذه النظرية تتمثل يتمحور حول اعتبار أن الجريمة تتركز في الأحياء التي تقع في أطراف المدن نظرا لتوفر فرص ارتكابها، إذ تتميز هذه الأماكن بأنها أقل حماية من الأحياء الأخرى في المدينة؛ فهي تؤمن لهم فرص النجاح في مهامهم الإجرامية، وتأتي نتائج هذه النظرية مخالفة لدراسة شو ومَكاي (Shaw and Makay,1942) وهي دارسة أمريكية أيضا مفادها أن الجرائم في المناطق الحضرية عموماً تتركز في وسط المدينة، ثم تأخذ في التناقص كلما اتجهنا نحو الأطراف، غير أن برانتنجهام Brantingham,1975 طبق نتائج هذه الدراسة في المدن البريطانية، حيث أثبت أن الجريمة تتركز في أطراف المدينة لقلة الحماية وسهولة الهروب، لكن اختلاف النتائج لا يعني بالضرورة عدم صحة إحدى الفرضيتين أو كليهما، وإنما يرجع السبب إلى اختلاف تركيب المدن الأمريكية عن المدن البريطانية، حيث غالباً نجد الأولى تعتمد على فواصل طبيعية مختلفة يسهل الاختباء فيها والتسلل منها إلى المساكن في أطراف المدينة، في حين الأخرى تفصل بين أحيائها طرق تجارية مزدحمة (الجهني، صفحة 9).

3. نظرية النوافذ المهشمة

ترتبط هذه النظرية ارتباطا وثيقا بمفهوم اللاتمدن، حيث يعد **جون كونكلين** من الأوائل الذين استعملوا هذا المفهوم حين أشار إلى تأثير سلوكيات اللاتمدن على الحياة الاجتماعية والشعور بعدم الأمان (الشعور بعدم الأمن)، وذلك انطلاقا من بعض الدراسات التي قام بها في بعض المدن الأمريكية منذ سنة 1975، كما نشر James Wilson في سنة 1982 مقالا عالج من خلاله نتائج تأثير سلوكيات اللاتمدن على السلوك الإجرامي، وحسب ما جاء في هذا المقال فإن عدم الشعور بالأمن يسهم في تحطيم علاقات الجيرة، حيث يشعر الأفراد بأنهم غير متضامنين في الأحياء التي يعيشون فيها، فهم أقل ميلا للدفاع عن القواعد غير الرسمية للحيات الاجتماعية (سواكري، 2001).

كما أن الفوضى وسلوكيات اللاتمدن لها تأثير كبير على الجريمة، فعدم إصلاح زجاج نوافذ العمارة المكسرة مثلا يؤدي إلى تحطيم زجاج النوافذ الأخرى بسرعة، وبعد تكسير جميع النوافذ تبدأ الاعتداءات الجسدية والسرقة، وهذا يدل على أن المكان لا يوجد فيه قانون، ومن بين أفكار هذه النظرية أيضا هو أن التهور الذي ينتشر في الحي السكني يؤدي ببعض الأسر إلى ترك ذلك الحي،

خاصة عندما يتعلق الأمر بالصراع على الأرصفة من طرف التجار، حيث كثيرا من الناس يعبرون الطريق فقط لتفادي شاب واحد من ذلك الحي، ونظرية النوافذ المهشمة أو المكسورة قد ركزت على أهمية الروابط الاجتماعية والجوارية، في الحماية من الجريمة.

سابعا: أنماط الجرائم وأحجامها في بعض أحياء مدينة تبسة

إن أنماط الجرائم هو انعكاس للتركيب الاجتماعي والتنظيم الحضري والتوزيع المكاني للسكان، حيث ركزت الدراسات الجغرافية الاجتماعية للمدن في العالم الغربي خلال الستينيات من القرن العشرين على إبراز أهمية العوامل المكانية في توزيع الجريمة، وربط معدلاتها وأنواعها بمواقع بيئية محددة في البيئة الحضرية، فقد عزت دراسات كل من ساذرلاند Sutherland وفيليب Philips إلى تطوير المدرسة الكاتوغرافية التي نشأت في فرنسا ثم انتقلت لبريطانيا والدول الأوروبية، حيث ربطت التباين الإقليمي للجريمة بين الريف والحضر بمؤشرات اجتماعية كالتعليم والكثافة السكانية والفقر والثراء وارتفاع نسبة الأمية في الأوساط الحضرية (هربرت ديفيد، 2001، صفحة 48).

أما في دراستنا فقد تم ربط العوامل الاجتماعية والأيكولوجية وكذلك العوامل الثقافية لكل حي مع نمط الجريمة السائدة ليتوضح لدينا أن هناك عوامل بارزة ساهمت في خلق التوجه نحو ذلك النمط الإجرامي، وقد أبرزنا ذلك من خلال تحليل مفصل للجريمة في كل حي، ووفقا للإحصائيات التي زودنا بها الأمن المركزي لمدينة تبسة، فالأحياء تتوزع على قطاعات، وكل قطاع يحتوي على مجموعة من الأحياء يشتركون في الخصائص الإيكولوجية والجغرافية والبيئية، لوجودهم في نفس المنطقة من المدينة كما يلي:

- **المنطقة الأول:** حي الجرف، حي الميزاب، حي رفانة.
- **المنطقة الثانية:** حي لارموط الكنيسة وحي البساتين.
- **المنطقة الثالثة:** حي الزاوية، حي الزيتون، وحي باب الزياتين.
- **المنطقة الرابعة:** حي الوئام، حي 600 سكن، حي أول نوفمبر.
- **المنطقة الخامسة:** حي جديات مسعود، حي لاروكاد، حي بوحمرة
- **المنطقة السادسة:** حي طريق عنابة، الحي البرجوازي.

1.3. المنطقة الأولى: حي الجرف، حي الميزاب، حي رفانة.

1.1.3. حي الجرف

يقع حي الجرف في حدود مدينة تبسة وهو من الأحياء الشعبية الذي تتوزع فيه أنواع من المساكن الفردية التقليدية والعصرية، حيث تتميز شوارع حي الجرف بالطرقات الوعرة ذات التربة الطينية والمساحات الضيقة وقرب المساكن من بعضها البعض، كما تتميز معظم منازل حي الجرف خاصة المنطقة المسمات حقل الهندي المتواجدة قرب جبل الدكان بانتشار السكنات ذات الطابق الواحد.

2.1.3. حي الميزاب

يقع هذا الحي في الحدود الجنوبية لمدينة تبسة وهو من الأحياء الشعبية ذات المساكن القصديرية والمسالك الوعرة، نظرا لتعرض هذه المنطقة للفيضانات بسبب السيلان المتواصل للماء المنحدر من الجبل عبر واد الميزاب الذي يتوسط الحي، والذي تكثر فيه القمامة، وهذا ما يجعله ضمن النقاط السوداء للمدينة، يقطن في هذا الحي عرش ولاد حراث، ولاد خليفة، ولاد موسى.

3.1.3. حي رفانة

حي رفانة هو حي قريب من حي الميزاب ولكنه بمحاذات مع جبل رفانة ويحمل نفس خصائص حي الميزاب من حيث الخصائص الأيكولوجية والسوسيولوجية والتركيبة البشرية، ويعتبر من الأحياء الجديدة لأن معظم قاطنه نزحوا من الريف حديثا، يغلب على هذه الأحياء الثلاثة الطابع الريفي من حيث طبيعة المسكن الشعبي الذي يفتقر إلى الواجهات المناسبة، وكذلك التركيبة البشرية التي مازالت محافظة على العادات والتقاليد الريفية، التي تظهر جليا في طريقة اللباس وكذلك المناسبات.

جدول1: يوضح توزع الجريمة على مستوى حي الجرف، حي الميزاب، حي رفانة

حجم الجريمة (حي الجرف_ حي الميزاب– حي رفانة)								
نمط الجريمة	السنوات					المجموع	المتوسط	النسبة
	4	2017	2018	2019	2020			
ترويج المؤثرات العقلية والأقراص المهلوسة	74	32	96	67	78	347	69,4	%30.5
الاعتداء على الممتلكات (سرقة المنازل)	96	48	53	123	107	427	85,4	37,6%
الدعارة	1	0	1	3	2	7	1,4	0,6%
الاعتداءات والمشاجرات	82	64	76	68	65	355	71	31%

المصدر: مديرية أمن تبسة

الشكل1: أعمدة بيانية توضح توزع الجريمة على مستوى حي الجرف، حي الميزاب، حي رفانة

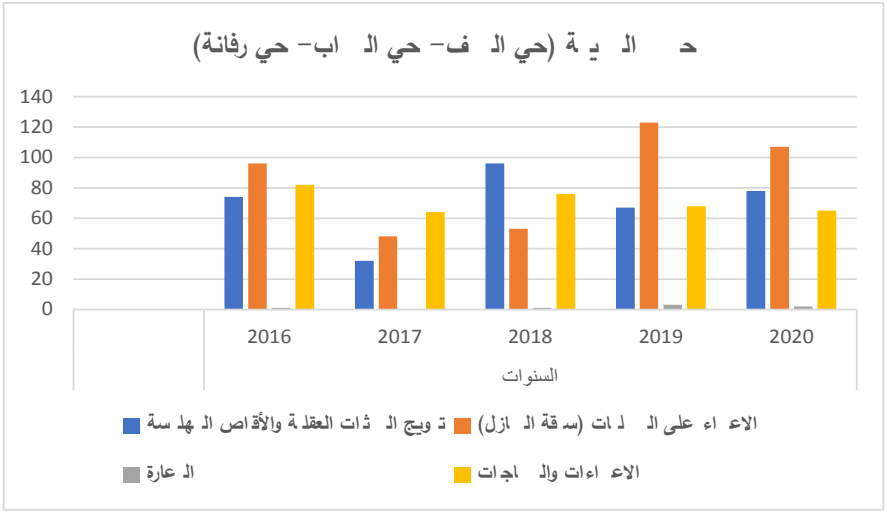

المصدر: إعداد الباحثة

التعليق:

من خلال الجدول يتبين أن جريمة سرقة المنازل تحتل المرتبة الأولى خلال الخمس سنوات الأخيرة بنسبة 37.6%، وهذا راجع لطبيعة هذه المساكن الفردية القصيرة السقف

والخالية من السياجات الحديدية أو الأسوار، كذلك سهولة كسر واختراق النوافذ والأبواب التي تكون مصنوعة بمواد متوسطة الجودة نظرا للحالة الاجتماعية لسكان هذه الأحياء، فمعظمهم من الطبقة الفقيرة محدودة الدخل، وقد نزح بعضها من الأرياف وبعضها اشترى قطعة أرض بأسعار زهيدة وبنى عليها مسكنه، لذلك يسهل السطو عليها لتوفر فرصة التسلل وسرقتها.

وفي مقابلة مع رئيس خلية الأمن الولائي لولاية تبسة صرح أن أكثر المرتكبين لجريمة السرقة هم من سكان الحي وليس من خارجه، كونهم على دراية بأيكولوجية الحي وطبيعة المساكن، وتأتي في المرتبة الثانية المشاجرات بنسبة 31% نظرا للتركيبة السكانية التي تضم أكبر نسبة من الشباب والمراهقين، والذين يتركون المدرسة في سن مبكرة، مما يجعلهم يتعاطون المخدرات والأقراص المهلوسة، حيث تحتل هذه الجريمة المرتبة الثالثة بنسبة 30% بموازات مع المشاجرات، وتعتبر هذه الجريمة متزايدة خلال السنوات الأخيرة.

وما زاد من حدة هذه الجريمة توفر أوكار تعاطي المخدرات، وخاصة منطقة الآثار الموجودة داخل حي الميزاب وتسمى أيضا **بتبسة الخالية** وهي مدينة أثرية تحتوي على صخور ومنافذ، كما أنها ليست محروسة، بالإضافة إلى قرب جبل الدكان من هذه الأحياء، والذي كثيرا ما يستقطب أعداد كبيرة من الشباب والمراهقين، أين يجتمعون لقضاء أوقات الفراغ.

2.3. المنطقة الثانية: حي لارموط، حي الكنيسة (الكنيسية)، وحي البساتين.

1.2.3. حي لارموط

يقع هذا الحي في الجهة الشرقية من وسط المدينة بمحاذات الطريق الإستراتيجي طريق عنابة، يتميز هذا الحي بأزقته الضيقة التي لا تسمع في معظمها بمرور السيارات ومنازل شعبية متراصة وفوضوية وطرقات في حالة سيئة من حيث البنية التحتية، معظم هذه المساكن ذات مداخل ضيقة وذات طابقين نظرا لضيق المساحة، مع قلة الغرف التي لا تتعدى الغرفتين في كل طابق، أما بالنسبة للقاطنين في هذا الحي فأكثرهم من فئة الشباب والمراهقين والأطفال، أما أكثر العروش السائدة في هذا الحي هو عرش ولاد يحي وولاد دراج.

2.2.3. حي الكنيسة

يعتبر حي الكنيسة امتداد لحي لارموط، كما له نفس الخصائص العمرانية وكذلك التركيبة البشرية، ولكن كلما ابتعدنا عن حي لارموط كلما كانت المنازل أكثر ترتيبا والطرقات أكثر اتساعا حيث تنتشر المساكن الفردية ذات الطوابق، سمي بحي الكنيسية أو الكنيسة لوجود المنطقة الأثرية البازيليكا والتي تحتل مساحة واسعة من الحي ولها عدة مداخل وتتميز بمنظرها الأثري الجميل لكونها لازالت لحد اليوم محافظة على حالتها الجيدة.

3.2.3. حي البساتين

يقع هذا الحي بمحاذات حي الكنيسة، ولكن يختلف عنه بتنوع المساكن فيه بين المساكن التقليدية والمساكن الجماعية (العمارات)، وشوارعه أكثر اتساعا من حي لارموط وحي الكنيسة، سمي بحي البساتين لأنه قبل أن يكون حي سكني كان مجموعة من البساتين المثمرة.

جدول رقم2: يوضح توزع الجريمة على مستوى حي لارموط وحي الكينيسية وحي البساتين

نمط الجريمة	حجم الجريمة (حي لارموط–حي الكينيسية– حي البساتين)						
	السنوات					المجموع	المتوسط	النسبة
	2016	2017	2018	2019	2020			
تعاطي وترويج المخدرات	134	145	102	188	162	731	243,667	39%
المشاجرات والإعتداءات	146	116	98	102	123	585	117	32%
الإعتداء على الممتلكات (السرقات الموصوفة)	94	88	71	101	140	494	98,8	25%
الدعارة	20	14	17	8	23	82	16,4	4%

المصدر: خلية الإعلام والعلاقات العامة للأمن المركزي بتبسة، 2020

الشكل2: أعمدة بيانية توضح توزع الجريمة على مستوى حي لارموط وحي الكينيسية وحي البساتين

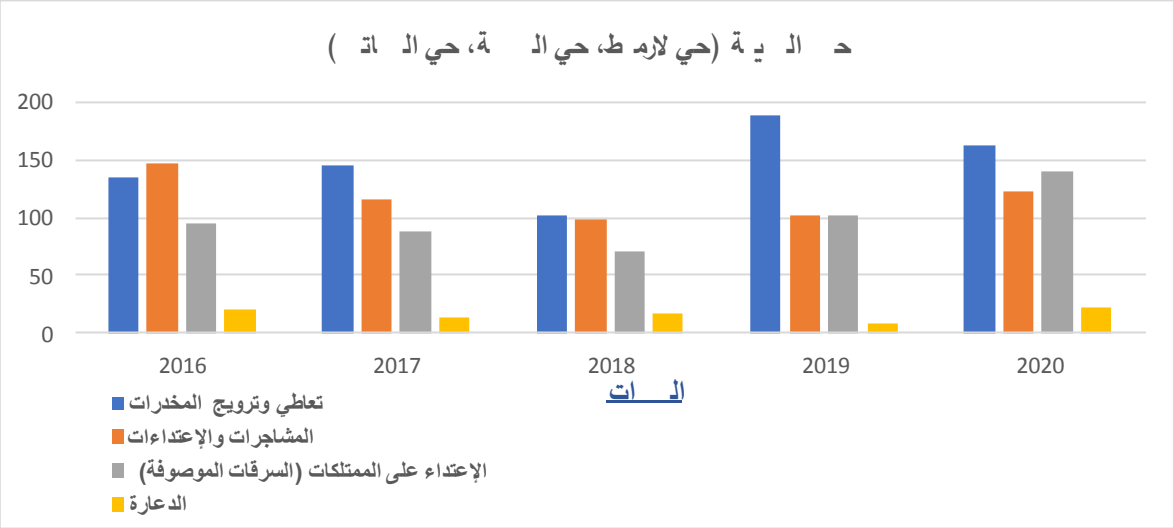

المصدر: إعداد الباحثة

التعليق

ومن خلال الجدول والتمثيل البياني تظهر جريمة تعاطي المخدرات وترويجها بنسبة كبيرة تقدر بـ 39%، وخاصة عند فئة الأطفال والمراهقين والشباب، ويعود انتشار مثل هذه الجريمة لعدة أسباب من بينها صعوبة وصول الأمن إلى هذه المناطق السكانية ذات الأزقة الضيقة والمسالك الوعرة، وكذلك تزايد نسبة الأطفال والمراهقين والشباب الذين يبحثون عن مصدر مادي من خلال بيع المخدرات، إضافة إلى وجود أوكار تعاطي المخدرات والتي تتمثل في الكنيسة وهي المنطقة الأثرية كمكان يسهل الاختباء فيه، في حين تحتل المشاجرات والاعتداءات المرتبة الثانية بنسبة 32 % ، والتي يمكن إرجاع أسبابها إلى حالة الحي الذي يفتقر إلى الشوارع والطرقات، وإلى أدنى المرافق الترفيهية أو المساحات الواسعة، إضافة إلى ضيق المنازل واكتظاظ نسبة الأشخاص داخل المسكن الواحد، وهذا ما زاد من توتر الأفراد ودخولهم في شجارات تؤدي في معظم الأحيان إلى نهايات سيئة، أما بالنسبة لجريمة السرقة فقد تميز هذا الحي بالسرقات الموصوفة كسرقة الهواتف النقالة والحقائب المحمولة، خاصة عند دخول الغرباء لهذه المنطقة.

1.3.3. حي الزاوية وحي الزيتون

يعد حي الزاوية من أقدم وأكبر الأحياء الشعبية المتواجدة في المدينة وقد كانت نشأته سنة 1985م، وعدد سكانه ما يقارب 9364 نسمة حسب إحصائيات 2008، وتتجاوز المساكن في هذا الحي 1824 مسكن، وهو من الأحياء التي تقع في الجهة الغربية للمدينة، يحده جبل الأنوال، مما جعله يقع في منطقة عالية ووعرة، وتنتشر فيه البيوت الفوضوية والمساكن الشعبية الهشة، إضافة إلى المعابر والطرقات الضيقة التي تصعب من مهمة الأمن للدخول لمثل هذه المنافذ، ويعد حي الزيتون امتداد لحي الزاوية ويحمل نفس الخصائص الإيكولوجية من حيث طبيعة المساكن وحالة الأزقة الضيقة، ويفتقر هذان الحيان لأهم المرافق مثل وسائل النقل كالحافلات وسيارات النقل الحضري، وذلك لحالة الطرقات السيئة وضيق الأزقة وكذلك افتقارها إلى مركز أمن ومركز البريد وسوء شبكة الهاتف، وهذا ما صعب من مهمة الأمن في التدخل السريع.

أما بالنسبة للبنية البشرية التي تقطن الحي فيطغى عرش ولاد بوقوصة على هذا الحي، وهم فئة يتميزون بالعصبية والحمية والتي تظهر جليا في الشجارات ومن خلال زيارة الغرباء إلى الحي الذين يتم استجوابهم من طرف سكان الحي لمعرفة سبب الزيارة.

2.3.3. حي باب الزياتين:

يعتبر حي باب الزياتين من أقدم الأحياء الشعبية المتواجدة في مدينة تبسة، فقد نشأ هذا الحي سنة 1920، تقارب نسبة السكان فيه 1186 نسمة، عدد البنايات لا يتجاوز 340 مسكن حسب إحصائيات سنة 2008، يمثل سكان باب الزياتين من السكان القدامى لمدينة تبسة، ومعظم العروش التي تنتمي إلى الحي عرش ولاد ملول.

جدول رقم3: يوضح توزع الجريمة على مستوى حي باب الزياتين وحي الزاوية وحي الزيتون

نمط الجريمة	حجم الجريمة (حي الباب الزياتين–الزاوية– حي الزيتون)							
	السنوات					المجموع	المتوسط	النسبة
	2016	2017	2018	2019	2020			
السرقة بإستعمال الكلاب السرقات بالنشل والخطف	81	64	102	98	106	451	150	37.5%
المشاجرات والإعتداءات	47	83	94	73	96	393	78,6	32.7%
تعاطي وترويج المخدرات	38	52	61	108	93	352	70,4	29.3%
الدعارة	1	0	2	1	2	6	1,2	0.5%

المصدر: خلية الإعلام والعلاقات العامة بأمن تبسة، سنة 2020

الشكل3: أعمدة بيانية توضح جدول رقم3: يوضح توزع الجريمة على مستوى حي باب الزياتين وحي الزاوية وحي الزيتون

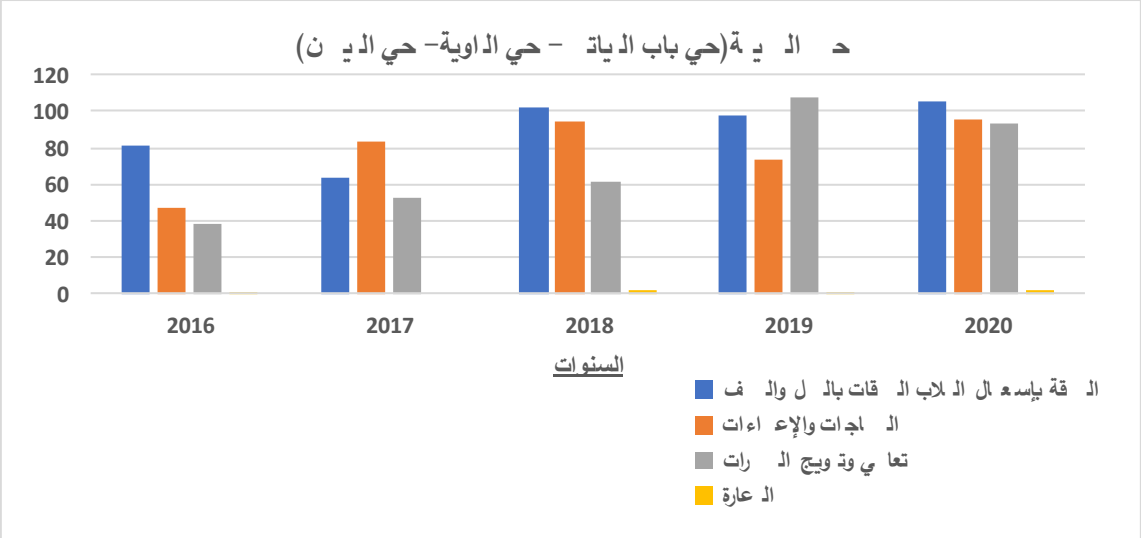

المصدر: إعداد الباحثة

التعليق

من خلال الجدول والتمثيل البياني يتضح أن نسبة جريمة السرقة تأخذ أكبر نسبة والتي تقدر ب 37.5% من الجرائم، وهذا يعود للطبيعة الإيكولوجية لهذه الأحياء والتي تتميز بالمسالك الوعرة والأزقة الضيقة التي تعيق عمل الشرطة في حالة قبضها على المجرمين وكذلك وجود الأسواق منها السوق المغطاة لبيع الخضر واللحوم المتنوعة وسوق الملابس

المستعملة، وكذلك محطة الحافلات، وهذا ما يجعل المجرمين يقومون بعملية النشل والخطف للهواتف النقالة والحقائب المحمولة والمحفظات، كما ترتفع نسبة المشاجرات والاعتداءات والتي تقدر ب 32.7% وهذا ما يفسره توتر الأفراد واتجاههم نحو الجريمة لأسباب منها حالة المنازل القديمة الخالية من شروط الراحة وكذلك قلة النظافة لغياب وجود حاويات النفايات ومساحات رميها، مما يجعل السكان يلقون بالقمامة في الأزقة والأحياء، مما يخلق حالة من الغضب والرفض، والذي يظهر من خلال تعاطي المخدرات وترويج الأقراص المهلوسة التي تحتل المرتبة الثالثة للجرائم في هذه الأحياء.

4.3. المنطقة الرابعة: حي الوئام، حي 600 سكن، حي أول نوفمبر

1.4.3. حي الوئام

وهو حي اجتماعي يقع بمحاذات الطريق الرئيسية التي تتوسط المدينة، يتميز بمساكن جماعية ذات طوابق (عمارات)، ومعظم قاطنيه تم ترحيلهم من منطقة قصديريه تسمى واد زعرور بعد تهديمها من طرف السلطات، وذلك بسبب افتقارها لأدنى شروط الحياة الطبيعية.

2.4.3. حي 600 سكن

وهو حي شعبي معظم سكناته من طراز واحد، حيث تم بناؤها من طرف الدولة، وهي مساكن منتظمة وذات واجهات متشابهة وتحوي أكثر من ثلاث غرف في كل مسكن، يقع هذا الحي بالقرب من المجمع الجامعي ومعظم ساكنيه من أساتذة وإطارات في القطاع العام (عمال البلدية وعمال الجامعة).

3.4.3. حي أول نوفمبر

يعتبر حي أول نوفمبر أقدم من حي الوئام وحي600 سكن من حيث النشأة ولكنه من الأحياء الحديثة في مدينة تبسة، مساكن هذا الحي هي بنايات جماعية أي عمارات ذات الخمسة طوابق ومعظم ساكني هذه الأحياء تم نقلهم من الأحياء غير المخططة عمرانيا والأحياء القصديرية، لذلك نجد اختلاف في التركيبة البشرية لهذا الحي، فلا نجد عرش معين ولكن نجد مزيج من العروش تقطن هذا الحي مما يقلل من الروابط بين السكان في العمارة

الواحدة وفي الحي، كما يعتبر هذا الحي منطقة عبور لقربه من القطب الجامعي الشيخ العربي التبسي لكون الطلبة يستعملون النقل الحضري لهذا الحي.

جدول4: يوضح توزع الجريمة على مستوى حي الوئام وحي600 سكن وحي أول نوفمبر

نمط الجريمة	حجم الجريمة (حي الوئام–حي 600 سكن– حي أول نوفمبر)						
	السنوات					المجموع	المتوسط	النسبة
	2016	2017	2018	2019	2020			
تعاطي وترويج المخدرات	32	30	43	27	54	186	37,2	26%
المشاجرات والإعتداءات	28	41	25	22	34	150	30	21%
الإعتداء على الممتلكات (السرقات الموصوفة)	47	39	26	18	44	174	34,8	24%
الدعارة	46	49	51	66	51	212	52,6	29%

المصدر: خلية الإعلام والعلاقات العامة بأمن تبسة، 2020

الشكل4: أعمدة بيانية توضح توزع الجريمة على مستوى حي الوئام وحي600 سكن وحي أول نوفمبر

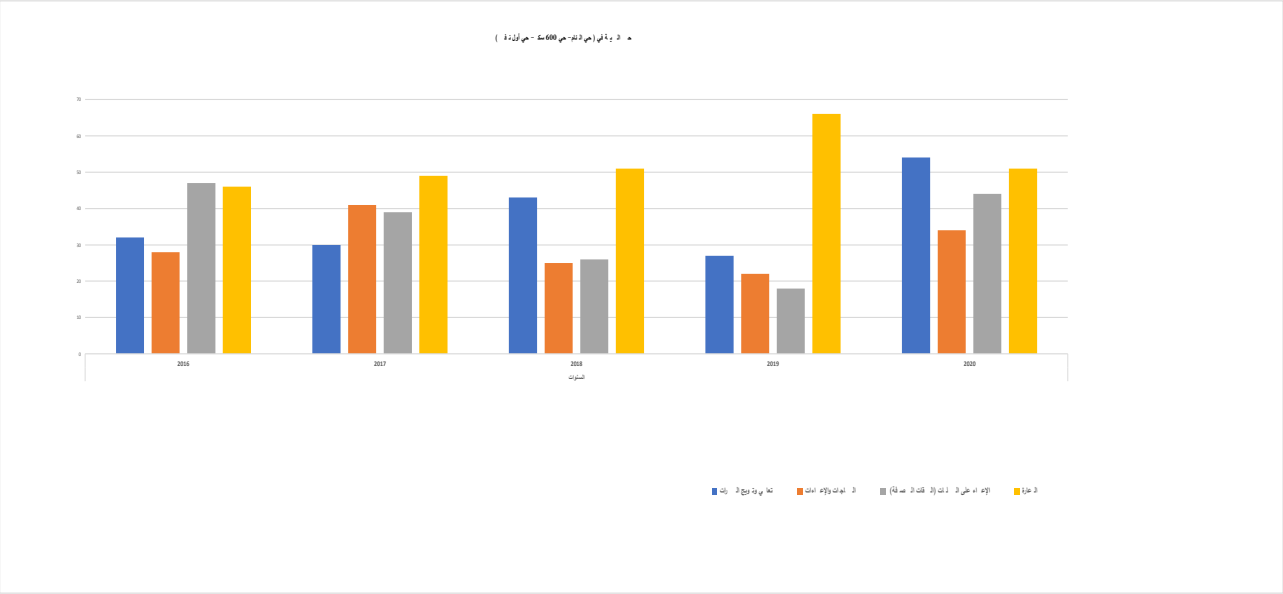

المصدر: إعداد الباحثة

التعليق

من خلال الجدول والتمثيل البياني فإن جريمة الدعارة تتصدر المرتبة الأولى ويعود هذا إلى انتشارها بشكل كبير في حي الوئام حيث تعتبر مهنة لكثير من القاطنين في هذا الحي وهي مهنتهم التي كان يمتهنونها في حي واد زعرور الذي تم ترحيلهم منه بعد تهديم منازلهم، وقد واصلت هذه الفئة نفس المهنة في الحي الجديد (الوئام)، ورغم الشكاوي من طرف الساكنين بهذا الحي إلا أن الممتهنين للدعارة لم يتوقفوا، وهذا ما جعل معظم الساكنين يبيعون منازلهم ويرحلون من هذا الحي ليستقطب الفئة التي لها نفس المهنة، وهذا ما تفسره نسبة 29% والتي تعتبر أعلى نسبة للجريمة وتليها تعاطي المخدرات بنسبة 26% والتي تنتشر في الأحياء الثلاثة بشكل متوازي.

أما جريمة السرقة والمشاجرات فقد تميزت هذه الأحياء بكثرة الشكاوي على مستوى الناحية الأمنية الخامسة وذلك بسبب وجود الجامعة وكذلك المجمع الجامعي والإقامة الجامعية لكونهم يستقطبون فئة كبيرة من الشباب والمراهقين لهذه المنطقة، مما يخلق نوع من النزاعات والاعتداءات على الأشخاص والممتلكات، بالإضافة إلى طبيعة السكن الاجتماعي الذي كثيرا ما يشكل عاملا أساسيا في المشاجرات بين سكان الحي.

5.3. المنطقة الخامسة: حي جديات مسعود، حي لاروكاد، حي بوحمرة

1.5.3. حي جديات مسعود

يقع جنوب شرق مدينة تبسة بمحاذاة طريق بكارية المؤدي لبلدية بكارية الحدودية لتونس وهي من الأحياء الموجودة في أطراف المدينة، ويعرف هذا الحي باسم الثلوجة وهو من الأحياء الجديدة التي تشكلت على أطراف المدينة بشكل عشوائي، يتميز هذا الحي برداءة البنية التحتية للطرقات وكذلك للسكنات الفوضوية التي بنيت مؤخرا، معظم سكان هذه المنطقة نازحين من مناطق أخرى لانعدام السكن في وسط المدينة وهم من الفئة الفقيرة ذات الدخل المحدود، معظم سكناتها في طور البناء، كما تفتقر شوارعها للإنارة والتهيئة، أما بالنسبة

للتركيبة البشرية فإن السكان هم مزيج من جميع العروش لكونهم نزحوا فرديا للبحث عن السكن الأقل سعرا لذلك نجد الانحياز للعصابات وليس العروش.

2.5.3. حي لاروكاد وبوحمرة

يعتبر هذين الحيين من الأحياء الجديدة أيضا والتي تتواجد في أطراف المدينة، كما تتميز باختلاف التركيبة البشرية من حيث الانتماء للعروش، حيث معظم السكان نزحوا مؤخرا من الأرياف ومن الضواحي المجاورة، يفتقر هذين الحيين لتهيئة الشوارع والطرقات ماعدا الساكنين بمحاذات الطريق الرئيسي لاروكاد فهو طريق واسع ومعبد تمر منه الشاحنات والمركبات ذات الوزن الثقيل، أما باقي الأزقة فهي وعرة وضيقة وخالية من مرافق الراحة والنظافة.

جدول رقم5: يوضح توزع الجريمة على مستوى حي لاروكاد وحي جديات مسعود وحي بوحمرة

نمط الجريمة	حجم الجريمة (حي لاروكاد– حي جديات مسعود– حي المرجة)							
	السنوات					المجموع	المتوسط	النسبة
	2016	2017	2018	2019	2020			
تعاطي وترويج المخدرات	42	53	47	81	92	315	63	24.5%
التهريب	134	97	103	54	30	418	83,6	33%
المشاجرات والإعتداءات	48	56	71	93	66	334	66,8	26%
السرقات الموصوفة	19	38	22	67	65	211	42,2	16.5%

شكل رقم5: أعمدة بيانية يوضح توزع الجريمة على مستوى حي لاروكاد وحي جديات مسعود وحي بوحمرة

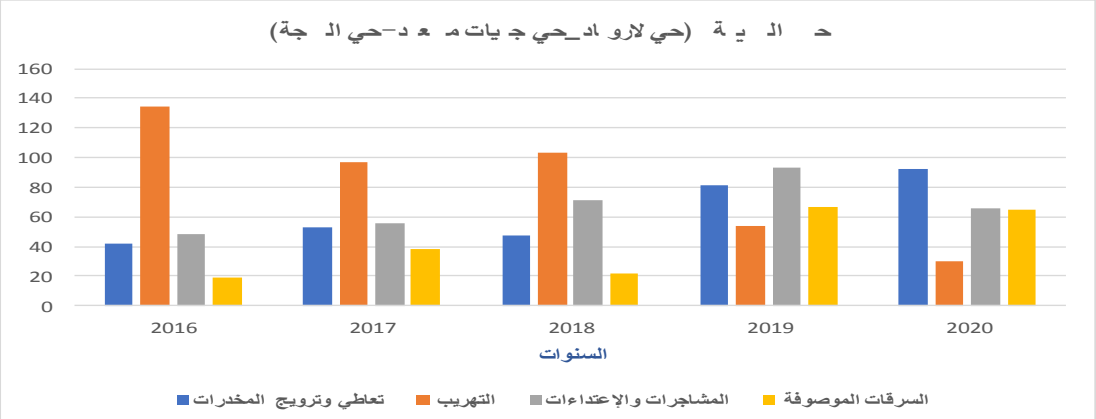

المصدر: إعداد الباحثة

التعليق

من خلال الجدول والتمثيل البياني نلاحظ أن جريمة التهريب تمثل أكبر نسبة وذلك لقرب هذه الأحياء من طريق بكارية المؤدي للحدود التونسية، وهذا ما جعل سكان هذا الحي يتوجهون لتهريب المازوت خاصة، وبمقارنة الإحصائيات خلال الست سنوات الأخيرة فقد انخفضت جريمة التهريب خلال نهاية 2019 و2020 أي فترة تفشي مرض كورونا، حيث تم إغلاق الحدود ومنع كل دخول وخروج بين الدولتين.

أما المشاجرات فتحتل المرتبة الثانية بنسبة 26 %، ويرجع ذلك إلى انتشار ما يسمى بالعصابات التي تسيطر على هذه الأحياء، وكثيرا ما تأتي عصابات من أحياء أخرى للمشاجرة أو تبادل المخدرات وترويجها، تتميز هذه العصابات بالعنف والتمرد على السلطة والتورط في أعمال التخريب والشغب، وتعتبر هذه الأحياء من الأحياء الهامشية التي يعاني سكانها من الظواهر الاجتماعية كالفقر والبطالة وانعدام النظافة والتهيئة العمرانية وحالة الطرقات الغير معبدة إضافة إلى المستوى الثقافي المتدني، فمعظم أطفال هذه المنطقة يتوقفون عن الدراسة في سن مبكرة، ويتجهون للتهريب وتعاطي المخدرات وبيعها.

6.3. المنطقة السادسة: حي طريق عنابة، الحي البرجوازي

يتوسط هذا الحي مدينة تبسة يتميز بالمنازل الفردية الفاخرة (الفيلا) ذات الحدائق ومواقف السيارات، بعض سكان هذا الحي من السكان القدماء لمدينة تبسة، وهذا ما توضحه المساكن التي معظمها مساكن تركها المستعمر وتم تعديلها، حيث تتميز الشوارع بالاتساع والهدوء معظم الوقت، لغياب الحركة فيها، يتميز سكان هذه المناطق، بالأسر النووية الممتدة، ويكون كبير العائلة من أعيان المدينة، وذو وقار بين الناس، أما أبناؤه وأحفاده فهم من الطبقة المتعلمة، والتي تتميز بالرقي في التعامل إضافة إلى المستوى المادي المرتفع.

يتجمع في هذين الحيين عرش ولاد يحي وولاد دراج وبعض من عرش النمامشة، حيث تكون الأسر المتواجدة معروفة من طرف بعضها البعض، ولكن بسبب اتساع الأزقة وحجم المباني يقل التواصل بين السكان الحي، لذلك تتسم هذه الأحياء عادة بالهدوء وكثيرا ما تكون ممرا للسيارات التي تفضل الابتعاد عن الازدحام في الطرقات الرئيسية واتخاذ الطرقات الثانوية داخل هذين الحيين.

جدول رقم6: يوضح توزع الجريمة على مستوى الحي البرجوازي وطريق عنابة

نمط الجريمة	حجم الجريمة (الحي البرجوازي_طريق عنابة)						
	السنوات					المجموع	المتوسط	النسبة
	2016	2017	2018	2019	2020			
تعاطي وترويج المخدرات	21	17	31	16	21	106	21,2	34.1%
الإعتداء على الممتلكات	15	20	24	14	28	101	20,2	32.5%
المشاجرات والإعتداءات	27	12	19	18	22	98	19,6	31.5
الدعارة	1	0	0	3	2	6	1,2	1.9

المصدر: إعداد الباحثة

شكل6: أعمدة بيانية توضح توزع الجريمة على مستوى الحي البرجوازي وحي طريق عنابة

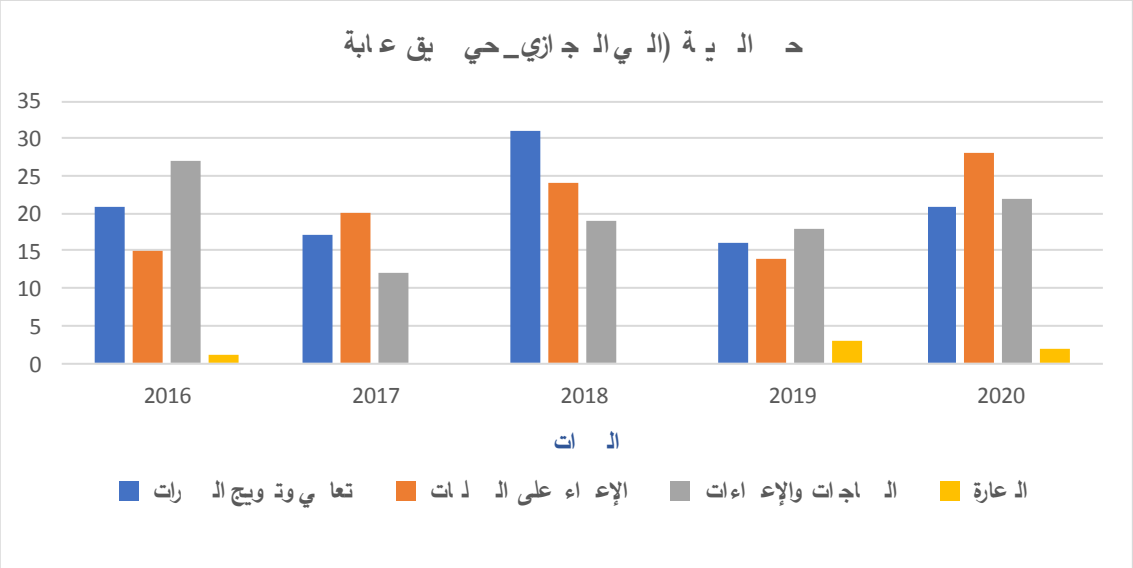

المصدر: إعداد الباحثة

التعليق

من خلال الجدول والتمثيل البياني يتضح أن نسب الجريمة منخفضة في هذه الأحياء بالمقارنة مع الأحياء الأخرى، وهذا راجع إلى الحالة الاجتماعية للسكان وكذلك الطبيعة الأيكولوجية للحي ونمط المسكن الذي يتوفر على مرافق الراحة من نظافة واتساع وقلة حركة، مما يؤثر نفسيا على سكان الحي ويجعلهم أكثر هدوء وابتعاد عن المشاكل وارتكاب الجرائم، كما يعود أيضا للحالة المادية الجيدة للسكان وانعدام بؤر الفساد، ولكن لا يعني خلو هذه الأحياء من الجريمة فقد شهدت أيضا جرائم مختلفة كتعاطي المخدرات والمشاجرات والسرقات، رغم انخفاض نسبتها إلا أنها موجودة.

خلاصة الفصل الثاني

تختلف نسبة الجرائم باختلاف كل منطقة تبعا للسمات الحضرية فيها، حيث تعكس البيئة الأيكولوجية الجانب المادي للثقافة الذي يفرض توجهات المجتمع وممارساته وتفاعله مع هذه البيئة، ويعود إخفاق الفرد في تكوين مجموع الأحكام القيمية والعادات السوية والسلوك المقبول، واستبدال كل هذا بقيم وعادات مرفوضة اجتماعيا إلى تأثره بخصائص البيئة التي ساهمت في تكوين اتجاهاته وتوجيه سلوكه، إضافة إلى ثقافته اللامادية التي اكتسبها عبر تنشئته الاجتماعية، حيث توصلنا إلى النتائج الأتية:

- تساهم البنية المورفولوجية للمدينة في تشكيل تصورات وتمثلات الأفراد.
- يتأثر سلوك الفرد داخل الفضاء المديني بالبعد الثقافي للبيئة الطبيعية والإيكولوجية
- في حين افتقرت البيئة الطبيعية للفرد للشروط المناسبة قد توجهه نحو الانحراف وتبني السلوك الإجرامي.
- ترتبط الخصائص السوسيوثقافية لكل حي بنمط الجريمة التي تحتمها طبيعة التركيبة البشرية وحالة الأحياء من خلال الموقع وكذلك المرافق المتوفرة.

الفصل الثالث:

الخصائص السوسيوثقافية للمدينة وعلاقتها بالسلوك الإجرامي

- تمهيد

أولا: الثقافة

ثانيا: الثقافة المدينية

ثالثا: العادات والتقاليد وعلاقتها بالسلوك الإجرامي

رابعا: الثقافة الشعبية

- خلاصة الفصل

تمهيد

يتميز الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى بأن له بناء معياريا يعكس القيم الثقافية لكل ما تحتويه من معايير وقواعد سلوكية تتجلى من خلالها ممارساته الثقافية المكتسبة عن مجتمعه، حيث أن لكل مجتمع إنساني ثقافة معينة تحدد رؤيته لما يحيط به من أطر مادية ومعنوية.

وقد تساءل الفلاسفة منذ القدم عن الأصل في ظهور الجريمة، فربطوا بينها وبين مشكلة الشر وانعدام الفضائل وبين التوجه نحو اللذة والألم وغيرها، أما الأنثروبولوجيون فوجدوا أن دراسة السلوك الإجرامي تستلزم الإلمام بالأنماط الثقافية السائدة في المجتمع والوقوف على مكوناتها المادية واللامادية التي تؤثر على التوجه نحو الجريمة أو تقويم سلوك الفرد.

أولا: الثقافة

تشكل الثقافة الإطار الذي يحدد أنماط السلوك المقبول اجتماعيا من كل أعضاء المجتمع، كما أن لكل مجتمع ثقافته الخاصة التي تمثل انعكاسا للحياة الاجتماعية والثقافية التي يتكون من خلالها سلوكه السوي أو الإنحرافي، وإذا ركزنا على السلوك الإنحرافي لوجدنا أن الجريمة كظاهرة غير منفصلة عن ثقافة الفرد تعكس ضروب الاختلال الاجتماعي الكامنة في بنائه، والإنسان المديني كغيره يخضع لثقافة مدينيه تؤثر على سلوكه، وقبل أن نتطرق إلى علاقة الثقافة المدينية بالجريمة، حري بنا أن نحدد مفهوم الثقافة ومكوناتها من خلال ما يلي:

1. مفهوم الثقافة

قدم ابن خلدون الثقافة في مقدمته الشهيرة على أنها العمران والذي هو صنع الإنسان، ويقول العلامة في هذا المجال بأن الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: أن الإنسان مدني بطبعه، أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم، وهو معنى العمران، أما علماء القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فقد كان لهم شبه اتفاق على مفهوم الثقافة وقاموا بالأخذ بتعريف تايلور(Tylor) بأن الثقافة هي ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والعادات والعرف وكافة المقدرات والأشياء الأخرى والتي تؤدى من جانب الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع (زيد، 1978).

- وعرف مالينوفسكي الثقافة بأنها تشمل المهارات الموروثة، الأشياء، والأساليب، أو العمليات الفنية، والأفكار، والعادات والقيم، وكلمة العادات التي أشار إليها مالينوفسكي تخرج بالتعريف من حيز الوسط البيولوجي إلى مجال الدراسات الاجتماعية (يوسفي، 2011-2012).

أما مالك بن نبي فقد عرف الثقافة على أنها مجموعة الصفات الخلفية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصنع لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة والذي يتحرك في نطاقه الإنساني المتحضر، والثقافة هي ذلك الدم في جسد المجتمع يغذي حضارته، ويحمل أفكار الصفوة كما يحمل أفكار العامة، وكل

هذه الأفكار منسجمة في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة، والأذواق المتناسبة.

▪ ويرى الدكتور "**التركي الحمد**" أنه لو استعرضنا مختلف تعريفات الثقافة الذي أورده علماء السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا أو مالك بن نبي أو الجابري أو اليونسكو فإن تعريف الجميع، ورغم الاختلاف لا يخرج من خلاصته عن القول بأن الثقافة عبارة عن تلك المعايير المشكلة لنظام العقل والسلوك في مجتمع ما، أو لدى جماعة ما والتي تحدد نظرة الفرد والجماعة لنفسها وللأخرين، والكون من حولها (يوسفي، 2011–2012) .

▪ إن الوظيفة الأساسية للثقافة هي تجمع أعداد من الناس في بوتقة جماعة مميزة وخاصة، فثمة عوامل أخرى تساهم أيضا في الوصول إلى النتيجة نفسها: كروابط الدم، والقرب الجغرافي، والسكن وتقسيم العمل، ولكن هذه العوامل التي يمكن أن نسميها عوامل موضوعية تتبدل كما أنها تفسر من جديد في الثقافة، فالثقافة هي التي تعطي لهذه العوامل معنى وبعدا يتجاوز كثيرا معانيها وأبعادها، وهكذا فإن روابط الدم تصبح روابط قربى، وتتسع هذه الروابط وتتعقد بسبب نظام المحارم والقواعد التي تحدد الزواج المباح والزواج المحرم، وبسبب المعايير التي تنظم العلاقات بين الأشخاص من الجماعة القرابية نفسها، وكذلك الشيء نفسه أيضا يتعلق بالسكن أو بتقسيم العمل، حيث تستخدم الثقافة هذا أو ذاك من أجل أن تصنع فكرة الأمة والوطن والملكية الخاصة والمكانة، وكل هذه العوامل تشكل واقعا ساهمت الثقافة في بنائه واستمراره، لذلك تبدو الثقافة وكأنها عبارة عن عالم عقلي أخلاقي رمزي، مشترك بين أعداد من الناس، وبفضل هذا العالم يستطيع هؤلاء أن يتصلوا فيما بينهم ويقروا الروابط التي تشد بعضهم إلى بعض وتشكل أعضاء الجماعة والكيان الواحد (حامد، 2012، صفحة 161).

2. مكونات الثقافة

يتفق معظم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا على أن الثقافة تتكون من مكونين أساسيين هما الثقافة المادية matériel culture والثقافة اللامادية Non matériel culture.

1.2. الثقافة المادية

الثقافة المادية هي مصطلح يطلقه الأنثروبولوجي على الأشياء والممتلكات الثقافة المرتبطة بمنتجات السلوك البشري، والثقافة المادية أو التجهيز الثقافي هي التعبير المادي عن التغيرات التي يحدثها البشر في توافقهم وسيطرتهم على بيئاتهم الاجتماعية والفيزيقية، وهي متنوعة ولا تقتصر فقط على الأسلحة والمعدات والأدوات ولكنها تمتد لتشمل أعمال الفن من زخارف ونقوش وأدوات موسيقية والأدوات المرتبطة بالعقائد أو الممارسات الدينية كذلك المأوى والملبس ووسائل الحصول على الطعام وإنتاجه ووسائل النقل المختلفة (إبراهيم م.، 2005، صفحة 344).

كما يمكن أن تتجسد الثقافة المادية في العمران وطرق البناء والطرقات والسيارات ومختلف المنشآت وغير ذلك، وترجع أهمية الثقافة المادية في أنها تجعلنا نستخلص الكثير عن حياة الشعوب البائدة وثقافاتهم من خلال مخلفاتهم المادية، كذلك يمكن التعرف على ماضي الجماعات التي ليس لها تاريخ مكتوب أو سجلات مدونة من خلال فحص عناصر حياتهم.

2.2. الثقافة اللامادية

ويشتمل الجانب اللامادي للثقافة من ناحية أخرى على كل ما يبتكره الإنسان ويستخدمه في تفسير سلوكه وأفعاله وتوجيهها بشرط ألا تخرج من نطاق عقله وتفكيره، لذلك فهي تمثل جميع السمات الثقافية غير الملموسة، كالمهارات الفنية والمعايير والمعتقدات والاتجاهات واللغة والعلاقات الاجتماعية والتفاعلات والتصورات الموحدة والثابتة نسبيا في المجتمع وغير ذلك مما يتناقله أفراد المجتمع من جيل إلى آخر (السيد، 2004).

3. الثقافة المدينية

يعتبر مفهوم الثقافة الحضرية من المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع الحضري ومفهوم يُبحث فيه ويدرّس، وقد أصّله الرواد الأوائل لمدرسة شيكاغو من أمثال لويس ورث وبارك وردفيلد وغيرهم، وبحثوا في المفهوم واستخلصوا نتائج من خلال دراسة الثقافة الحضرية بالمدن الأمريكية وميزوا بين الثقافة الحضرية والثقافة الريفية، وقد سبقهم في هذا عالم الاجتماع العربي ابن خلدون عندما ميز بين العمران البدوي والعمران الحضري أو بين خصائص أهل البدو وخصائص أهل الحضر، وهذا الأخير

أسهب فيه واستنتج خصائص تميز أهل الحضر وتندرج أفكار ابن خلدون ضمن مفهوم الثقافة الحضرية، كما بحث فيها عدة علماء فرنسيين.

كما يعد " روبرت بارك " أبرز المؤسسين الأوائل لمدرسة شيكاغو، وقد قدم إسهاما في المدينة وأكد في هذا المجال عددا من القضايا الهامة التي نجملها على النحو الآتي:

- المدينة مكان طبيعي لإقامة الإنسان المتحضر.
- المدينة بناء طبيعي يخضع لقوانين خاصة من الصعب تجاوزها.
- المدينة بناء متكامل.
- المدينة منطقة ثقافية (يوسفي، 2011-2012، صفحة 115).

يقول " شبانوا " **أن العالم عبارة عن تصورات من خلال التفاعل داخل المدينة تنتج تصورات فردية – اجتماعية، وهذه التصورات هي التي تبنى بها الحياة الاجتماعية الحضرية، وتكون عن طريق الاجتماع والتفاعلات والعلاقات الاجتماعية المتينة والأفعال والسلوكيات والمعاملات اليومية**" (يوسفي، 2011-2012، صفحة 115).

ثانيا: العادات والتقاليد وعلاقتها بالسلوك الإجرامي

تؤثر العادات والتقاليد على السلوك الفردي والجماعي لأعضاء المجتمع، وذلك من الناحيتين الجيدة والسلبية، ويمكن توضيح ذلك في ما يلي:

1. العادات

يمكن تعريف العادة بأنها أنماط السلوك التي تنتقل من جيل إلى جيل وتستمر فترة طويلة حتى تثبت وتصل إلى درجة الاعتراف من طرف الأجيال المتعاقبة، كما تعرف العادات بمجموعة الأفعال والأعمال وألوان السلوك، تنشأ بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بظاهرة سلوكية تساعد على تنظيم الجماعة أو التعبير عن مشاعرهم وإرضاء طموحاتهم، كما يمكن اعتبار العادات عبارة عن خط سلوكي يستمر فترة طويلة حتى يثبت ويستقر ويصل درجة الاعتراف به (مصلح، 2006).

إن لفظي العادات والتقاليد مفهومان مترادفان في الغالب، ويرى إدوارد سابير Sapir بأن العادات تستخدم للدلالة على مجموعة الأنماط السلوكية التي يحملها التراث ويستمر احترامها لدى الجماعة في مقابل النشاط العشوائي للشخص، فكليهما يعتبر ممارسات جماعية تلازم الحياة الاجتماعية اليومية، وتقوم على أساس مجموعة من السلوكيات التي يتبناها الأفراد في مختلف المناسبات، حيث تشكل هذه السلوكيات أنماط معيارية لها رمزية أخلاقية، وبالتالي فكلاهما له نفس الوظيفة تتمثل في تزويد المجتمع بالاستقرار.

2. التقاليد

التقاليد هي مجموعة من قواعد السلوك التي تنشأ عن الرضا والاتفاق الجمعي والتي تستمد قوتها في المجتمع وتحتفظ بالحكم المتراكمة وذكريات الماضي التي مر بها المجتمع، يتناقلها الخلف عن السلف جيل بعد جيل، فالتقاليد بمثابة القواعد التي تحقق النظام الداخلي للمجتمع البشري وترتبط ارتباطا وثيقا بالماضي والامتثال للأجداد من خلال محاكات سلوكهم، وبذلك يحدث التزاوج بين قيم الحاضر وقيم الماضي بعاداته وتقاليده.

والتقاليد في المفهوم الديني والاجتماعي تؤكد فكرة الوديعة أو بالأحرى ما سلمه الجيل القديم للجيل الجديد للحفاظ عليه من العادات الدخيلة، وهذا ما يفسر كون الأبناء يقومون بتقاليد أجدادهم، وبالتالي ما يجسده الامتثال للعلاقات والتفاعلات الاجتماعية الموجودة ويفسر في لغة المقدس.

وتتميز التقاليد بصفة التوريث، فالتوارث أهم خاصية في التقاليد، لأنها لا تنتقل من جيل إلى أخر إلا عن طريق التوارث، كما أنها تتميز بميزة التحفظ من جانب الأسلاف المورثين في نقل وتوصيل العادات التي يستحسنوها إلى الخلف، وهذا يظهر التقبل الواعي لهذه العادات القديمة وتقبلها برغبة ممارستها مع الشعور بالإعجاب بها، وهذا ما يفسر طغيانها وسيطرتها على حياة الناس، حيث تقيد سلوكهم وتتدخل في كل أنواع النشاط المتبادل بينهم (فايزة، 2011-2012، صفحة 122).

وتمثل التقاليد روح الأمة لأنها مهمة في تسيير حياتهم اليومية وتعطي لهم قوانين ونظم لذلك، وهي نظم متواجدة قبل وجود الإنسان لأنها تعطي للفرد مجموعة من الأنماط السلوكية المتفق عليها حتى يتبعها لكي يتمكن من تحقيق الحاجات الإنسانية، وبذلك هي ترسم له الأساليب والتصرفات التي

تسمح بالتفاعل وهي تعبر عن مظاهر السلوك الجمعي المتكرر، التقاليد تظهر في آن واحد داخل الوعي الجمعي والفردي وداخل العلاقات والتفاعلات المكونة للحياة الاجتماعية.

وتظهر أهمية التقاليد وحسب لفي بروهل Levy Brühl من حيث أن الماضي عند المجتمعات التقليدية والذي تحفظه الذاكرة الجمعية لا يتوسع أبدا إنه يفتقد للتعمق فيصبح ميكرو تاريخي معبر عن الروايات أو النوادر، وهذا ما يفسر كون التقاليد تترسخ في الذاكرة الجمعية (فايزة، 2011-2012، صفحة 123).

3. الأعراف

وهي عبارة عن عادات تقتبس أفقيا داخل الجيل الواحد، إذ تنتقل العادات من مكان استخدامها إلى أماكن أخرى، ومع الزمن يقوم بها جميع أفراد الجماعة في المناسبة نفسها، ويختلف العرف عن التقليد في درجة الإلزام وفي عموميته، فالتقاليد عادات تهم جماعة معينة لذلك فهي ضيقة النطاق، ويعتبر العرف قانون يعاقب من لا يخضع له وقد تكون العقوبة أحيانا القتل أو الطرد من الجماعة، حيث تعمل التقاليد في تدعيم الجماعات ومراعاة مصالحها، أما العرف فهو يهدف إلى حفظ كيان الجماعات كلها، لذلك فهو يتوافق مع القانون لأنه يعمل على تنظيم المجتمع ويضمن تلاحمه (فايزة، 2011-2012، صفحة 130).

4. عادات وتقاليد الزواج في مدينة تبسة

تستند الأعراس التبسية على موروث مادي ومعنوي كبير، حيث تركز العائلات خلال تنظيم الأعراس على ما يعبر ويبرز أصالة المنطقة وامتدادها الضارب في عمق تاريخها.

تشتهر مدينة تبسة على غرار ولايات الأوراس والشاوية بأعراس وحفلات زفاف تتميز بعادات وتقاليد راسخة من عهد الأجداد، حيث بقي الجيل الجديد يحافظ على الموروث المتأصل ويشجع كل مظاهره، فزخم المدينة لم يغير من طبع هذه التقاليد التي بقيت راسخة ومتأصلة لا يستغنى عنها حتى مع الجيل الجديد، لأنها تعبر عن الفرحة والسرور والمتعة كونها تنقل الفرد من روتين الأيام العادية إلى أحداث وممارسات تزيد البهجة والاجتماع مع الأقارب والأصحاب.

وتتمثل عادات الأعراس في مدينة تبسة ابتداء من الخطبة حتى انتهاء العرس بعادات متتالية ومنظمة في قالب زمني يبدأ بـــ:

1.4. تعارف العائلتين والخطبة

وتتمثل هذه الفترة في إعلام أهل العروس بالمجيء عندهم قصد طرح موضوع الزواج بالقبول أو الرفض، ومن ثم يتم تحديد موعد لتلاقي العائلتين قصد الخطبة الشرعية، وتذهب عائلة العريس والمتكونة من ولي أمره أو جده مع أعمامه، أخواله هذا من ناحية الرجال أما من ناحية النسوة فتذهب منهن كبيرات السن من أمه أو جدته، عمته، أي يحضر عدد من الأشخاص الموجودين في الخطبة من أهل العريس وأهل العروس.

يرحب أهل العروس بأهل العريس والقيام بكرم الضيافة عن طريق وضع بعض المأكولات التقليدية من تمر وحليب ولا ننسى القهوة قبل الشروع في الموضوع الأساسي، يبدأ ولي العريس بقوله "جئناكم بالحسب والنسب نخطبوا ابنتكم فلانة بنت فلان لابننا فلان ابن فلان"، ويكون رد ولي العروس "عطيناكم".

بعد كلمة القبول يشرع ولي العروس في تحديد مهر ابنته والمتمثل في عدد معين من مبلغ مالي وقطعة من الذهب والصوف، بعد استكمال شروط الخطبة ترفع الأيادي لقراءة الفاتحة من طرف أهل العروسين وتحديد موعد الزفاف وفي وقتنا الحالي يتم تحديد موعد العرس في لقاء أخر وأحيانا يكون بالهاتف فقط ثم يطلق البارود وبعد ذلك تسمع الزغاريد، يرجع أهل العريس فرحين مع إقامة وليمة مرفوقة ببعض الأغاني البدوية الأصيلة من طرف النسوة.

2.4. العرس

1.2.4. اليوم الأول: (الكبش)

يسير مشايخ أهل العريس إلى أهل العروس من نسوة ورجال مرفقين بالكبش ملفوف على رقبته محرمة ولواحقه المتمثلة في بعض دقيق القمح، الزيت، السكر، وبعض لوازم الطبخ (البرمة)، يستقبل أهل العروس أهل العريس بالزغاريد وطلقات البارود ثم يشرع في الذبح وتقوم العروس بقلي الكبدة وإعطائها للبنات العازبات.

2.2.4. اليوم الثاني: (الكسوة)

1.2.2.4. الكسوة:

هي عبارة عن مجموعة من الألبسة والمكياج والتي تعلق في بيت العريس قبل أخذها إلى العروس قصد رؤيتها من طرف جميع الأهل وعددها 4 في 4 من كل قطعة.
– يذهب أهل العريس حاملين الكسوة في موكب متكون من بعض النسوة والرجال الذي يفوق عدد النسوة مع الزغاريد والطواحي.

– عند وصول الموكب يستقبلون من طرف أهل العروس بالبارود والزغاريد، تشرع العائلتين في إتمام مراسم العقد الشرعي بحضور إمام مع قراءة الفاتحة، ثم يتم استضافتهم للغداء من طرف أهل العروس لأكل بعض من الكبش الذي تم إحضاره في اليوم الماضي.

2.2.2.4. الحنة

تقوم عجوز من أهل العريس بوضع الحنة في يد العروس وتغرس في الحنة قطعة ذهبية (لويزة) وتضع في ساعديها قطعة من الذهب (مقواس) أو أي ذهب تم شرطه من طرف أهل العروس في الخطبة مع وضع قطعة سكر في فمها، مع العلم أنها عوضت بحلوة الدراجين حاليا، طبعا هذه العادات في حضور النسوة من أهل العروسين وتتعالى الزغاريد والرقص، مع عرض الكسوة.

– يعود أهل العريس إلى بيتهم حاملين معهم عرقوب الكبش وقلبه مطبوخين، نفس الشيء بالنسبة للعريس تقوم إحدى العجائز بخلط الحنة مع أداء الطواحي ووضعها له في إصبعه ولأصحابه العازبين.

3.2.4. اليوم الثالث: (يوم الدخلة) الكورتاج، موكب العروس

تحضر العروس نفسها للذهاب إلى بيت زوجها – بعد تزيينها بلباس أبيض وحلي ويوضع اللحاف (البرنوس) عليها بحيث لا يُرى منها شيئا.

– يأتي أهل العريس في موكب بهيج تتبعهم طلقات الرصاص من طرف الفرسان لأخذ العروس إلى بيت زوجها، تركب في سيارة مزينة لها خصيصا ترافقها مجموعة من النسوة عددهم يفوق العشرين.

– عند وصولها إلى بيت العريس تدخل وفي الباب تدهن لها أم العريس أو خالته أو أخته يدها بالزبدة العربية (الدهان) أو العسل وتعطيها حبة تمر مع الحليب.

– تجلس العروس في مجمع النساء متبوع بأغاني وزغاريد ويضعون في حجرها طفل صغير، كفأل حسن لتنجب أطفالا في المستقبل.

– من بين الأغاني التي نغنى عند دخول العروس

صلوا على محمد صلى الله عليه

صلوا على النبي يعمي عين الحاسدين

وزيدوا صلوا عليه

– خارج المنزل توجد فرقة أغاني فلكلورية والتي تعتبر من الخصائص الفنية المميزة للمنطقة لا يمكن الاستغناء عنها في الأفراح من رقص للخيل على القصبة والبندير وتسابقها مع طلقات البارود.

– أما العريس فهو في كامل أناقته بزي تقليدي الكوستيم، برنوس أبيض وشاش برفقته (الحجابة) أصحابه، بعد ذلك تدخل العروس إلى غرفتها المخصصة لهذه الليلة ثم يدخل العريس بعد مرافقة أصحابه وأقاربه الشباب إلى الباب مع ترديدهم أغاني مشهورة من بينها:

هذا عرسك يا فلان

جيب البهجة والفاميليا

سمعوا جيرنا

كمل وعطانا ربي

نشاله تعمر دارنا

وكذلك أغاني دينية مثل **الصلاة على النبي ويا كعبة يا بيت ربي محلاكي والصلاة على النبي إلي بناكي ونشاله نزورها الله أكبر ونشم بخورها الله أكبر.**

يدخل العريس بمفرده إلى غرفة العروس وتصبح حلاله بعد أن يؤديان ركعتين صلاة حتى يبارك الله لهما، عند انتهاء الدخلة يخرج العريس ومعه قميص أبيض خاص بالعروس فيه قطرات من دم

لإثبات عفتها، ويسلمه إلى أهل العروس عن طريق أحد من أهله، بعد ذلك تحمل النسوة ذلك القميص ويطلقون الزغاريد والغناء حيث يرددون بعض الأغاني النسوية مثل:

هكاك يا فلانة هكاك

زينت وجه باباك

- ومع القميص نقود أو شاة تسلم من طرف أهل العريس إلى أم العروس تعبيرا عن قيمة هذه العفة، في الخارج تتعالى طلقات البارود من طرف أهل العروس.

4.2.4. اليوم الرابع: يوم الصباحية " الفطور"

هو اليوم الثاني من مجيء العروس إلى بيت زوجها ويسمى" الصباحية "، حيث يأتي أهل العروس مرفقين ببعض المأكولات مثل "**الطمينة**" والحلويات والقهوة والحليب، تقوم العروس بتزيين نفسها لاستقبال أهلها ويأتي أحد أخوة العريس لوضع " **الحزام**" لزوجة أخيه.

الحزام: هو تقليد يكون من الذهب، يضعه أخ العريس في خصر العروس وله عدة أبعاد في عادات وتقاليد المجتمع التبسي من بين هذه الأبعاد، يعبر الحزام على الخصوبة كون العروس قبل الزواج لا تضعه لأنها عذراء ولا يمكنها إنجاب الأطفال دون زواج ولكن بعد الزواج والدخول يضعونه في مكان الإنجاب ليكون فآل خير للإنجاب، إضافة إلى ذلك يضع أخ العريس نقودا على هذا الحزام كتهنئة للعروس.

يشير بيير بورديو في كتابه الهيمنة الذكورية أن الحزام واحد من علامات إغلاق الجسد الأنثوي، ويرمز أيضا إلى الحاجز المقدس الذي يحمي شرف الأنثى وكأنه علامة سياج (فمن تتمسك بحزامها موثوقا فلا تفكه تعتبر فاضلة وعفيفة)، كونه تعبير رمزي يفصل بين الثنائية الطاهر/النجس (بورديو، 2009، صفحة 35)

إن كل عادة أو تقليد في أعراس تبسة يرمز إلى تصور راسخ في المخيال الشعبي، يتوارث عبر الأجيال كممارسة حتى دون معرفة السبب من القيام به مثل:

5. عادات وتقاليد الزواج وعلاقتها بالجريمة

رغم أن الزواج هو رباط مقدس ويمثل موروث شعبي يزخر بالعادات والتقاليد التي تجعل الثقافة التبسية لها من الخصوصية ما يميزها عن الثقافات الأخرى، إلا أن طقوس الزواج والممارسات التي تقام خلاله قد تنحرف عن مسارها كونها عادات للفرح والبهجة إلى عادات قد تجعل للجريمة فضاءا خصبا، وذلك من خلال عدم عقلنة هذه التقاليد والخوض فيها دون تقنينها وقولبتها وسوء ممارستها وفهمها.

لذلك فإن مراسم الزواج كثيرا ما تنتج مأسي قد تكون عن قصد أو دون قصد، وفي مقابلة مع رئيس خلية الإعلام والعلاقات العامة بأمن ولاية تبسة تم تزويدنا ببعض الحوادث التي تحولت إلى جرائم ارتبطت بعادات وتقاليد الزواج.

جدول رقم7: يوضح جرائم أثناء إحياء مراسم الزواج

الجريمة	التقاليد	الجاني	أحداث الجريمة
قتل بالسلاح	ضرب البارود ليلة الحنة	شاب	شاب من الضيوف الحاضرين يتسبب في مقتل كهل أثناء ضرب البارود ليلة الاحتفال بليلة الحنة
قتل بالسلاح	ضرب البارود ليلة العرس	طفل	خطأ في ضرب البارود عند انطلاق طلقة بارود من بندقية صيد خطأ من طرف شاب من أهل العريس
قتل وجرح مجموعة من الأشخاص	حادثة سير أثناء السياقة في موكب العروس	عدة أشخاص من عائلات مختلفة	سائقي السيارات من أهل العريس الذين كانوا يتسابقون في الطريق

جرح بالسلاح والتسبب بإعاقة	ضرب البارود أثناء دخول العروس لبيت أهل زوجها ليلة الزفاف	أخت العريس	شخص من الحاضرين أخطأ التصويب بدل أن يرفع السلاح ويضرب البارود أخفض السلاح ثم أطلق فأصاب الفتاة
جروح بليغة لعدة أشخاص	طقوس ليلة الحنة	ضيوف من الطرفين	شجار نشب بين النساء بسبب سوء تفاهم حول عادات الحنة ثم تطور الأمر ليصل إلى الرجال الذين نشب بينهم شجار وانتهى بضحايا من الطرفين
احتراق العروس معها بعض الفتيات	شموع مشتعلة ليلة الحنة وإطلاق لعبة الثلج من طرف ابنة عم العريس	العروس وبعض الضيفات	إطلاق لعبة الثلج في الوقت الذي كانت الشموع مشتعلة فنشب حريق انفجاري أصيبت فيه العروس وبعض الضيفات
قطع وريد عم الزوج	ذبح الكبش (شات الحلال)	عم الزوج	خطأ أخ الزوج وتمرير السكين على معصم عمه أثناء ذبح الشاة

التعليق

من خلال الجدول:

- **الجرائم المتعلقة بليلة الزفاف (الدخلة)**

يعتبر إحياء ليلة الزفاف أو ليلة الدخلة رغم خصوصيتها من العادات التي لم يستغني عنها المجتمع التبسي، والتي تتجسد في مخياله كرمز لإثبات الشرف والتباهي بالرجولة للعريس أو أهل العروس، لذلك فقد تأخذ من الأهمية بالقدر الذي يجعل العرس قائم فقط لأجل هذا الطقس العلني.

ورغم تحضر المجتمع وانتقاله من مرحلة الاندفاع وراء التقليد والاستغناء عن بعض الطقوس المرتبطة بدخول العريس، كأخذ العريس زوجته إلى بيت خاص أو نزل أو السفر وبدأ شهر العسل تلك الليلة، إلى أن هناك من يحول هذه الليلة مسرحا للجريمة، وذلك إشباعا فقط لاعتقاده بأن الرجولة والشرف تثبت من خلالها، ومن بين الجرائم التي ترتكب جراء هذا التقليد في منطقة تبسة والتي تم الإعلان عنها إلى الأمن ما يلي:

- قتل الزوج لزوجته أثناء تعنيفها ليلة الدخلة والتسبب في نزيف أودى بحياتها.
- تعذيب المرأة ليلة الدخلة واستعمال وسائل مادية لفض غشاء البكارة.
- تشويه لعضو المرأة بعد تعنيفها من طرف الزوج الذي ثبت أنه كان في حالة سكر.
- ممارسة العنف الجنسي ضد الزوجة والتسبب في جروح وحروق للضحية على مستوى جسدها.
- قتل الأب لابنته بعد إثبات عدم عذريتها ليلة الدخلة.
- شجار بين أهل العروس والعريس بعد فشل الزوج في فض بكارة العروس واتهامه بعدم الرجولة، في حين اتهام أهل الزوج للعروس بعدم عذريتها، وقد أدى هذا الشجار إلى جروح بليغة لعدة أشخاص.
- محاولة قتل الأخ لأخته بعد اتهامها من طرف العريس بعدم عذريتها وانتهي الأمر بسجن الأخ وانتهاء الزواج.
- قتل شاب طعنا لزوج ابنة عمته بعد اتهام الزوج لزوجته بعدم العذرية وذلك أمام الحضور.

التعليق

إن المجتمع التقليدي يضغط على الفرد ويخضعه للأحكام الجماعية، حيث تأتي جريمة الشرف المتعلقة بالمرأة بعد إخفاق النسق التقليدي في الحفاظ عليها، وبعد تلوث الشرف لغسل ما لا يغسل إلا بالدم أي غسل العار، وبالتالي إعادة بناء الشرف.

يتمحور شرف الأفراد حول جسد المرأة عند الزواج الذي يتحدد من خلاله المباح والممنوع تبعا لأنماط تقليدية معينة، حيث السير على هذه الأنماط يكون وفق أحكام تصدرها الجماعة على المرأة، حيث تبدأ هذه الأحكام من خلال التربية الجنسية للبنت وتخويفها للحفاظ على دليل بكارتها الذي يصبح عند الرجل بعد الزواج وينكشف للجماعة، في حدث رئيسي في حياة العائلة ألا وهو ليلة الزفاف، حيث

يصبح هذا الدليل متعلق بشرف رجال العائلة ودورهم إثبات هذا الدليل أو الانتقام له من خلال الجرائم، التي تحدث ليلة الزفاف وتكون ضحيتها إما العروس أو الزوج أو أي فرد أراد انتهاك هذه القيمة وإثبات فشل دليل الشرف.

ثالثا: القيم الثقافية وعلاقته بالسلوك الإجرامي

تمثل القيم الجانب المؤثر في الثقافة والذي يحدد سلوك الإنسان وتفكيره، وهو موضوع الرغبة الإنسانية والتقدير، وتشمل كل الموضوعات والظروف والمبادئ التي أصبحت ذات معنى خلال تجربة الإنسان الطويلة، وقد تكون القيم إيجابية أو سلبية وتقيم أسس المرغوب وغير المرغوب، والقيم تعبر عن كل الأفكار المتعلقة بالأهمية النسبية للأشياء وتقوم بوظيفة ربط أجزاء المجتمع بعضها بالأخر.

1. مفهوم القيم الثقافية

عرفت القيم بأنها الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية يكتسبها الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة، ويشترط أن تنال قبولا من جماعة اجتماعية، وهي كذلك مجموعة من المبادئ والمعايير التي يضعها مجتمع ما في ضوء ما تراكم عليه من خبرات، وتكون نتيجة عمليات انتقاء جماعية يصطلح أفراد المجتمع عليها لتنظيم العلاقات بينهم (المعايطة، 2000)، وقد عرفها **(فليب جاكوب)** بأنها مستويات معيارية يتأثر بها الإنسان في اختياره بين بدائل السلوكيات المدركة.

كما عرفها **تالكوت بارسونز** بأنها عنصر في نسق رمزي مشترك يعتبر معيارا، أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في الموقف (براهمية صنية)، كما أن القيم عبارة عن المعتقدات التي يحملها الفرد نحو الأشياء والمعاني وأوجه النشاط المختلفة والتي تعمل على توجيه رغباته واتجاهاته نحوها، وتحدد له السلوك المقبول والمرفوض والصواب والخطأ، وتتصف بالثبات النسبي.

وهي نتاج اجتماعي يتعلمها الفرد وتترسخ في قناعته، ويضيفها إلى إطاره المرجعي وذلك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والتعلم والتفاعل الاجتماعي، وهي ليست تصورات صماء بل تتكون من عناصر يخلقها المجتمع وتتآلف فيما بينها لتكون قيما تتعلق بجوانب متعددة من الحياة الاجتماعية، ومن القيم التي يركز عليها المجتمع التبسي.

2. قيمة الشرف

عادة ما يربطها المجتمع بالمرأة بالدرجة الأولى ثم الممتلكات كالأرض والمنزل والمحل والأبناء وغيرها، ويحتل الشرف المكانة الأولى في المجتمعات العربية باعتباره أهم القيم الأخلاقية والروحية أيضا التي تتصل بالأشياء الغير المادية أو الموضوعات الاجتماعية التي تخضع للأخلاق، فالمساس بالشرف لا يكون حتما جسديا بل قد يكون اعتداء عن طريق نظرة أو كلمة أو حتى حركة تمس الفرد، ويكون المقصود من ورائها العائلة التي تولي بالغ الاهتمام للجماعة، أي الخوف الكبير من أقوال الناس في المجتمع.

1.2. تعريف الشرف

وكلمة شرف في معظمها رمزية تدل على الحرمة، الحشمة، الرجلة، النيف، وكلها تلمح إلى المقدس وصيانته، يعرف بيار بورديو Pierre Bourdieu مفهوم الشرف على أنه: الاعتداءات على الممتلكات المادية والرمزية، أي اعتداء على الشخص وعلى شموخه (نيفه)، يعني على شرفه وعلى مكانته التي ينتسب بها إلى الجماعة (Bourdieu, 1990, p. 135).

2.2. الشرف قيمة اجتماعية

الشرف مسألة سلالية تندرج عن الأسرة وشرف الفرد يرمز لشرف الجماعة، وللحفاظ على الشرف العائلي ينبغي الحفاظ بالدرجة الأولى على شرف المرأة، لأن شرف العائلة كله متوقف عليها ولن يتم ذلك إلا بالحفاظ على عذريتها قبل الزواج وعفتها بعد الزواج.

3.2. المرأة والشرف في النسق التقليدي

يحرس الفرد على شرفه للتباهي أمام الجماعة من جهة وخوفا منها من جهة ثانية، فالمرأة إذن منبع الشرف ومنبع العار في نفس الوقت وتشكل تهديدا لشرف العائلة إذا تم تدنيس ما هو مقدس، لأن شرف المرأة هو شرف الأب والأخ والعم والخال والأقارب، وبعدها شرف الزوج ثم الابن، لذلك فالرجل يحمل على عاتقه شرف المرأة المنتمية إليه وينتقم لفقدانه، حيث تطبق الأحكام التقليدية على الرجال الذين يترتب عليهم حماية هذه القيمة.

4.2. علاقة الشرف بالزواج

بما أن الزواج عند المجتمع التبسي هو الحالة الوحيدة المعترف بها على مستوى الدين والقانون والعرف والمجتمع، فجسد المرأة هو أكبر إثبات على شرفها، حيث يجب أن يبقى سليما إلى اليوم الذي يمسه الزوج عند الليلة الأولى من الزواج، والتي تأكد سلامة شرف الرجال وذلك عن طريق إظهار رجولة أحدهم ألا وهو الزوج، وما الزغاريد وطلقات البارود في ليلة الزفاف إلا خضوع لأمر عظيم وهو قوة الرجال وإعادة إنتاج لمعايير الجماعة (فريدة، 2002، صفحة 62).

5.2. العذرية شرف الزوج

تعتبر العذرية دليل النقاء والطهارة (غشاء البكارة حالة ظاهرة ونقاء ظاهري)، ولأنها قيمة ورأسمال لا يساوم عليه، فالعذرية تشكل نظام تتبعه الفتاة برعاية الأم ويدافع عنه الذكور (فريدة، 2002، صفحة 62).، لذلك فالعذرية شيء ثمين تقدمه الزوجة لزوجها ليلة الزفاف، التي يكون فيها شرف الزوج مهدد رغم امتيازاته على المرأة ولكن يخضع أيضا لنفس عادات وتقاليد وقيم المجتمع، فليلة العرس بمثابة امتحان للزوجة في عذريتها وامتحان للرجل في رجولته، وامتحان للعائلتين في شرفهما، أي أن الشرف هو نقطة التقاء العائلتين، ولكن عند حدوث الأسوأ وفشل أحد الزوجين في الامتحان وإعلان ذلك تصبح هذه الليلة مسرحا وشاهدا على جرائم قد تكون عنفا أو اعتداء وشجارا أو قد تتطور إلى القتل.

6.2. الطفل غير الشرعي وتدنس المقدس

عذرية البنت في المجتمع التبسي لا تخص المرأة وإنما تخص كل الناس باعتبارها قيمة ثقافية، دينية، أيديولوجية، وإن غامرت المرأة بهذه القيمة فإن حياتها تصبح مهددة بالخوف هي وعائلتها، ويصبح الأمر أكثر سوءًا عندما تتوج هذه المغامرة بطفل، في هذه الحالة يدنس ذلك الطفل شرف العائلة ويصبح وصمة عار تطارد المرأة وأسرتها، وكثيرا ما يتم ارتكاب جرائم للتخلص من هذا العار بقتل الفتاة أو الطفل أو الشريك.

7.2. خيانة المرأة لزوجها

تلتقي العذرية، الحمل غير الشرعي والخيانة الزوجية في إطار واحد وهو جسد المرأة، والخيانة الزوجية بالتحديد تتنكر لها كل الديانات، لكن عقابها في مجتمعنا يختلف من جنس إلى آخر، فخيانة

المرأة لزوجها هو انتهاك لشرف الرجل وعار عائلتها وأولادها، وعند ارتكاب الزوج جريمة ضدها أو ضد شريكها فيعتبرها المجتمع غسل لعاره وإعادة اعتبار يجازى عليها بالغفران.

8.2. جرائم الشرف في مدينة تبسة

جرائم الشرف التي ترتكب لمحو العار وتبرئة العرض الذي تلوث تعود إلى التقاليد القروية التي تقرن كل صلة بين الرجل والمرأة خارج رباط الزواج بالعار، حتى أن الأب قد يهجر قريته وداره وأهله بحثا عن ابنته التي زلت أو غوت حتى ينفذ فيها قضاءه.

ومن المؤكد أن قوة هذه التقاليد وسلطانها تستمد من احتقار الجماعة وازدرائها للشخص الذي خرج عن تقاليدها وعاداتها، وقد لوحظ أن القاتل لا يندفع إلى جريمته إلا إذا ذاع بين الناس ما يمس شرفه وأنه قد لا يقدم عليها طالما أن الخبر في طي الكتمان (المقدم، 1995).

والمجتمع التبسي مازال يستمد قيمه ومعاييره من تقاليده التي تجرم انتهاك الشرف والثأر من الجاني امرأة كانت أو رجل لغسل العار وإعادة اعتبار العائلة، وجرائم الشرف في مدينة تبسة مثلها مثل جرائم الشرف في أي قطر من الجزائر تكون مخفية وغير معلنة حتى بعد اكتشافها من طرف الأمن، بحيث تبقى سرية ويحاسب الجاني على جريمته ويجهر للمجتمع بجريمة أخرى أو بسفر الجاني وغيابه عن أهله حتى لا تتكشف الجريمة ويتأثر شرف العائلة.

وفي مقابلة مع رئيس خلية الاتصال والعلاقات العامة لأمن ولاية تبسة زودنا بمعلومات حول جرائم الشرف في مدينة تبسة والتي معظمها يكون طي الكتمان دون انكشافها أمام المجتمع خوفا من الفضيحة.

جدول رقم 8: إحصاء لبعض جرائم الشرف ومرتكبيها في مدينة تبسة

الجريمة	السنة	الحي	مرتكبها	الضحية	السبب
طعن بالسكين	2015	حي ذراع الإمام	شاب في العشرينيات من عمره	شاب في العشرينيات	ضبط الضحية في البيت مع أخت الجاني بعد سماحها له بالدخول في غياب الأهل
قتل رضيع حديث الولادة	2015	حي لاكومين	أم وصديقتها	طفل رضيع	خوف من العار قبل انكشاف أمرها بعدما كانت في بيت أختها خارج المدينة أثناء الأشهر الأخيرة من مدة الحمل
جريمة القتل ودفن الجثة خارج المدينة	2016	حي الميزاب	الأب والأخ	فتاة تبلغ من العمر 18سنة	هروبها من المنزل مع شاب لم يتم التعرف عليه وفقدانها العذرية وانكشاف أمرها بعد عودتها
محاولة القتل بالطعن وجروح بليغة أدت إلى إعاقة الضحية	2016	/	الأخ وابن الأخت لفتاة تبلغ من العمر 15 سنة	شاب يبلغ من العمر 18 سنة	التقاء الشاب والفتاة في حديقة بعيدا عن أنظار الناس وضبطهم من طرف الأخ وابن الأخت بعد وشاية جارهم بعد رؤيتهم للشاب والفتات
قتل الزوج ودفنه في المنزل	2016	حي جبل الجرف	الزوجة مع عشيقها	الزوج شاب في الثلاثينات	خوف من اكتشاف الفضيحة وجريمة الزنا
القتل	2017	حي علي مهني	شاب يبلغ من العمر 19 سنة	شاب يبلغ من العمر 20سنة	قتل جاره أثناء شجار موضوعه أخت الضحية والقاتل كان دفاعا عن نفسه

قتل رضيع حديث الولادة	2018	/	أم وابنتها	الضحية رضيع حديث الولادة	تم التخلص من الرضيع ثم رميه في حاوية نفايات بالقرب من واد لمياه الصرف الصحي حيث تم رؤية الفتاة والام وتصويرهما من طرف أحد قاطني المنطقة بعد ما أثاروا الشكوك بتصرفاتهم المريبة
رمي طفل حديث الولادة بجانب مكان رمي القمامة	2020		لم بتم التعرف على الجاني	طفل حديث الولادة	إيجاد طفل حديث الولادة بعد سماع صراخه فجرا من أحد الأشخاص
رمي طفل حديث الولادة	2021	/	لم يتم التعرف على الجاني	طفل حديث الولادة	طفل حديث الولادة على قيد الحياة بجانب مكان لرمي القمامة وراء بعض البنايات

التعليق

إن جريمة الشرف من أشرس مظاهر العنف والإنتهاك لحياة الإنسان كونه ضحية لأعراف المجتمع قبل سلاحه، فمن أجل تعويض الشرف أو المحافظة على هذه القيمة المتوارثة يتخلص الجاني من المنتهك للشرف أو بذرة الخطأ للحفاظ على نظرة المجتمع، والرضوخ لقيمه وعاداته وتقاليد وإهماله لحياة أقربائه ، فالتخلص من طفل حديث الولادة يعتبر من أبشع الجرائم ألما وطريقة التخلص منه تعتبر من أعنف طرق التنكيل في تاريخ البشرية، كون الأم تتخلص من رابط الأمومة خوفا من العار الذي سوف يلحقها داخل المجتمع ليرتقي النسق القيمي إلى الرابط المقدس الذي يسبق رابط الأمومة، أو رابط القرابة ، فإضافة إلى تخلص الأم من طفلها الذي يعتبر نتيجة علاقة يرفضها المجتمع والدين،

هناك الأخ الذي يقتل أخته أو الأب الذي ينهي حياة إبنته أو الزوج لزوجته أو العكس متجاهلين الروابط الدموية خوفا من نظرة المجتمع، لتكون قيمة الشرف أقدس من عاطفة القرابة وروابطها.

رابعا: الثقافة الشعبية والموروث الشعبي وعلاقتهما بالسلوك الإجرامي

كانت الثقافة الشعبية حتى قيام الثورة الصناعية ثقافة الجماهير العادية، فهي تعبير عفوي تلقائي عن أحاسيسهم اليومية وتخوفاتهم وآمالهم، ضعفهم، قوتهم، وبالتالي فالشعب منتجها ومستهلكها في ذات الوقت.

1. الثقافة الشعبية

كان لفظ الشعبية يعبر حتى وقت ليس بالبعيد عن البدائية والتخلف، وأن الثقافة الشعبية ما هي إلا ترسبات وتراكمات الماضي البعيد، إلا أن المقصود حقا بالشعبية هو مجموع العناصر الثقافية التي تصدر عن الشعب وتمثل حصيلة معارفه وخبراته ومهاراته في مرحلة تاريخية معينة، وأكدت الدراسات الإنسانية الحديثة أن الثقافة الشعبية تساير في نموها نمو العقل والفكر والسلوك البشري وتتسم بالأصالة، وبالتالي فهي خزان التراث الحافظ له، وهي من أهم عوامل التكامل المحلي والوطني من حيث إبرازها لخصوصية المجتمع وهويته.

يجد المرء في الثقافة الشعبية نماذج جاهزة تحوز على مصداقية كبيرة في بيئته ووسطه، كونها شائعة ومعممة، وميزة الثقافة الشعبية أن أكثر أشكالها غير مدّون في الكتب، بل محفوظ بشكل مادي (في اللباس، وأشكال الطبخ)، أو في الذاكرة الجماعية (كالأمثال والأغاني التي لا مؤلف لها ...) وفي القيم والعادات والتقاليد والأعراف والشعائر والطقوس التي يقع الجميع تحت وطأتها، مؤمنا أكان أو غير مؤمن. فالكل مهيأ ليتقبل إيجابيا ما يأتي في سياق التقليد القديم مقارنة بما يأتي عن طريق الشيء الجديد (شريف، 2006، صفحة 47).

وفي هذا المضمون يقول فريدريك معتوق أن الباحث لا يستطيع الاكتفاء بالتوجه إلى المكتبة الجامعية لدراسة الثقافة، بل ينبغي عليه أن يهبط إلى حقل الحياة العملية لكي يجمع عناصرها، لأن الثقافة الشعبية هي منتوج العامة من الشعب وهي إبداع جماعي لكثير من السواعد والأفواه والعقول في وضع لبناتها التي تجسد سلوك الفرد الإيجابي أو السلبي، الذي تستحسنه الجماعة أو يرفضونه، مثل

السلوك الإجرامي الذي يجسده جزء من الثقافة الشعبية من خلال أشكال التعبير المختلفة كالأمثال الشعبية والقصة والأسطورة وغيرها (شريف م.، 2006، صفحة 45).

2. التراث الشعبي

التراث الشعبي هو شكل من أشكال الثقافة الشعبية التي انتقلت مشافهة بشكل عام، ويمثل التراث الشعبي الذاكرة الحية للفرد والمجتمع، وبالتالي تشكل سمات هوية يتعرف بها المختصون على شعب من الشعوب، وهو بقيمه الثقافية والاجتماعية يكون مصدرا تربويا وعلميا وثقافيا واجتماعيا وجزء من حضارة إنسانية، والتراث كما هو معروف يحتوي على جانبين أولهما المادي الذي يعني ما خلّفه السابقون من أدوات ومباني وملابس وثانيهما التراث اللامادي ويحوي العادات والتقاليد والمعتقدات، وهذا النوع الأخير من التراث بمختلف أنماطه ينتظم في مجالات عدة من فنون الثقافة الشعبية، أهمها فنون الأدب الشعبي من أغاني شعبية وحكايات وأمثال وقصص شعبي.

1.2. التعريف الأول للتراث الشعبي

نجد "**حلمي بدير**" يقول: " **إن التراث الشعبي يتسع ليشمل كل شيء، العادات والتقاليد والأزياء وطقوس الزواج والميلاد والسبوع والوفاة والختان والزرع والحصاد والري ونحوها بل يتسع ليشمل سلوكيات الأفراد في حياتهم اليومية وعلاقتهم بالآخرين وانتقال "الأحوال" من جيل لآخر، بل لقد اتسع ليشمل سلوكيات الأفراد مع أنفسهم، فهو كل ما يتعلق بالحياة من ظواهر، وكل ما يتمسك به الجيل وما لا يتمسك به**" ، فهو يشمل كل الموروث على مدى الأجيال من أفعال وعادات وتقاليد وسلوكيات وأقوال تتناول مظاهر الحياة العامة والخاصة، طرق الاتصال بين الأفراد والجماعات الصغيرة، والحفاظ على العلاقات الودية في المناسبات المختلفة بوسائل متعددة والتي تبدو من طرائقها عدد كبير من معتقدات الشعب الدينية والروحية والتاريخية (رشوان، 1993، صفحة 40).

2.2. التعريف الثاني للتراث الشعبي

أورد (عبد الحميد بوراوي) تعريف (لطفي الخوري) الذي يقول إن التراث الشعبي ليس مجرد نزوة عابرة أو تقليد أعمى كما أنه ليس تسلية كما يحلو للبعض أن يصفه، بل هو الاهتمام بعلم متكامل

مبني على أسس علمية وواقع اجتماعي ملموس متأت من الإيمان بأن الشعب (هو صانع للتاريخ) وهو الذي وضع الأسس الحضارية للمجتمع الذي يعيش فيه (رشوان، 1993، صفحة 41).

3. الثقافة الشعبية وعلاقتها بالجريمة في منطقة تبسة

قد تحيد وتخرج الثقافة عن مسارها المتمثل في التربية والتنشئة الاجتماعية والتهذيب وغرس قيم السلم والأمن الاجتماعي وتتحول إلى العنف ونشر الثقافة الإجرامية وتنمية الروح العدائية والميل العدواني، ويظهر ذلك سوء التنظيم وعدم الانسجام والصراع وفقدان الشعور الجمعي أو حالة التغير الاجتماعي والتوازن والتناسق بين أجزاء ثقافة المجتمع، وبذلك تصبح الرسالة الأخلاقية للثقافة مملوءة بقيم متناقضة تدخل الشك والريبة لدى الأفراد وتدفعهم للسلبية والإجرام.

1.3. الأمثال الشعبية

إن المثل فن قديم يصاغ انطلاقا من تجارب وخبرات عميقة، تحمل تراث أجيال سبقتنا عبر التاريخ الإنساني، يتناقلها الناس شفهياً أو كتابياً، تعمل على توحيد الوجدان والطبائع والعادات، ولذلك يعتبرها البعض حكمة الشعوب وينبوعها.

والأمثال من حيث مضمونها تمتد لتشمل كل جوانب الحياة الإنسانية وتعبر عن خبرة الإنسان في مواجهة المواقف المتعددة، وهي من حيث شكلها سهلة الحفظ والانتشار، ومن ثم يسهل الاستشهاد بها عندما يقتضي الموقف، والمثل الشعبي أقرب ما يستنجد به الفرد من حجة الحديث وأقوى ما يستطيع أن يدلي به ليدعم وجهة نظره، ليكون بمثابة العرف الذي اتفق عليه الناس في أقوالهم (طه، 2002، صفحة 13).

والأمثال في الغالب مجهولة النشأة ولا يعرف قائلها حتى يتسنى للمهتمين بدراسة الفولكلور التعرف على نشأتها أو مذيعها، ومن هنا جاءت صعوبة تحديد المثل أو تعيين العصر الذي راجت فيه، كما لا نستطيع أن نعرف من أي وسط نبعت هل قالها ريفي أو حضر ي؟ وهل قالها سوقي أو أرستقراطي؟ فالمثل قد تقوله عجوز في بيتها أو فلاحة في حقلها أو صانع في مصنعه، أي من الصعب تحديد تاريخ المثل أو في أي عصر قيل.

1.1.3. تعريف الأمثال الشعبية

هناك عدة تعريفات من بينها: "تعد الأمثال الشعبية نتاجاً اجتماعيا لخبرات وتجارب عاشتها الأجيال، فالمثل ينشأ عن تجارب إنسانية فردية أو اجتماعية، فهو مرآة للشعوب تدل على عقلية الشعب، وتعكس اتجاهاته وأخلاقه وتقاليده وحياته الاجتماعية" (شريف، 2006، صفحة 47).

وفي تعريف آخر للأمثال الشعبية ورد كالتالي: "توضح الأمثال بصفة ما تاريخ الحضارة والأفكار التي أنتجتها مختلف التحولات، منها ما ينتمي لمناطق، ومنها ما ينتمي لحواضر وتجمعات سكنية ولمواقع ضيقة، أحياناً تشير الأمثال إلى حوادث لها أهميتها في عصر ما، مستمدة من موضوعات دينية أو لها علاقة بوجود الإنسان، رجلاً كان أو امرأة، عاداته وتقاليده، وقد تتكلم عن حيوان أو تتعلق بالطعام أو السياسة أو الأرض ... إلخ "(رشوان، 1993، صفحة 41).

يرى (الكزاندر هجرتي كراب) أن المثل الشعبي له خاصيتان أساسيتان هما: الطابع التعليمي من حيث الموضوع والاختصار، والتركيز من حيث الأسلوب، وهذا التركيز تزيده عوامل مساعدة كالجناس اللفظي والتقفية، وتظهر الأمثال الشعبية عادة في ظروف تستدعي ظهورها بهدف التوعية وإشعار من يسمعها بضرورة الأخذ بها وتجنب المساوئ (شريف، 1999، صفحة 389).

ولا تكاد تخلو أمة من الأمم من الأمثال الشعبية والتي تتميز بأنها: " مرآة للشعوب تدل على عقلية الشعب، وتعكس اتجاهاته وأخلاقه وتقاليده وحياته الاجتماعية مما لا تجده مسجلاً في أي لون من ألوان الأدب أو المعرفة، فهي تتحدث عن سعادة من يتداولها وعن شقائهم، وعن الغنى والفقر، أو الشرف والخزي، والجمال والقبح، والقوة والضعف، والعظمة والوضاعة.

والأمثال هي التي أجمع عليها الشعب ينطق بها الجاهل المتعلم والفقير والغني، وهي التي تجري على ألسنة طبقات المجتمع، فهي المعبر عن اتجاهات ونواحي هذا المجتمع دون غيره، فهو لا يصف التجربة أو يسرد تفاصيلها، ولكنه يحمل رأياً فيها ، ومن خلال هذا الرأي يمكن إدراك أبعاد التجربة، وموقف الإنسان منها فالمثل يلخص تجارب مختلفة (يونس، 1983، صفحة 24).

تعد الأمثال الشعبية والمأثورات الشعبية، نتاجا اجتماعيا لخبرات وتجارب عاشتها الأجيال، وهي عامة تتردد في الشارع التبسي، وعلى الرغم من عدم معرفة نشأتها أو صانعها فهي تتضمن حكما ومواعظ ومحاولات التعبير عن الحقيقة، تستخدم عادة أساليب التهويل والمبالغة كما تستخدم الاستعارة.

2.1.3. حضور الجريمة في الأمثال الشعبية

تزخر مدينة تبسة برصيد ضخم من الأمثال الشعبية التي تعالج قضايا مختلفة من الحياة اليومية، توارثتها الأجيال عبر الزمن، ومن الرسائل الكامنة داخل المثل الشعبي الحث على الجريمة أو النهي عنها والذي يكمن بصورة خفية داخل هذا التراث الشفهي، والجدول الآتي يظهر صور الجريمة وأشكالها ضمن مفردات المثل الشعبي.

جدول رقم9: جريمة القتل

المثل الشعبي	شرحه إلى اللغة العربية	صورة الجريمة
ضربة بالفاس خير من عشرة بالقادوم	الفأس أداة للحفر القادوم أداة للحفر أقل حدة من الفأس	القتل باستعمال أداة الحفر الأكثر حدة حتى تكون الموت فورية
طير الراس تزول الخصومة	اقطع الرأس حتى تنتهي العداوة	القتل بقطع الرأس
شقلوفة خير من صرعوفة	شقلوفة هي سلاح ناري صرعوفة هو قطيع من الغنم إمتلاك سلاح ناري أفضل من امتلاك قطيع من الغنم	الحث على امتلاك السلاح الذي يعتبر خطير لكونه يستعمل للقتل والاعتداء والدفاع عن النفس
تغدى بيه قبل ما يتعشى بيك	يعني كن السباق في القتل قبل أن يسبقك الطرف الآخر	القتل دون انتظار ردة فعل الآخر(الغدر)
ضربان السيف ولا قطعان النيف	القتل بالسيف أفضل من تقبل الإهانة	القتل باستعمال السيف

ما تضرب حتى تقرب وما تصاحب حتى تجرب	الاقتراب عند الضرب وتجربة الشخص قبل مصاحبته	الحث على إلحاق الأذى بالشخص بالاقتراب منه حتى لا يخطئ الهدف
الكلمة كي وجه البارود إذا خرجت ما ترجعش	تشبيه الكلمة بالبارود وهو الرصاص الذي يستعمل في البندقية	استعمال الأسلحة التي تستخدم للقتل في التشبيه
الكلمة رصاص	تشبيه الكلمة بالرصاص	استعمال الرصاص الذي يستخدم في أسلحة القتل في التشبيه
حوت ياكل حوت ومول الجهد يموت	يعني الشخص القوي يغلب والضعيف يموت	دعوة إلى القتل والمنافسة الغير شريفة
يقتلو الميت ويمشو في جنازتو	يقتلون الشخص ثم يذهبون للعزاء	جريمة القتل بدم بارد
إلي عاداك عاديه وأعطيلو صرف وافي قيدو على الجمر إكويه ومشيه على الجمر حافي	الذي عاداك قابله بالعداوة وقدم له ما يستحق من العقاب واربطه على الجمر وأحرقه واجعله يمشي حافي القدمين على الجمر الملتهب	التعذيب حتى الموت

المصدر : إعداد الباحثة

التعليق

تظهر الأمثال الشعبية الدلالات الرمزية لجريمة القتل والعنف الجسدي كصور تعكس الخروج على قواعد القانون وتخضع لقواعد النسق الاجتماعي الذي يفرض سيطرته على وعي الفرد، حيث تعمل الأمثال الشعبية بمحتواها التحريضي الكامن على إشباع فكر الفرد بمبررات تبيح له العنف وتوجيهه نحو ارتكاب الجريمة، بالإضافة إلى الإشادة بالأدوات التي تستعمل في القتل والتي تظهر بعبارات صريحة كالسيف والرصاص والفأس...إلخ، وكذلك طرق القتل كقطع الرأس والكي وغيرها، حيث تقوم

الأمثال الشعبية بالوظيفة النفسية والوظيفة الاجتماعية والوظيفة التعليمية معا، لتنتج فعل إجرامي يختزن داخل الفرد ليتجسد في أعنف الجرائم وأخطرها ألا وهي جريمة القتل.

جدول10: جريمة السرقة

المثل	الشرح للعربية	الجريمة
باش باع السراق رابح	مهما كان ثمن ما باعه السارق فهو رابح	السرقة وبيع المسروقات
إلي سرق إبرة يسرق بقرة	من يسرق شيء بسيط يسرق شيء عظيم	مراحل جريمة السرقة من سرقة البسيط إلى سرقة الثمين
يسرق مع الذيب ويبكي مع الراعي	يسرق مع السارق ويواسي المسروق	السرقة وسوء الأخلاق وعدم الاعتراف بالجريمة
الطماع يبات ساري	الطامع يبقى منتظرا وساهرا	جريمة السرقة نتيجة الطمع
الراعي والخماس يتعاركو على رزق الناس	الراعي والخماس عمال في ملك الغير ويتخاصمون عليه	التعدي على مال الغير

المصدر: إعداد الباحثة

التعليق

رغم أن جريمة السرقة جريمة يتنكر لها الدين والعرف والعادات والتقاليد فالمثل الشعبي أيضا يشير لها من خلال وظيفته التربوية والأخلاقية ويدينها، ويوجيه السلوك الإنساني إلى الابتعاد عنها كجريمة تتنافى مع النموذج المنظم للقيم الاجتماعية والدينية والثقافية، كونها مرفوضة في كل المجتمعات، لذلك كان لها حصة الأسد في التراث الشعبي من خلال المثل الشعبي الذي يعبر عن هذا الرفض بدلالته الرمزية وتوجيهاته الكامنة في العبارات الشعبية المتداولة.

جدول11: جريمة العنف

المثل الشعبي	الشرح للعربية	الجريمة
أضربو يعرف مضربو	اضربه يعرف مكانته	الضرب
إلي جابوه رجليه الحديد ليه	الذي يأتي برغبته يضرب بالحديد ويقصد به السيف	الضرب بالحديد أي السيف
إلى جاباتو رجليه العصا ليه	الذي يأتي برغبته يضرب بالعصا	الضرب بالعصا
الضرابر طاحو متعانقين والسلايف طاحو متشابكين	الضرابر زوجات لرجل واحد والسلفات زوجات الإخوة	الشجار والعنف بين نساء الأسرة الواحدة

المصدر: إعداد الباحثة

التعليق

تعكس الأمثال الشعبية ظاهرة العنف كسلوك متغلغل في ذات الفرد من خلال الثقافة المتعاقبة بين الأجيال والتنشئة الاجتماعية، ومكتسب من المحيط الاجتماعي ليتطبع في هوية الفرد ويعكس الجانب الانحرافي المهدد لاستقرار المجتمع، حيث يختفي العنف وراء فضاء المعنى والعالم الرمزي الذي يتحول إلى فعل فيزيقي يبرره دافع كامن في ذوات الأفراد، كما يندرج العنف ضمن المقدس في تصورات البعض.

وكونه سلوك عدواني يقوم على القوة والقهر وممارسة غير مشروعة ومرفوضة إنسانيا، إلا أن الدلالات الرمزية للعنف كامنة ضمن عبارات المثل الشعبي، بجعله ميكانيزم دفاعي ونموذج للقوة والتفوق وتشكيل الهوية الرجولية واسترجاع الكرامة وتأديب المتعدي وتمجيد قيمة الشرف.

جدول 12: جريمة سببها العروشية والقبلية

المثل الشعبي	الشرح للعربية	الجريمة

أنا وخويا على بني عمي، وأنا وبني عمي على البراني	أنا وأخي ضد ابن عمي، أنا وابن عمي ضد الغريب	جريمة سببها الحمية والقرابة والتعصب مع القريب
الدراجي أقتلوا قبل ما يتكلم	الدراجي هو منحدر من عرش ولاد دراج	جريمة القتل ضد قبيلة
ما يجي من الغرب غير إلي يشوي القلب	لا يأتي من الغريب سوى الذي يحرق القلب ويؤذي	تحريض ضد الشخص الغريب
القبائلي بالغمزة والشاوي بالدبزة	الدبزة هي اللكمة	العنف والضرب ضد الشاوي
العربي أكحل الراس أكويه ولا داويه	معاقبة الرجل العربي بالكي	العنف بالكي دون شفقة
مع بني عمي ظالم ولا مظلوم	أنا مع ابن عمي ظالما كان أو مظلوما	الحمية في الشجار

المصدر: إعداد الباحثة

التعليق

يشير المثل الشعبي إلى القوة القهرية التي يفرضها الإنقسام القبلي على المجتمع، والتي تتبلور في العنصرية والتعصب القبلي أو العروشية، فدلالات القوة والغلبة ومواقف العداء والتناحر تعتبر من نواتج التأثر بالعصبية القبلية داخل المجتمع الواحد، وبالمقابل تظهر ملامح التجانس المجتمعي منكمشة ومتقوقعة بسبب انعدام التواصل بين أفراد المجتمع الواحد، مما يعيق سيرورة البناء الحضاري، حيث تبرز الأمثال الشعبية نموذجا للانقسام والتشتت بين العروش وتحريض على الجريمة في أشكال مختلفة تبررها روابط الدم التي تطغى على الروابط الأخرى حيث تتلاشى أمامها كل المبادئ والقيم المجتمعية الأخرى.

جدول13: العنف ضد المرأة

المثل الشعبي	الشرح للعربية	الجريمة
الطفلة إذا كبرت مالها غير ذكر ولا قبر	الفتاة إذا كبرت تتزوج أو تقتل	قتل الفتاة
المرا ما تسوطها حتى تكتفها	المرأة لات ضربها حتى تقيدها	العنف المادي ضد المرأة بعد تقييدها
المرا كي الزربية ما تتنظف غير بالخبيط	تشبيه المرأة بالزربية التي ينفظ منها الغبار بالضرب	ضرب المرأة بالعصا
إلي ما يذبح شاتو وما يسوط مراتو، موتو خير من حياتو	الذي لا يذبح الشاة ولا يضرب زوجته موته أفضل من حياته	ضرب الزوجة كنوع من الرجولة
مغلوبتي مرتي، وإذا كذبتوني نوض ليها	زوجتي هي من أغلب وإن لم تصدقوني أضربها أمامكم	ضرب الزوجة واستضعافها لإبراز الجريمة
ما تضرب المرا حتى تربطها	لا تضرب المرأة حتى تقيدها، والقيد هنا معنوي أي تقييد المرأة بالأولاد أي لا تضربها حتى تنجب لك، ففي هذه الحالة لن تنفصل عنك لأنها مرتبطة بأولادها.	عنف صريح إزاء المرأة وإلزامها بالبقاء مع الزوج حتى بعد ضربها، وذلك من أجل أولادها

المصدر إعداد الباحثة

التعليق

تظهر الأمثال الشعبية المتعلقة بالمرأة مكانتها عند المجتمع التبسي وكذلك نظرة النسق القيمي لها وترتيبها الإنساني مع الرجل، حيث يعتبر العنف ضدها كمستوى من مستويات الوعي الجمعي

وإثبات للهيمنة الذكورية داخل المجتمع، كما تمثل معاملة الرجل للمرأة داخل أسرتها آلية سلطوية لإعادة إنتاج علاقات السيطرة وجزء من بناء الشخصية الذكورية، ورضوخ المرأة لمثل هذه السلوكيات يعتبر تنفيذا للأحكام القيمية داخل النسق الاجتماعي، من هذا المنطلق يظهر دور الأمثال الشعبية في الكشف عن الثقافة الشعبية التي تعكس من خلال دلالاتها الرمزية الخفية نموذجا للقانون الأسري الذي يبرر تعنيف المرأة وارتكاب الجرائم ضدها ويحفظ ترتيب المرأة داخل الأسرة، كما أن تعرضها للعنف أو التشجيع عليه وتقبله يعتبر مبررا للجريمة ضدها، ليكون العنف ضمن المسكوت عنه (التابو)، والذي يتبلور في السكوت وعدم الشكوى أو التبليغ كاستسلام المرأة واعترافها بالهوية الرجولية لتصنف هذه الأمثال الشعبية وما تحتويه من عنف في زاوية اللاعنف.

جدول 14: الجرائم الأخلاقية

المثل الشعبي	الشرح	الجريمة
خلات راجلها ممدود وراحت تعزي في محمود	تركت زوجها نائم وذهبت لتعزي محمود	الخيانة الزوجية
فلان بلا عرق كي الترفاس	الترفاس نبتة تنبت دون جذور حيث شبه بها الشخص الغير شرعي دون نسب	الابن غير الشرعي من جريمة الزنا
أقتل الكلبة يتفرقو الكلاب	أقتل الكلبة حتى تفترق الكلاب	انحراف المرأة وممارستها الزنا مع أكثر من رجل
كي يكثرو الحجاج يغلا الدجاج، الغني يولي محتاج والبنت على بوها تعواج	عندما يكثر الحجاج يزيد سعر الدجاج وتنحرف البنت عن طوع أبيها	انحراف الفتاة وهروبها من المنزل

المصدر: إعداد الباحثة

جدول رقم 15: رقم جرائم أخرى

المثل	الشرح	الجريمة
الرشوة تعمي قلوب الحكام	الرشوة تغري الحاكم	جريمة الرشوة
إلي في كرشو التبن يخاف من النار	الذي يفعل المشين يخاف من النتيجة	الخوف من ارتكاب الجريمة
الهربة تسلك	الهروب ينجي	إرتكاب الجريمة والهرب
دار الخصام تتفرق ولا تتحرق	البيت الذي فيه خصومة بين الأهل يتفرق أهله أو يحرق	جرائم حول الإرث
إذا طاح العيب ما بقات عشرة	إذا حصل العيب لم يبقى عشرة بين الأهل	التخاصم بين الأهل
دير روحك مهبول تشبع كسور	استجداء الشفقة وعدم تحمل المسؤولية	التسول
إلي عطى رزقو لوليدو يحفر قبرو بيدو	من أعطى رزقه لابنه وهو حي فليحفر قبره بيده	الجريمة ضد الأصول من أجل الميراث

المصدر: إعداد الباحثة

التعليق

لا يمكن إنكار دور المثل الشعبي في توجيه الفرد وتجريم السلوكيات غير السوية، وهذا ما يتبلور في معالجة المثل الشعبي لمعظم الجرائم باعتباره أداة تعليمية وتوجيهية وردعية للأفراد تقوم بنفس دور القوانين والسلطة، كما يمكن أن نلمس أيضا بعض الدلالات الرمزية التي تدعو ضمنيا إلى القيام بالسلوك السيئ كالتسول مثلا، حيث يحمل المثل (دير روحك مهبول تشبع كسور) دعوة صريحة لهذا السلوك المرفوض، ومثل (الهربة تسلك) الذي يبرر الهرب بعد ارتكاب الخطأ، كما في مثل (الرشوة تعمي عيون الحكام) التي تشيد بدور الرشوة وهي سلوك يجرمه الدين والقانون.

3.1.3. الدور الإيجابي للأمثال الشعبية في الحد عن الجريمة

الأمثال الشعبية عالم زاخر بالتجارب الإنسانية، إذ تعتبر ثمرة تجارب الأجداد التي تلّقن الأحفاد خبرتهم التي تنير لهم دربهم وتهديهم الّسبيل الصحيح. ومّما لا ريب فيه أّن هذه الأمثال تقوم بمجموعة من الوظائف داخل المجتمع، وتحمل جانبا من الموعظة والعبرة وقصصا من تجارب الإنسان التي مر بها عبر الزمن. وبقدر ما يحتويه المثل الشعبي من دلالات تحرض ضمنيا نحو الجريمة بقدر ما يتضمن قيما توجه سلوك المجتمع نحو التماسك والتضامن والبعد عن الجريمة والتحلي بالأخلاق الفضيلة.

جدول 16: يبين الدور الإيجابي للأمثال الشعبية

المثل الشعبي	شرحه	القيم الإيجابية في المثل
يا قاتل الروح وين تروح	أيها القاتل أين تذهب من عقاب الله والقانون وعذاب الضمير	القتل جريمة يرفضها الدين وعقابها أكيد
كول ما حضر وألبس ما ستر	تناول ما يوجد وألبس ما يسترك	القناعة وعدم الطمع في أكثر ما رزقك الله
أبعد على الشر وغنيلو	ابتعد عن الشر	تجنب الأفعال الشريرة
شعيرك ولا قمح الناس	حبوب الشعير التي ملكك أفضل من قمح غيرك	عدم الاعتداء على ممتلكات الغير
حاجة الناس ما تبني ساس	ملك الغير لا يبني أساس أي لا ينفع	عدم الاعتداء على ملك الغير
صوم وصلي يا مغروم وأحذر شهادات الزور	صم وصلي وابتعد عمن شهادة الزور	الدعوة إلى الأخلاق الحميدة والتمسك بالدين وعدم شهادة الزور

الكسرة والهنا ولا الكسكسي والبلا	الخبز ومعه الهناء أفضل من الكسكس (أكلة شعبية) ومعها البلاء	القناعة وعدم البحث عن الرفاهية التي تجلب معها المشاكل
الطلبة غلبة	التسول يرهق ويتعب	عدم كسب المال بالتسول
ثلاثة ما فيهم أمان الفرس والسيف والنسا	ثلاثة لا تأتمنهم الفرس والسيف والنساء	الحث على أخذ الحذر من استخدام السيف لأنه قد يدفعك للجريمة
حبل الكذب قصير	حبل الكذب قصير	الكذب سلوك سيء
الفساد مارادش بيه ربي	الفساد ينهى عليه الخالق	الابتعاد عن الفساد
خوك من ولاك ماشو من أمك وبابك	أخوك لا يشترط أن يكون من أمك وأبوك فقد يكون أي شخص تلتقيه يدافع عنك ويقف في صفك ويتضامن معك	الحث على التعاون والأخوة
النار تخلف غير الرماد	النار لا تترك سوى الرماد	يقصد بالنار الفتنة والسلوكيات السيئة
الدنيا بالوجوه والآخرة بالفعال	الدنيا قد تكون بالوجوه ولكن الآخرة تحاسب على الأفعال	التذكير بأهمية العمل الجيد من أجل الأخرة

المصدر: إعداد الباحثة

التعليق

من خلال الجدول توصلنا إلى أن الموعظة والنصيحة حاضرة في الأمثال الشعبية المختارة، حيث يختفي ذلك الدور السلبي من المفاهيم المغلوطة، ويظهر ما يحمله هذا الموروث الشعبي من قيم ومبادئ وقواعد صحيحة تضبط السلوك الفردي داخل المجتمع المحلي، وتوجهه إلى السير نحو السلوك السوي، ولكل مثل شعبي حكمة ترسخ في ذهنية الفرد كقيمة أخلاقية ترتبط بما ينصه الدين الإسلامي من تعاليم

تحث على التعاون والحب والابتعاد عن الانحراف والجريمة، أو ترتبط بالقيم المجتمعية التي تدعو إلى الخير والقناعة والأخوة الجيرة.

وتعتبر هذه الأمثال المختارة عينة بسيطة من الأمثال المتداولة في الفضاء المديني والتي لها ذلك الدور الإيجابي لتجعل من المثل الشعبي إحدى الموروثات التي تساهم في تنشئة الفرد وتصقل سلوكه.

2.3. حضور الجريمة في الحكاية الشعبية

تقوم الحكاية الشعبية لدى كل شعب بإبداع مفرداتها الجمالية على نحو يتوافق مع التقاليد الشعبية اليومية، وعادة ما تتجسد موضوعات الحكاية الشعبية حول السحر والتصورات الشعبية عن السعادة والشقاء، القدر والمصير، المجد والعار، العمل والكسل، النضال والاستسلام وغيرها من المضامين الأخلاقية، ويتضافر تنوع هذه الحكايات مع وحدة المضامين الكبرى فجميع الشعوب توجد فيها ما تراه حقيقة وما تراه زيفا وكذبا، وفيما تراه جريمة وشر وما تراه عقوبة وجزاء عادلا أمام الشر، تمثل هذه النظرة لدى جميع الشعوب الأساس الفكري والبناء الموضوعي للحكاية الشعبية (الخميسي، 2016، صفحة 18).

إن العامل المهم الذي كان يبقي الحكاية حية هو تداول الشعب لها بشغف، وترديدها في ليالي الشتاء الطويلة في تجمعهم حول النار والأجران أو المخازن، وكان يجري تنافس فيما بينهم على رواية القصص ويستمع الأطفال لها في مواقع جمع المحاصيل (simonsuri، 2004، صفحة 13).

1.2.3. قصة حديدوان والغولة

قالك آسيدي كان في زمان بكري واحد الراجل عندو سبع اولاد، كي ماتت أمهم أداهم في سفر بعيد وكانت الغولة تبع فيهم باه وين تلقى واحد وحدو توكلو، أيا أسيدي امشو مشو حتى تعب واحد قالّو يا بي غلبت، قالو واش انديرلك، قالو أبنيلي دار بالحشيش أيا بنالو وخلاه، جات الغولة اكلاتو، زادو مشاو أمشاو... قالّو الثاني يا ابي غلبت، قالو واش انديرلك، قالو ديرلي دار بالحطب ... جات الغولة اكلاتو، زادو أمشاو أمشاو... قالّو الثالث يا ابي غلبت، قالو واش انديرلك، قالو أبنيلي دار بالطين ... جات الغولة كلاتو، زادو أمشاو أمشاو ...قالّو الرابع يا بي غلبت. قالو واش انديرلك، قالو أبنيلي دار بالحجر ... هكذاك حّتى بقى غير ولدو الصغير حديدوان، قالّو يا بي راني غلبت، قالو

واش انديرلك، قالو أبنيلي دار بالحديد، بنالو دار بالحديد وراح خلاه... جات الغولة ما لقات كيفاه تدخل أيا راحت، ومن غدوة جت تعيط عليه قاتلو: يا حديدوان ولدي، قالها واش، قاتلو هيا نروحو نحطبو، قالها: قطعي شبكتك وانقطع شبكتي ونخيطوهم ونروحو نجيبو الحطب، راحت قطعت شبكتها وخيطتها وهو ما قطعش شبكتو وراح حطب وروح وجات قاتلو هيا، قالها أنا حطبت وورحت.

أيا يوم غدوه جات قاتلو: يا حديدوان جاري، قالها واش، قاتلو هيا نروحو نعمرو الماء. قالها واش رأيك تثقبي قربتك ونثقب قربتي ومبعد نجيبو الماء، أيا هي ثقبت قربتها وراحت تخيط فيها وهو راح عمر الماء وروح، وكي كملت قتلو هيا نروحو قالها: أواه يا عمتي الغولة انت ثقيلة أنا عمرت وروحت.

مع الوقت الغولة عندها دابة يركب عليها حديدوان ويلعب وهي تحاوز تحاوز وهو يهرب، كرهت منو راحت للدبار قاتلو واش نعملو قالها حطي اللصقة فوق الحلاس كي يركب يلصق، كي جا يركب رما الحلاس وركب فوق الدابة. أيا الغولة رجعت للدبار قالها المرة هاذي حطي اللصققة فوق الدابة، دارتلو فوق الدابة اللصقة.

ونهار ركب على الدابة لصق حكمااتو، وقاتلو: هاني حكمتك نكلك ظرك، قالها شوفي ياعمتي الغولة أنا ضعيف ما فياش اللحم حطيني في بلاصة وكليني حتى نسمن وأعرضي عليا خلالاتك وعماتك يوكلو معاك.

أيا بعد أيامات سمن حديدوان، قاتلو الغولة راح نوكلك قالها روحي انت أعرضي عماتك وخالاتك، وخلي بنتك العورة تذبحني وطيبني فالعشاء، راحت الغولة خرجت بنتها العورة حديدوان باه تذبحو قاليها الموس حافي هاتي نمضيهولك، وكي مدتلو الموس مضاه وقال ليها هاتي نجرب فيك وحكمها ذبحها وطيبها، وحط راسها في التليس (قفة نتاع حلفاء) وعلقو فوق دار الغولة وحط القصاعي فيهم لحم بنت الغولة مطرفة، كي جات الغولة ومعاها عماتها وخالاتها بدو يوكلو وتقول الغولة شوفو بنتي العورة الفحلة ماكلتها بنينة، وهو خرج يغني ويقول " تيس تيس راس الغولة في التليس تشومانيا تشاي الليس" والغولة تقول ليهم أسمعو أسمعو بنتي تغني، حتى ثبتت مليح فالهدرة لقت بلي بنتها هي إلي معلقة، أيا قالت لحديدوان نوكلك نوكلك وبدت تكسر عليه فالدار نتاع الحديد، قاليها حديدوان روحي شعلي الحطب ودوريه بالدار حتى تولي حمرة، وأجري أنت وعماتك وخالاتك وأضربوها بريسانكم مرة وحدة تو طيح

عليا، أيا شعلت النار حتى حمارت، وجرت هي وعماتها وخالاتها ودخلو بريسانهم فالدار لصقو وماتو، وحجايتنا دخلت للغابة والعام الجاي تجينا صابة.

الحاكي أو القصاص: (الشيخ إبراهيم ح من مواليد 1933).

ملخص القصة باللغة العربية الفصحى

تحكي قصة حديدوان أنه كان هناك رجل عنده سبعة أولاد سافر معهم في طريق طويل وكان كل ما يتعب أحد أبنائه يبني له بيتا ويكمل المسير مع البقية، في حين كانت هناك غولة (مخلوق مرعب ويفترس البشر) تنفرد بكل واحد من الأبناء وتأكله،

الإبن الأول عندما تعب طلب من والده أن يبني له بيتا من العشب فبنى له وأكمل طريقه فجاءت الغولة وأكلته، أما الثاني بنى له بيتا من الحطب وكان مصيره مثل أخيه، وكذلك الثالث الذي طلب أن يبني له بيتا من الطين والرابع الذي بنى له بيتا من الحجارة، حيث انفردت الغولة بكل واحد منهم وأكلتهم وكذلك الخامس والسادس، أما السابع وهو أصغرهم واسمه حديدوان الذي يملك ذكاء يختلف عن إخوته، حيث طلب من أبيه أن يبني له بيتا من الحديد، لذلك عجزت الغولة عن أكله، حيث كان كل يوم يركب على دابتها وهي تحاول أن تمسكه ولا تقدر ، فأصبحت تتقرب منه من خلال مشاركته في نشاطات اليوم، حيث طلبت منه أن يذهب معها لجلب الحطب، حينها طلب منها أن تثقب شباك الحطب وهو كذلك ثم يخيطوهما ويجمعان الحطب، قامت الغولة بثقب الشبكة وهو لم يثقب وجمع الحطب وعاد وتركها، وفي يوم آخر طلبت منه أن يملْا الماء، فطلب منها أن تثقب قربتها ويثقب قربته ويعيدا خياطتهما، ولكن هو كالعادة لم يثقب قربته وملأ الماء وعاد، سئمت منه الغولة فوضعت الصمغ على ظهر دابتها فركب حينها التصق فأمسكت به وهمت لتأكله ولكنه استوقفها وقال لها أنه ضعيف البنية وقليل اللحم (هزيل) يجب أن تسجنه وتعطيه الأكل حتى يزيد وزنه ثم تأكله، ففعلت الغولة، وعندما سمن حديدوان همت لتأكله ولكن مرة أخرى اقترح عليها أن تجلب أقاربها وتشاركهم أكله، ولكن هي من تجلبهم وتترك ابنتها العمياء(العورة) تطبخه، ذهبت الغولة وتركته مع ابنتها، أخذت العورة السكين لتذبحه فطلب منها أن تعطيه السكين ليجعله حادا، وفي هذا الوقت هو من ذبحها ثم طبخها ووضعها في صينية أما رأسها فوضعه في التليس (سلة تقليدية تعلق على السقف) وصعد فوق منزل الغولة، عادت

الغولة مع قريباتها واستأنفوا الأكل، في هذا الوقت حديدوان يغني ويقول تيس تيس راس العورة في التليس، عندما سمعت الغولة هذه الكلمات فهمت وهمت لتأكله فهرب وأقفل على نفسه في منزله الحديدي، ونادى على الغولة وقال لها أن تجلب الحطب وتضعه حول المنزل ثم تشعله حتى يصبح البيت الحديدي محمرا من شدة الحرارة ثم تضرب برأسها هي وقريباتها البيت فيسقط وتمسك بحديدوان وتأكله، وعندما فعلت الغولة ما طلبه حديدوان وسخنت المنزل وضربت هي وقريباتها برؤوسهم التصقوا واحترقوا وماتوا، وهكذا كانت نهاية الغولة ونجاة حديدوان منها.

تعليق مناقشة

من خلال قصة حديدوان التي تظهر قيمة العقل وإستخدام الذكاء التي يتميز بها الإنسان (حديدوان) عن غيره من الكائنات الأخرى(الغولة)، وذلك بنجاحه في مراوغة مكر الغولة والإنتصار عليها، والتي قد تعلم الطفل الذي يستمع للقصة الدهاء وإستخدام الأفكار الذكية، هذا من جهة ومن جهة أخرى تظهر في نفس الوقت أن الجريمة والقتل مستباح في حالة الدفاع عن النفس، وذلك حين ذبح حديدوان وهو أصغر إخوته ابنة الغولة دون رحمة والتنكيل بجثتها ومثل هذه القصص تحكى للأطفال التي قد تترسخ في أذهانهم طريقة القتل وإستباحته بغض النظر عن كون القصة غير حقيقية.

2.2.3. قصة عنقود العنب

قالك زوج صحاب طالعين يحطبو فالغابة كل يوم يحطبو ويبيعو الحطب فالمدينة ويروحو، نهار من النهارات خرجو أك زوج الصحاب يحطبو حتى لقو كنز تحت شجرة كبيرة كانو يحطبو فيها، واحد فيهم قال للثاني نتقاسموه، أما الثاني داه الطمع وحب يديه وحدو، قال لصاحبو نحفرو بالفاس كل واحد يضرب ضربة بالفاس حتى نخرجو الكنز، الأول هز الفأس وضرب الأرض باه يخرج الكنز الثاني هز الفاس وفي عوض يضرب الأرض ضرب صاحبو بالفاس وقتلو ودفنو تحت الشجرة وهز الكنز وراح عاش حياتو، فاتت السنين والأيام ونهار من النهارات فات الحطاب القاتل من البلاصة إلي قتل فيها صاحبو، وهو واقف بحذا الشجرة حتى طلع راسو لفوق شاف عنقود عنب كبير وطايب وكعبات كبار يدلى من الشجرة، حب يود بيه الحاكم باه الحاكم يعطيه ويرضى عليه، أيا نحى العنقود وراح بيه للحاكم، دخل للقصر، وإلي يشوف العنقود يحل فمو من الدهشة حتى وصل للحاكم، قالو يا سيدي

الحاكم راني لقيتو في شجرة وأشتهيتو ليك، هز الحاكم العنقود وبدا يوكل، الكعبة إلي يحطها في فمو يلقاها دم ومبعد الكعبات كل ولو دم يسيل، تخلع الحطاب والحاكم أمر بسجنو حتى يفهم الحكاية بعث جيش للشجرة إلي جاب منها العنقود وكي حفرو لقو جثة الراجل إلي قتلو الحطاب، وعرفو بلي راو صاحب الحطاب إلي اختفى من سنين، والحطاب دخل للحبس، وحكايتنا دخلت للغابة والعام الجاي تجينا صابة.

الحاكي أو القصاص: وريدة ح من مواليد 1930

ملخص القصة بالغة العربية الفصحى

كان هناك صديقان ذهبا إلى الغابة ليجمعا الحطب ويبيعانه ليعيلا عائلاتهما، وككل يوم ذهبا إلى إحدى الأشجار ويدا يكسران الحطب حتى وجدا كنزا تحت الشجرة، ففرحا كثيرا، ولكن كان أحدهما جشعا فضرب صاحبه بالفأس وقتله ثم دفنه تحت الشجرة وأخذ الكنز لنفسه ثم عاد.

مرت الأيام والسنين وشاءت الأقدار أن يمر الحطاب القاتل من نفس المكان الذي قتل فيه صديقه، فوجد عنقودا من العنب لم يرى مثله أبدا معلقا على الشجرة ويشع من الجمال، فخطرت له فكرة، وهي أن يأخذه إلى الحاكم ويتودد له به، وبالفعل أخذه إلى الحاكم وعندما وصل اندهش الجميع من جمال العنقود، فأخبره أنه وجده على الشجرة فاشتهاه له، حينها شكره الحاكم وأمر أن يعطوه الأموال.

وفي تلك اللحظة أخذ الحاكم العنقود وأراد أن يتذوق طعمه ولكن كان كلما لمس حبة منه تزفت بدماء طازجة، أمر الحاكم بسجن الرجل وبعث خدمه إلى الشجرة ليفهموا الأمر، وصل الخدم إلى الشجرة وحفروا تحتها فوجدوا جثة الحطاب الذي اختفى منذ زمن، هنا فهم الحاكم ماذا فعل الصديق بصديقه فسجنه.

تعليق ومناقشة

تبين هذه الحكاية عكس قصة حديدوان أن الطمع والشر يمكن أن يدفعوا بصاحبهم إلى ارتكاب الجريمة، خاصة إذا اقترن ذلك مع الحاجة والفقر وحب الثراء، والحكمة الثانية توضح أن المجرم لابد أن تتكشف جريمته مهما مرت السنين لأن الشر لا يستمر، كما تظهر أحداث القصة مدى تنكر المجتمع

للجريمة من خلال سجن الحطاب عند انكشاف جريمته وكذلك قيمة العدل التي تدعو إليها القيم الأخلاقية والدينية للمجتمع.

خلاصة الفصل الثالث

تقوم الثقافة الشعبية بمكوناتها المادية واللامادية بدور ريادي في الحفاظ على أصالة وهوية الشعوب وانتمائها الحضاري والثقافي والتاريخي، وثقافة المجتمع التبسي مستمدة من ممارسات وتوجهات شعبية انبثقت من مخيال شعبي تطور عبر الزمن وبلورته أحداث حقيقية وخيالية من صنع البشر، لذلك فنجد التراث الشعبي يزخر بمحتوى شفاهي ومادي توارثته الأجيال يعكس من خلاله قيم المجتمع الأخلاقية التي تحث على الفضيلة وترفض وتتنكر للجريمة والانحراف، ومن خلال أشكال التعبير المتناقلة شفاهيا الأمثال الشعبية والقصة الشعبية يظهر جليا المخيال الشعبي للمجتمع المحلي الذي يحمل من خلال موروثه رسالة هادفة نحو الأجيال.

لذلك من المطلوب الحفاظ على الثقافة الشعبية التي تحمل القيم الأخلاقية والمبادئ والمعارف، وإعادة تفعيلها من جديد ضمن الثقافة الحضرية، مع تجاهل وغربلة المحتوى الثقافي الذي ينافي الأخلاق ويدعو إلى الجريمة والانحراف.

ومن **النتائج** التي توصلنا إليها ما يلي:

- قد تحيد وتخرج الثقافة عن مسارها المتمثل في التربية والتنشئة الاجتماعية والتهذيب وغرس قيم السلم والأمن الاجتماعي وتتحول إلى تكريس العنف ونشر الثقافة الإجرامية وتنمية الروح العدائية والميل العدواني.
- ويظهر ذلك سوء التنظيم وعدم الانسجام والصراع وفقدان الشعور الجمعي أو حالة التغير الاجتماعي والتوازن والتناسق بين أجزاء ثقافة المجتمع، وبذلك تصبح الرسالة الأخلاقية للثقافة مملوءة بقيم متناقضة تدخل الشك والريبة لدى الأفراد وتدفعهم للسلبية والإجرام.
- كما يمكن أن تلعب الثقافة دورا أساسيا في الحد والتقليل من السلوك الإجرامي من خلال ما تحتويه من محتوى أخلاقي يعزز الإحساس بالمسؤولية وحب الخير وإتباع القواعد الدينية والمجتمعية الصائبة.

الفـصـل الرابع

تغير الفضاء المديني وأثره على السلوك الإجرامي

- تمهيد

أولا: تغير مورفولوجية المدينة: اختراق الحديث للفضاء

ثانيا: التغير الثقافي وعلاقته بالسلوك الإجرامي

ثالثا: العنف الثقافي

رابعا: التغير القيمي وعلاقته بالسلوك الإجرامي

خامسا: عجز البيئة الاجتماعية على تشكيل البنية الثقافية القويمة

سادسا: دور الإعلام في تغذية السلوك الإجرامي

- خلاصة الفصل

تمهيد

إن الفضاء المديني الذي يعيش فيه الإنسان من شأنه أن يثري حياته سلبيا أو إيجابيا، بالإضافة إلى كونه حيزا جغرافيا محدد المعالم، تبدو فيه الحدود المادية ظاهرة للعيان، إلا أنه يخضع لتغيرات على مستوى مركباته المورفولوجية والإيكولوجية والبيئية وأهمها البيئة الثقافية، من خلال التغيرات الطارئة والتي ترتبط حتما بالاحتياجات الإنسانية المتسمة بالتحول والتطور، والتي تتحول معها سلوكيات الأفراد واتجاهاتهم حسب الزمان والمكان، ومن بين هذه السلوكيات السلوك الإجرامي الذي تنتجه ثقافة جانحة، لها عاداتها وتقاليدها وقيمها وممارساتها اليومية البعيدة عن ثقافة المجتمع المتوارثة.

وفي هذا الفصل سوف نتطرق إلى أهم التغيرات التي تمس الفضاء المديني بجميع عناصره المادية واللامادية والتي من شأنها أن تخلق سلوكا إجراميا يكتسبه الإنسان جراء هذا التغير.

أولا: تغير مورفولوجية المدينة (اختراق الحديث للفضاء)

تعتبر المدينة مرآة المجتمع، إذ أنها تعبر عن موروثه الثقافي والتاريخي والحضاري، فقد عُرفت مجتمعات غابرة من خلال الهياكل العمرانية لمدنها والتي بقيت قائمة وشاهدة على حضارتها رغم ما عرفته هذه المدن من تحضر وتزايد في عدد سكانها، في حين أن مدن أخرى رغم غنى موروثها المعماري لم تبق محافظة على صفة مميزة لها، ومن بينها مدن جزائرية إلا في مناطق معينة وهي ضئيلة جدا بالمقارنة مع عراقتها وتاريخها القديم، حيث أن السياسة الاستعمارية التي اتبعت نهج طمس الهوية الجزائرية قد ساهمت بشكل كبير في تغيير ملامح المدن الجزائرية، وذلك بعد إدخال أنماط عمرانية جديدة على تلك التي كانت موجودة، وقد أدت هذه الأنماط الجديدة إلى اختلال مورفولوجية المدينة من خلال مكوناتها من الأحياء السكنية والمساكن داخلها، وفي علاقة أخرى فقد أثر هذا التغير على ثقافة المجتمع، من خلال تبنيه لثقافات فرعية حتّمها عليه الواقع المورفولوجي الجديد في حين فقدان قيم ثقافية تلاشت عبر الزمن.

4. تجديد مورفولوجية الفضاء المنزلي

يمثل المسكن الفضاء الخاص الذي يعكس عبر أبعاده المعمارية والجمالية تمثلات الفرد وتصوراته الثقافية داخل فضائه الاجتماعي، حيث تمثل مورفولوجية المسكن من الداخل والخارج لغة تخاطب رمزي بين الهوية الثقافية للمكان وبين الفضاء المديني الذي يزدوج فيه التقليدي والحديث.

وإذا أخذنا مثلا شرفة المسكن ذو الطابق العلوي أو شقة بعمارة تطل على الشارع أو الحي نجدها مغطاة بحاجز بصري من قماش أو حصير أو بلاستيك أو خشب مشبك، حتى تفصل بين الداخل والخارج، وتحافظ على خصوصية المسكن من الداخل، وهو ما يلاحظ ضمن أنماط مختلفة من المساكن سواء التقليدية منها أو الحديثة، وداخل الأحياء القديمة والجديدة، ويتزايد ويتكاثف هذا السلوك كلما تدرجنا نزولا في سلم التراتب الاجتماعي (اليحياوي، 2015، صفحة 46)، أي من أعلى مستوى مادي إلى أضعف مستوى مادي، فتحويل شكل الشرفة (تشويهها) يخص جانبه الوظيفي وليس جانبه المادي، فوظيفة الشرفة هي التهوية والإضاءة، وعند تغطيتها تفقد وظيفتها الأساسية، وتصبح تأخذ وظيفة الحاجز الفاصل بين الداخل والخارج.

وإذا سلطنا الضوء على هذه الخصوصية لوجدنا أن السبب الأساسي هو حجب المرأة عن الفضاء الخارجي، حيث تمارس المرأة ضمن هذا الفضاء الضيق (المسكن) نشاطها بعيدا عن أعين المارة، ويمارس هذا الفعل ذو الأساس الثقافي المتصل بالقيم والمثل الأخلاقية المصنفة ضمن صيانة الجسد الأنثوي، والمحافظة على الشرف.

فالشرفة تظل في مكانها ولا تستبدل ولكن الذي يتغير هو الممارسة والاستعمال، لأن الذكر بإمكانه فتح الشرفة وإزالة الحواجز عند جلوسه أو ممارسة نشاطه، في حين غير مسموح للأنثى بذلك.

نحن أمام مظهر متحرك لا ثابت للفضاء، وإذا كان ثابتا ماديا فهو يتغير من حيث الوظيفة، فالأمر الذي تغير في تخطيط المنازل هو أخذها النمط الحديث والمتمثل في شرفات تطل على الخارج، ولكن الذي لم يتغير هو سلوك الأفراد داخل هذه البنايات.

البيوت التقليدية أو الحوش العربي الشرفات والنوافذ مكشوفة إلى داخل فناء أو وسط الدار الذي تطل عليه كل الغرف والشرفات وتمارس فيه المرأة نشاطها بحرية أكثر، كما تدخله التهوية والإضاءة، أما المساكن الحديثة فإن تخطيطها مستورد لا يتماشى مع ثقافة المجتمع المتحفظ الذي يركز على الخصوصية داخل الفضاء الخاص، وهذا يجعل الفرد التبسي يحاول إضافة تعديلات على هذه المساكن مما يشوه المظهر الجمالي لواجهات المنازل والأبنية العمودية وذات الطوابق العلوية، وبالتالي المظهر الجمالي للمدينة مما يؤثر سلبا على نفسية الأفراد وكذلك يشكل حاجزا اجتماعيا بينها، كما يؤثر على الفضاء المديني الذي يمتزج فيه الأصيل والحديث والمستحدث وكذلك المشوه أيضا، مما يولد إعادة لإنتاج فضاءا مديني مختلط وغير متجانس يفتقد للحس الجمالي، وهو ما يساهم في تعزيز القطيعة الاجتماعية.

كما تتجه الشريحة الأكثر حظا ماديا والتي تشغل فضاءها الخاص ضمن الأحياء القديمة إلى انتهاج سلوك فضائي يجمع بين التحديث والأصالة للسكن، حيث تحافظ على الشكل التقليدي مع تجديد بعض التفاصيل مثل المادة المصنوع منها الباب أو لونه، وتعمد إلى تجميل إطاره أو أرضيته الأمامية (العتبة) بشكل فني مغاير لا يتصل بالشكل القديم، فهي بذلك تهدف إلى التجسيد المادي لرتبتها أو لارتقائها الاجتماعي (اليحياوي، 2015، صفحة 44)، فهؤلاء لم يغيروا المعمار ولا تاريخه، بل أضافوا ما يتناسب مع أذواقهم وتصوراتهم ويعبر عن صورهم لدى الآخر، والتي يريدون رسمها من حيث الانعكاس الذي يخلفه الفضاء أو المادة وما يختفي وراء ذلك من دلالات توحي بالثراء والأرستوقراطية والرقي، حيث يتداخل الحديث (نمط المسكن ومورفولوجية الحي والأشكال المعمارية ذات المرجعية الأوروبية)، والتقليدي (أي المميز للمعمار العربي الإسلامي) في الظاهر (اليحياوي، 2015، صفحة 46)

5. تغير مورفولوجية الأحياء والشوارع

إن غياب التراث المعماري للمدينة والذي يتميز بالحارات العتيقة والشوارع المفتوحة والمداخل المقوسة وتوسط الجامع بين الأحياء يعبر عن ظاهرة مورفولوجية أساسها التغير المستمر للمكونات المادية للمدينة، كما يعبر عن تغير ضمني لثقافة الساكنين فيها، كون المورفولوجيا الجديدة للمدينة

تفرض طبيعة التكيف مع طرق الحياة العصرية، بما فيها طبيعة العلاقات الاجتماعية ونمط الممارسات الثقافية، وفقا لما يحتمه نسق الحياة الحضرية.

فالطابع المورفولوجي الجديد يعكس الوضع المتأزم للعوامل المختلفة التي ساهمت في هذا التغير والذي يبرز من خلال تعدد الأنماط العمرانية من حيث الشكل والمساحة مثل النمط العمودي والعشوائي وكذلك النمط الفردي الفاخر مع البناءات غير المكتملة، فاجتماع هذه الأنماط داخل محيط الحي الواحد يعطي صورة غير متناسقة ومشوهة (الجوهري، 2010، صفحة 63)، كما أثـّر النمو السكاني بشكل مباشر على ظهور الأحياء العشوائية ونموها الكبير، وبالتحديد خلال السنوات الأخيرة أين أصبحت هذه الأحياء تبرز الجانب السلبي للمدينة، خاصة مع انتشار فكرة اعتبار المسكن العشوائي كمرحلة سابقة للحصول على مسكن لائق، وقد برز التأثير المباشر أيضا من خلال تدخلات الفرد على المجال السكني وتحويره بالشكل الذي يخدم حاجاته وذلك ما انعكس على المجال الخارجي، خاصة على مستوى العمارات التي غالبا ما تفقد مظهرها الأول، وتصبح مزيجا من الألوان والأشكال مع تغيب الناحية الجمالية عن هذه المدن فكل تصاميمها مهتلكة ومكررة، لا تبرز أي صفة مميزة للمدينة، بل أنها تشجع على انتشار نمط عمراني واحد (إبراهيم ف.، 2019، صفحة 12).

ومن ناحية ثقافية فإن هذه المورفولوجية الجديدة لا تخفي وراءها أي خلفية ثقافية خاصة بالمجتمع المديني، فهي مزيج من الثقافات الفرعية التي يتم اكتسابها داخل الحيز السكني، بتدخل حتميات إيكولوجية وجغرافية وكذلك ثقافية اكتسبها الفرد من محيطه لا تمت بأي صلة لثقافة المجتمع الأصلية، ومن ناحية اجتماعية فقد أصبحنا اليوم نلحظ تفكك في العلاقات الاجتماعية والطبقية وانتشار الآفات الاجتماعية والذي ولدته ضرورات الحياة الاجتماعية، كما أصبحنا نلمس الطبقية داخل المجتمع التبسي من خلال اختلاف طراز الأبنية وتنوع الأحياء بين الراقية والعشوائية، ليفقد بذلك المجتمع تجانسه واشتراكه في نمط موحد يميز المدينة.

6. تأثير تغير مورفولوجية المسكن والحي على السلوك الإجرامي

رغم وجود بعض الرمزية المعمارية في المساكن والأحياء والتي تبين مدى تمسك الأفراد بقيمهم المتوارثة ومقاومة التغير، إلا أنه لا يوجد نوع من القطيعة بين ظهور هذه القيم على الواجهات المغطاة

واختفائها على مستوى تخطيط المساكن ووضعية الأحياء، فالمساكن المتراصة والمتقابلة والعمارات ذات الطوابق الكثيرة والشرفات المشتركة والأحياء الضيقة لا يعكس أبدا ما يختفي من قيم في اللاوعي عند الفرد، وهذا ما أضفى نوع من الضغوط النفسية والبيئية على الأفراد وشكـّل نوع من المقاومة والعدوانية كتعبير عن الرفض للوضع المعاش، فالظروف المادية تفرض هذا النمط السكني الذي يختلف عن ذهنية الأفراد، مما يظهر في شكل سلوك عدواني يعكس التناقض بين ما هو مقبول وما هو مرفوض داخل ثقافة المجتمع، ونجد هذا الرفض من خلال المشاكل بين الجيران والاعتداءات والسرقات، وذلك لغياب علاقة الألفة التي يفترض أن يوفرها الفضاء المشترك.

إن الازدحام وافتقاد الخصوصية داخل الفضاء الخاص وكذلك في الحي الضيق الغير مهيئ يدفع الإنسان إلى الشعور الدائم بالإحباط نتيجة تطفل الآخرين على فضاءه المحيط به، مع عدم قدرته على ممارسة تفاصيل حياته الثقافية والاجتماعية، مما يجعله يفقد جزئيا ذلك الجانب القيمي المرتبط بالعادات والتقاليد التي تحتاج الكثير من الخصوصية، ليحاط بنمط حياة ونسق من القيم داخل الحي، والتي تتعارض مع قيم المجتمع السائدة، حيث تسمح له هذه الظروف بالانخراط في الثقافات الفرعية المحيطة به والتي لا تحتاج إلى مساحة خاصة لممارستها، ولقد أثبتت البحوث والدراسات العالمية على أن التوتر والضغوط والظروف المصاحبة لتغير ثقافة الفرد في المراكز الحضرية، تؤدي إلى ظهور معدلات عالية من إدمان الخمور والمخدرات، وانحراف الأحداث والاضطرابات العقلية (الجوهري، 2010، صفحة 183).

7. نظرية النوافذ المهشمة

ترتبط هذه النظرية ارتباطا وثيقا بمفهوم اللاتمدن، حيث يعد **جون كونكلين** من الأوائل الذين استعملوا هذا المفهوم حين أشار إلى تأثير سلوكيات اللاتمدن على الحياة الاجتماعية والشعور بعدم الأمان (الشعور بعدم الأمن)، وذلك انطلاقا من بعض الدراسات التي قام بها في بعض المدن الأمريكية منذ سنة 1975، كما نشر James Wilson في سنة 1982 مقالا عالج من خلاله نتائج تأثير سلوكيات اللاتمدن على السلوك الإجرامي، وحسب ما جاء في هذا المقال فإن عدم الشعور بالأمن

يسهم في تحطيم علاقات الجيرة، حيث يشعر الأفراد بأنهم غير متضامنين في الأحياء التي يعيشون فيها، فهم أقل ميلا للدفاع عن القواعد غير الرسمية للحيات الاجتماعية (سواكري، 2001).

كما أن الفوضى وسلوكيات اللاتمدن لها تأثير كبير على الجريمة، فعدم إصلاح زجاج نوافذ العمارة المكسرة مثلا يؤدي إلى تحطيم زجاج النوافذ الأخرى بسرعة، وبعد تكسير جميع النوافذ تبدأ الاعتداءات الجسدية والسرقة، وهذا يدل على أن المكان لا يوجد فيه قانون، ومن بين أفكار هذه النظرية أيضا هو أن التهور الذي ينتشر في الحي السكني يؤدي ببعض الأسر إلى ترك ذلك الحي، خاصة عندما يتعلق الأمر بالصراع على الأرصفة من طرف التجار، حيث كثيرا من الناس يعبرون الطريق فقط لتفادي شاب واحد من ذلك الحي، ونظرية النوافذ المهشمة أو المكسورة قد ركزت على أهمية الروابط الاجتماعية والجوارية، في الحماية من الجريمة.

ثانيا: التغير الثقافي وعلاقته بالسلوك الإجرامي

إن التغير الثقافي عملية طبيعية تخضع لها المجتمعات الإنسانية على مستوى قيمها وعاداتها وتقاليدها وموروثها حيث تتجلى في اكتساب وإعادة بناء ثقافة جديدة، قد تكون مماثلة للثقافة المتوارثة وقد تحيد عنها، ويعود السبب في هذا التغيير لمدخلات العصر من تكنولوجيا وعولمة، والتي بدورها اخترقت الجانب الثقافي للإنسان وأثرت بصورة واضحة على سلوكه إما إيجابيا أو سلبيا، ويعتبر السلوك الإجرامي وليد غير مرحب به تمخض عن التأثير الذي جاءت به عملية التغير.

1. مفهوم التغير الثقافي

التغير الثقافي هو عبارة عن التحول الذي يتناول كل التغيرات التي تحدث في أي فرع من فروع الثقافة بما في ذلك المادي واللامادي، كما يشمل فوق كل ذلك كل التغيرات التي تحدث في أشكال وقواعد النظام الاجتماعي، ويعرف (درسلير Dressler) التغير الثقافي بأنه تحول أو انقطاع عن الإجراءات المجربة والمختبرة والمنقولة عن ثقافة الماضي مع إدخال إجراءات جديدة، ويمس الاعتقاد والأذواق الخاصة بالمأكل والمشرب والملبس والتقاليد والفن والأخلاق، هذا بالإضافة إلى التغيرات التي تحدث في بنيان المجتمع ووظائفه، ويتميز التغير الثقافي بأنه عملية تحويل شامل قد تتناول طبيعة الثقافة نفسها، فهو تغير نوعي أساسا، لذلك فللتغير انتكاسات وعلل تتمثل فيما يلي:

- يقوم على الحركة المفاجئة السريعة.

- يعتمد على رأس المال الأجنبي، أي أنه ينجم عن الاتصال الخارجي مع الثقافات الأخرى.

- التغير الثقافي ينتج بصورة أساسية عن الاختراع أو التجديد، سواء أكان اختراعا ماديا أو اجتماعيا، كظهور الديانات والفلسفات والقوانين والقيم الجديدة (استيتة، 2010، صفحة 75).

-حسب تعريف هولتكرانس سنة 1980 فإن التغير الثقافي يعبر عن التغير في أجزاء الثقافة، أي في بنائها أو في عناصرها المادية وغير المادية أو في مضمونها، بما في ذلك الفن والتكنولوجيا والفلسفة والأدب واللغة والأذواق الخاصة بالمأكل والمشرب واللباس ووسائل المواصلات والنقل والصناعة، وكذلك يشمل التغير أشكال وقواعد النظام الاجتماعي، كما يمكن إضافة مفهوم آخر للتغير، وهو التعجيل الثقافي، ويعني زيادة معدل التغير الثقافي، ويفترض (أوجبرن 1975 ogburn) أن التراكم يرجع إلى صفتين في العملية الثقافية: إحداهما هي ثبات الأشكال الثقافية والأخرى تتمثل في إضافة أشكال جديدة، ونتيجة لهذا التباين في التغير ظهر ما يسمى بالهوة الثقافية (استيتة، 2010، صفحة 76)، والتي من شأنها أن تخلق مشاكل يسببها تغير قيم أفراد المجتمع وانقسامه إلى مجددين ومحافظين، وإذا قارنا الفيئتين لوجدنا أن التغير السلبي قد أثر على المجددين كونهم استبدلوا قيمهم القديمة بقيم جديدة غيرت في سلوكهم وخلقت نوع من الانحراف الأخلاقي الذي وجههم نحو الجريمة في كثير من المواقع.

- أصبح التغير الثقافي يتضمن مجموعة من المفاهيم الأخرى ومنها التثاقف (Acculturation) والتفكك، الانحراف، التطور، والتغير التدريجي، الاستعارة الثقافية (Cultural Borrowing)، الإبداع، التكامل، والنقل، وإعادة الإحياء ... إلخ.

2. نواتج التغير الثقافي في المجتمع التبسي

هناك مجموعة نواتج تنجم عن التغير الثقافي، وهو ما انطبق على المجتمع التبسي، حيث تولد عن التغير الثقافي الذي يشهده العديد من المظاهر المجتمعية، خاصة منها:

1.2. التمايز الثقافي (تمايز الممارسات الثقافية وخلق الطبقية)

يعبر التمايز الثقافي عن حالات اللامساواة التي تنشأ بين الأفراد والجماعات في المجتمعات البشرية، وتشكل نوع من التراتب الاجتماعي، الذي يتمثل في تقسيم المجتمع إلى طبقات أو شرائح

فتحتل فيه قمة الفئات التي تتمتع بأنواع عديدة من الامتيازات، بينما تبقى بعض الفئات في أدنى الهرم أو قاعدته، ويقوم التراتب الاجتماعي على أساس المكانة الاجتماعية التي تميز الفرد عن الأخرين، ويظهر هذا التراتب الطبقي من خلال معالم المسكن والملبس وأسلوب الحديث، وكذلك من خلال امتلاك الأثاث الفاخر والسيارات والمحلات وغيرها، وهذا ما يجعل المجتمع ينقسم ويتمايز إلى طبقات تراتبية، كما ينعكس هذا التمايز على الممارسات الثقافية والأنشطة التي يفرضها المستوى المادي مشكّـلة بذلك تمايزا ثقافيا بين طبقات المجتمع الواحد (بودبرة، 2018، صفحة 472).

ويسود عالمنا المعاصر ميول حاد نحو الاستهلاك أوجدته أوضاع وتطورات متتالية في مجالات الإنتاج والتوزيع والاحتكار والاتصال والإعلان، وصار السلوك الاستهلاكي من السلوكيات السائدة ضمن الممارسات الثقافية داخل المجتمع وجزءا كبيرا من قيمه السائدة، وهذا ما يُعرف اليوم بثقافة الاستهلاك، هذه الأخيرة التي انتشرت من مركز النظم الرأسمالية إلى محيطات العالم الثالث قد أوجدت أيديولوجية الاستهلاك، والتي قوامها النظر إلى الاستهلاك كهدف في حد ذاته وربطه بأسلوب الحياة وبأشكال التميز الاجتماعي.

يقول روجيه **غارودي** بأنه في المجتمعات التي يُحرم فيها السواد الأعظم من الناس من التمتع بالمشاركة يصبح العنف شريعة الأفراد والجماعات، ومجتمع الاستهلاك كما يقول **كوستي بندلي** يفرز العزلة والفراغ ويحكم على حياة الإنسان بالعبثية والتفاهة، فإذا بالمرء فقير وسط خيراته المتراكمة، جائع وسط تخمته يستحوذ عليه السأم، يفتك به القلق رغم كل الضمانات (الرماني، 1439هـ، صفحة 34).

يقول الدكتور خضير عباس المهر في كتابه (المجتمع الاستهلاكي وأوقات الفراغ) بأن محاولات التقليد والمحاكاة هي من عناصر النظام الرأسمالي التي تعمل بعكس الاتجاه الذي يؤدي إلى التنظيم والترشيد لأخلاقيات المجتمع (الرماني، 1439هـ، صفحة 34).

ويظهر التمايز الثقافي بشكل كبير من خلال الممارسات الثقافية وإحياء العادات والتقاليد، حيث يكون للتفاصيل المادية والمعنوية حضورا كبيرا، وأكثر الممارسات التي تميز المجتمع التبسي وتتمايز فيها الطبقات الاجتماعية رغم اشتراكهم في نفس الموروث هي:

1.1.2. تقاليد الزواج (الاحتفال في صالات الأفراح)

في القديم كانت مراسم الزواج تكون في أيام معلومات وبخطوات واضحة يشترك في ممارستها كل المجتمع، حيث يستدعي أصحاب العرس الضيوف من الأقارب والأحباب والمعارف والجيران في المنزل، ويتم تقديم الولائم التي تكون متكونة أساسا من أكلات معروفة كالكسكس والحساء والكفتة والسلطة والفواكه والمشروب الغازي، والتي تقدم ضمن حلقات يجتمع حولها الضيوف.

أما أعراس الطبقة الميسورة اليوم فتقام في صالات مجهزة بالأثاث الحديث والطاولات الراقية ذات الأغطية المتناسقة، وتوضع فوقها مختلف المأكولات من مقبلات وعصائر وحلويات وأطباق من أنواع السلطات الأوروبية والمأكولات الراقية التي تقدم في الفنادق الفخمة، حيث يصرف في هذه الأعراس مبالغ باهضه لا يمكن أن تستوعبها جيوب الطبقات البسيطة، إضافة إلى تغيير بعض الطقوس كمشاركة العريس والعروس الاحتفال في صالة واحدة قبل الدخول، إضافة إلى المهر المقدم والذي يكون للتباهي مع أطقم المجوهرات وغيرها، أما الضيوف فتأتي بأفخر السيارات والملابس.

كل هذه الممارسات تجعل الفجوة الاجتماعية ثم الثقافية تزيد بين الطبقات، كما تخلق نوع من التغير الثقافي السريع.

2.1.2. مناسبات استقبال المولود:

كان قبل سنوات استقبال المولود الجديد يتم دون تخطيط مسبق، حيث تتهافت الضيوف للمباركة بالمولود الجديد دون موعد مسبق من أجل مشاركة الفرحة والاحتفال، أما اليوم فأصبحت هذه المناسبة تقام في أيام خاصة، يتم فيها استدعاء الضيوف وتقديم الأطعمة والحلويات الخاصة، والمجهزة بطريقة عصرية متناسقة في اللون والشكل مع جنس المولود، حيث يكون التباهي سيد الموقف، لتخلق فجوة جديدة بين الطبقات، وكذلك تمايز ثقافي من شأنه أن يخلق هوة ثقافية جديدة بين أفراد المجتمع الواحد.

فالتمايز الثقافي يشير إلى التغير الثقافي والتحول في الممارسات الثقافية الواضحة في الثقافة الاستهلاكية الجديدة، والتي بدورها صنعت التمايز بين الطبقات التي أضافت ممارسات ثقافية جديدة وتخلت عن أخرى وبين من حافظت على تقاليدها وتمسكت بالعادات الموروثة، فثقافة الاستهلاك تقترب أكثر من الثقافة العالمية وتبتعد تدريجيا من الهوية الثقافية للمجتمع.

يرى **بورديو** أن الاستهلاك الثقافي يكشف عن جوانب من الممارسات اليومية للأفراد والتي من شأنها أن تخلق نوع من التمايز الاجتماعي، فمثلا الطبقة البرجوازية أو الطبقة المرتاحة ماديا تخلق حدودا بينها وبين الطبقات الأخرى من خلال استهلاكها لسلع وخدمات عالية الجودة، وهذا الاستهلاك ناتج عن طريق التنشئة والتعلم **(بودبرة، 2018، صفحة 470)**، في حين الطبقة الأقل ماديا لا يمكنها استهلاك نفس السلع مما يخلق الهوة الطبقية بين الأفراد، وهذا يشكل جانبا عدوانيا بين الطبقات قد يتطور إلى سلوكيات غير سوية أو إجرامية في محاولة تحقيق التوازن الطبقي.

2.2. الفجوة الثقافية والتفكك الثقافي

1.2.2. الفجوة الثقافية

ويقصد بالفجوة الثقافية الاحتفاظ بالممارسات الثقافية من العادات والتقاليد والتقنيات على الرغم من قدمها أو عدم ارتباطها بمجموعة المعايير الجديدة للثقافة المسيطرة، حيث تحدث الفجوة الثقافية عندما يختل التوازن في سرعة النمو بين عناصر الثقافة، بحيث يتحرك عنصر بسرعة متفاوتة عن العنصر الآخر، فيتغير أحدهما سريعا في حين يبقى الآخر بدون تغيير أو يتغير في أجزاء فقط دون أخرى (حميد خروف وأخرون، 1999، صفحة 63).

وهذا ما أحدثه التمايز الاجتماعي والطبقية فهناك أفراد لم يغيروا ممارساتهم الثقافية لكونهم لا يملكون وسائل التغيير، في حين انتقل أفراد آخرين بقفزة نوعية متخلين تماما عن أي ممارسات خاصة بمجتمعهم، مما أحدث فجوة ثقافية بين الفئتين.

2.2.2. التفكك الثقافي

ترى المدرسة الإيكولوجية أن التفكك الثقافي ينشأ عندما يتعرض المجتمع لتغير اجتماعي سريع وحاد فيؤدي إلى انهيار النظام القيمي في المجتمع، وانتشار المشكلات الاجتماعية كالفقر والجريمة في مناطق معينة في المدينة، وتزداد المظاهر في وسط المدينة وتقل في أطرافها، كما يرجع أصحاب مدرسة شيكاغو مصدر التفكك الثقافي إلى الفرد ذاته لأنه فشل في التمثل لمعاير وقيم مجتمعه، وعدم قدرته على التكيف مع الحياة الجديدة، كما يشير التفكك الثقافي إلى أي تغير جوهري في مكونات الثقافة وإحداث خلل داخل البناء الاجتماعي والثقافي، ومن مظاهر التفكك الثقافي ما يلي:

-اتساع نطاق البدائل الثقافية أمام الفرد مما يؤدي إلى تمييع الأنماط السلوكية وصعوبة تحديدها.

- مجتمع المدينة يتيح للفرد فرصا أرحب للاختيار، الأمر الذي يترتب عليه ظهور مشاكل اللامعيارية أو فقدان المعايير.

- يعتبر فقدان التكامل والارتباط المتبادل بين مقومات الثقافة المظهر الثالث من مظاهر التفكك المصاحب للحضرية، مما يصعب على الفرد فهم المعتقدات والقيم والطقوس المرتبطة بالممارسات الثقافية المعتادة والتي كانت سائدة في المجتمع والتي تشكل عنصر أساسي من مقومات الثقافة المجتمعية.

- الصراع الواضح أو عدم الاتساق بين المستويات الثقافية، ففي المجتمع البسيط تنسجم السمات والمركبات الثقافية مع بعضها البعض، على العكس في المجتمعات المدينية التي يواجه فيها الفرد توقعات سلوكية متعارضة وغير متسقة.

- تزيد الحضرية من اتجاه المجتمع نحو العلمانية والدنيوية، ففي المجتمعات الريفية تجد كل الأنشطة التي يقوم بها الأفراد تصطبغ بالطابع الديني والعاطفي، بينما في المجتمعات المدينية ترتبط النشاطات وتوجه باعتبارها أحكام عقلانية براغماتية، ومع زيادة الحضرية والتمدن يتحرر الأفراد من الضوابط التقليدية، وتتاح لهم فرصة صنع القرار في ضوء ضوابط علمانية رشيدة، دون ارتباط بإرادة المجتمع التي تجسدها المعتقدات الدينية المقدسة والتقليدية (السيد، علم الإجتماع الحضري، 2017، صفحة 71).

- تزيد الحضرية من انتشار الفردية وزيادة سيطرتها على موجهات السلوك الإنساني ويعني ذلك أن الفرد وليس الجماعة هو المسؤول عن عملية صنع القرار وعن نتائج ما يقوم به من أفعال، كما يعني أيضا اختفاء الوظائف الجمعية وإحلالها بنشاطات فردية بحتة تهدف إلى تحقيق مصالح الفرد في المقام الأول، فالمجتمع التقليدي يستند إلى قيم معينة يتمخض عنها ممارسات وأعمال جماعية وتشاركية دون مقابل، مثل التويزة (ممارسة شعبية يجتمع فيها مجموعة من الأشخاص للتعاون مثل بناء منزل أو حصاد أو زراعة..)، فمثلا نجد سكان المدن يعتبرون ذلك نوعا من العبث والسلوك الغير رشيد، من مظاهر

التفكك الثقافي أيضا، إحلال الأسرة النواة محل العائلة الممتدة وضعف سلطة الدين والمعتقدات وتحرر الأفراد من الروابط التقليدية بجماعات قرابية أو مكانية (السيد، 2017، صفحة 72).

3.2. الفساد الثقافي منهج للسلوك الإجرامي

الفساد كما عرفه كثير من العلماء والفلاسفة هو ظاهرة سياسية وإجتماعية تقابل مفهوم الإنتظام والثبات، لذلك فالفساد هو منهج يقود إلى بناء منحرف يوفر الفرصة لإنتشار العطب والخلل، والأخطر من ذلك عندما يصيب الفساد أدوات التنوير ووسائل المراقبة والنقد، ويتحول ميدان الثقافة وقطاع الإعلام إلى وسط للتبرير والدفاع عن الإنحراف والخلل، لذلك مسألة الفساد الثقافي ليست قضية عصية على الوعي والمعرفة والإنسانية، في الوقت الذي لم تأخذ جديتها وأهميتها كما يجب من حيث حجم المخاطر الراهنة والمستقبلية، بل هي إشغال فكري قديم وحديث في نفس الوقت، ولكن طرق الفساد الثقافي الحديث أكثر نجاعة وتطورا من ذي قبل، كما أصبح أكثر شمولية، كونه يغطي جميع مناحي الحياة.

وإذا كانت الثقافة كمحتوى وغاية أروع ما أنتجه العقل البشري عبر العصور فإن الفساد كان الآفة الشرهة التي تسعى إلى إلغاء كل المكاسب التي أثمرتها قرون من أجل الارتقاء بالبشرية من عصور التخلف إلى زمن التنوير، فإفساد الثقافة يهدف إلى تكريس عبودية الجهل وغلق منافذ التطور والمعرفة الحقة، بل إن عملية إغراق النشاط الإنساني الفكري واستبداله ببدائل ثقافية دخيلة تدخل الفرد في دوامة الانحراف والجريمة والصراعات يعد في حد ذاته فساد ثقافيا يمس مبادئ الفرد وخصوصيته الثقافية وكينونته الإنسانية (ياسين، 2001، الصفحات 54-55).

ويأخذ مفهوم الفساد في الثقافة بعده الإنساني والقيمي، فهو في الوقت الذي يكون فيه نقيضا لمعطيات الوضع الإنساني الطبيعي المعبر عن كل مراحله الحضارية، فإنه يتعامل مع تلك القيم ويؤثر سلبا، ويدخل الفساد كتعبير نقيض للإبداع ينهش ويقزم الإنجازات الفكرية، ومع التطور التقني والمعلوماتي أضحى الإعلام بمختلف طرائقه الوعاء الحامل لرسالة الثقافة (ياسين، 2001، الصفحات 54-55)، حيث تحمل هذه الرسالة في معظم أسطرها نوعا من الانحدار الأخلاقي والتنازل على القيم

والمبادئ والتخلي عن الإنسانية كميزة أساسية للإنسان الواعي الذي تحكمه ضوابط وقوانين مستمدة من معتقداته وقيمه الدينية المتوارثة عبر الزمن، والتي تجسد هويته وتميزه عن غيره.

وتوافقت صياغة وبناء المنظومة الثقافية ورموزها مع صناعة تقنيات الاتصال المتطورة، لتدعم الثقافة وتجعلها أكثر إغراء ووجودا وانتشارا في عالم مبهر للصورة الواسعة الحاضرة دائما.

ثالثا: التغير القيمي

تمثل القيم الجانب المؤثر في الثقافة والذي يحدد سلوك الإنسان وتفكيره، وهو موضوع الرغبة الإنسانية والتقدير، وتشمل كل الموضوعات والظروف والمبادئ التي أصبحت ذات معنى خلال تجربة الإنسان الطويلة، وقد تكون القيم إيجابية أو سلبية، وتقيم أسس المرغوب وغير المرغوب، كونها تعبر عن كل الأفكار المتعلقة بالأهمية النسبية للأشياء وتقوم بوظيفة ربط أجزاء المجتمع بعضها بالأخر.

ورغم أن القيم تتميز بالمحلية فهي اليوم لم تعد كذلك كون العالم تلاشت فيه الحدود والمسافات وأصبح لكل حدث معاصر انعكاسات مباشرة على العالم، مما سهل الاحتكاك والتطبع، وأصبح التقليد والمحاكاة لا يقتصر على المشاهدة من بعيد، بل أصبح مشاركة مباشرة للممارسات الثقافية والاجتماعية، مما دفع الإنسان إلى التخلي تدريجيا عن محليته، وازداد إحساسه بأنه جزء من عالم أعم وأشمل، تتناقض فيه منظومة القيم وتتكون خلاله اتجاهات جديدة أمام إخفاق المؤسسات الاجتماعية والتربوية في مواكبة التغير، مما خلق طفرة في النسق القيمي ولدت صراع بين القيم الموروثة والقيم الدخيلة، وأصبح الفرد يتخبط بين الثبات والتغير، وفي هذا الصراع فقد الإنسان القدرة على التحكم في سلوكه، فاتجه دون وعي منه نحو التمرد على المعايير المجتمعية والقيم الأخلاقية من خلال ممارسته سلوكيات منحرفة.

1. ظهور قيم ما بعد الحداثة ودورها في تغذية السلوك الانحرافي

يظهر التغير في القيم من خلال السلوكيات والممارسات التي يجسدها الفرد داخل بيئته الاجتماعية، سواء كان التغير القيمي إيجابيا فتكون السلوكيات مقبولة من طرف المجتمع أو سلبيا فيرفضها المجتمع وقد يجرمها أيضا (إحسان محمد، 2008، صفحة 464)، وهذا السلوك المنحرف يتجسد في الواقع على شكل سلوك إجرامي نتيجة لتبني الأفراد قيم جديدة ومكتسبة تتمثل فيما يلي:

1.1. اختلال سلم القيم المركزية وسيادة القيم المادية

إن سيطرة النواحي المادية على الأفراد نتيجة للتغيرات السريعة وانتشار الكثير من القيم والأفكار التي تؤكد التعلق بالمادة وحب الرفاهية، دون التأكيد على شرعية وسائل الحصول عليها أو حسن استغلالها لمصلحة الفرد والمجتمع، جعلت بعض الأفراد يهتمون بالمظاهر المادية على حساب الكثير من القيم الدينية والأخلاقية، وهذا ما ساهم في تغير ترتيب القيم بالنسبة للأفراد وأهميتها كموجهات لسلوكهم، ويمكن تغيير قيم الأشخاص أو خلق قيم جديدة إذا تم تغيير الموضوعات التي تحوز على اهتمامهم وإدخال موضوعات جديدة في حياتهم تؤثر على أفكارهم واتجاهاتهم (حميد خروف وأخرون، 1999، صفحة 63).

2.1. الاختراق القيمي في ظل العولمة

تعرف العولمة في المجال الثقافي بالثقافة العالمية، فهي (العولمة) في هذا المجال تتجه إلى فرض أنماط ثقافية (سيطرة وتصدير الثقافة الغربية الرأسمالية) من خلال تدفق معارفها وتقنياتها ومنتوجاتها الاستهلاكية التي تعني في النهاية سيادة الحضارة الغربية (خالد حامد، 2012، صفحة 171)، فالإشكالية المقلقة اليوم هي الصراع القوي والدائم بين المبادئ والقيم وبين الدخيل على هذه القيم، فهذا الدخيل يكاد يزعزع قيم الناس، وما يحملونه من مصداقية المبادئ، لأن الغرب دائما يملك قوة تأثيرية، فهو يسيطر على الكثير من المنافذ الإعلامية تحت شعار العولمة والتي عبرها يتسلل إلى مشاعر وأحاسيس الناس.

3.1. ترسخ القيم الفردية (قيم التحرر)

يقول **فكتور فرانكل** في كتابه **المعنى** بأن ما يحث الفرد على الفردانية والتحرر من القيم والمعايير هو انهزامه نحو الذات وسعيه نحو إسعادها حتى لو على حساب كسر قواعد وقوانين المجتمع من خلال الانحراف وارتكاب الجريمة، ومن أسباب هذا الانسلاخ القيمي هو: افتقار الفرد للمعايير الاجتماعية الضابطة لسلوكه كونها لم تعد تحض بالاحترام، أي غرق القيم الأخلاقية والمجتمعية في خضم الرغبات الشخصية الباحثة عن الإشباع بأية وسيلة، وبالتالي تفرد الذات والإحساس بالدونية تارة وبالتعالي تارة أخرى، وما ينجم عن ذلك من اتساع في الهوة بين الأهداف الفردية والجماعية، وكذلك

الانقطاع عن ممارسة العادات والتقاليد المجتمعية المتوارثة بسبب موجة التحضر والتمدن التي عمت المجتمع (فيكتور فرانكل، 1982، صفحة 29).

فيما نادت نظرية **التفكك الاجتماعي** بأن أي تفكك في نطاق الجماعة في المجتمع ينعكس تأثيره على العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية، بحيث يحول الأمر دون تحقيق الانسجام مع السلوك الاجتماعي، وقد ظهر تأثير مفهوم اللامعيارية الذي ارتبط بدوركايم **Anomie** ومفهوم **Normalessness**، والذي ارتكز على أن التطور الاقتصادي السريع، والتغيرات الاجتماعية تزيد من مستوى الانحراف والاختلال بين المجموعات المنحرفة في المجتمع وفق الأنماط القيمية السائدة (هربرت ديفيد، 2001، صفحة 49).

a. التقليد (المغلوب مولع بتقليد الغالب)

يقول ابن خلدون في مقدمته بأن المغلوب مولع دائما بالاقتداء بالغالب في شعاره، وزيه، ونحلته، وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس دائما تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه وانتحلت جميع مذاهب الغالب، وتشبهت به، وذلك هو الاقتداء"**أي التقليد**" وترى المغلوب يتشبه دائما بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه بل وفي سائر أحواله (عبد الرحمان إبن خلدون، 2004، صفحة 283).

والغريب في (مشكلة التقليد) أنها في مظهرها وكيفية تطورها وتعدد أشكالها تختلف في مجتمعنا العربي الحالي، رغم أن الظاهرة واحدة واليوم وفي عصر الانفتاح على كل الثقافات أصبح التقليد يخص السلوكيات الانحرافية كتعاطي المخدرات والتباهي بالعلاقات الجنسية وغير الشرعية وجرائم القتل والاغتصاب بسبب الغزو الثقافي والإعلامي وغيرها.

5.1. التغير في منظومة القيم الدينية (الدين مجرد طقوس فارغة من أي محتوى أخلاقي)

يعتبر الدين من الضوابط الاجتماعية القوية المسيرة للسلوك الأخلاقي لما يلعبه من دور لضمان الانصياع والتمثل للمعايير الاجتماعية والأخلاقية من خلال القيم الدينية، حيث يرى **روبيرت مرتون** في كتابه **النظرية الاجتماعية والبنية الاجتماعية** "**أن من أهم وظائف الدين ضبط السلوك الإنساني والاجتماعي، فالدين يقوي المشاعر والعواطف بين المجتمع ويوحدها**" (لخضر زرارة، 2014، صفحة

162)، يقول **مالك بن نبي في كتابه ميلاد مجتمع**" أن الدين يخلق نظاما اجتماعيا يستحيل فيه الفرد إلى أفراد كثيرين من خلال العلاقات الاجتماعية، وكلما ضعفت العلاقة الدينية ضعفت بدورها العلاقات، ومن هنا تزداد درجة الفراغ الاجتماعي بين الأفراد في محيطهم (مالك بن نبي، 1982، صفحة 57).

إن السبب الأساسي في التغير القيمي والانحدار إلى ارتكاب الجريمة أساسه هو ذلك المحتوى الفارغ للدين في أذهان الفرد، وغياب الوازع الديني والانسلاخ من المعايير والقيم الأخلاقية الدينية.

فالحضارات بصفتها هدفا لأي تغيير اجتماعي تقوم على الدين بوصفه عاملا أساسيا في تركيبها، فسقوط المجتمعات وتدهورها في مسيرة الدورة الحضارية كان نتيجة لغياب الوظيفة الاجتماعية للدين، إذ أن البناء في أي مجتمع لا يقوى على البقاء بمقومات الفن والعلم والعقل فحسب بل بالروح أيضا، فالعلاقة الروحية بين المعبود والإنسان هي التي توجد العلاقة الاجتماعية، فالجانب الغيبي للدين هو الذي يوفر المبررات ويوجد الإرادة الجماعية، وبالتالي لابد من تلازم القيم الأخلاقية مع الجانب الاجتماعي لأن العكس يؤدي إلى انهيار المجتمع وتدهوره (ملوكي، 2012، صفحة 339).

2. الصراع القيمي وارتفاع الجريمة

يرتكز مجتمع المدينة في بنائه على المنظومة القيمية لأفراد المجتمع، والتي تمثل عنصر رئيسي في البناء والنسق الاجتماعي، ولها دور في التركيب والحفاظ على توازن واستقرار البناء، أما بالنسبة للتحضر فهو مرتبط بنمو المدينة، حيث يرى البعض أن مشكلة الصراع القيمي لدى المجتمع وبخاصة الشباب تزداد حدة مع النمو الحضري المتزايد، حيث يرى بعض علماء الاجتماع أن التفكك الحاصل في المجتمعات الحضرية يؤدي إلى ضعف الضبط الاجتماعي، فتقل بذلك سلطة المجتمع ويتجه الفرد إلى التمرد وعدم مراعاة العادات والتقاليد وينقص اعتباره للأخرين (محمد عبد الفتاح محمد، 1996، صفحة 125).

ويرى **جورج زيمل** ممثل **المدرسة الألمانية** أنه: "**يمكن وصف المدن بالاعتماد على النماذج المثالية، على أن تكون عناصر الوصف سيكولوجية أكثر منها بنائية، لكون الفرد يعيش حالة ضياع نظرا لتعدد جوانب الحياة في المدينة، وهي الحالة النفسية التي تجعل الناس يبتعدون عن الاستجابة**

العاطفية كالولاء للجماعة، مما يجعل العلاقة (الفرد– الجماعة)، (الإنسان والبيئة)، علاقة جزئية انفصالية (أمينة كرابية، 2017، صفحة 96).

يؤكد التصور السلوكي والنمو الحضري على خبرة الأفراد على مر الزمن من حيث أنماط السلوك والتفاعل، ومن ثم ينظر للمدينة هنا على أنها طريقة حياة أو نسق معين من قيم ومعايير السلوك وأنماط التفاعل والعلاقات الاجتماعية التي ترتبط بسياق زماني ومكاني، ينتقل خلالها المجتمع ويتطور ليتميز في النهاية بانقسامية الأدوار، وتعددية الانتماءات، وسيطرة العلاقات السطحية الثانوية وضعف علاقات المواجهة المباشرة، وغلبة العقل والمصلحة على العواطف، ويعني ذلك الانتقال إلى نموذج أكثر رشادة وعقلانية للفعل الاجتماعي والتفاعل، هذا النموذج الذي ارتبط وصفه باستخدام مصطلحات الاغتراب واللامعيارية والهامشية وغيرها(السيد، 2017، صفحة 101).

وكون الحداثة هي حركة انفصال عن كل المتغيرات والموروثات السلبية التي لها جذور في التراث ونقطة انفصال بين قيم السلف وترك المرجعية للعقل فإنه لا يمكن فهم الحداثة إلا إذا كنا نؤمن أن الإنسان ليس نمطا واحدا، فلكل بيئته ولكل زمان ظروفه ونظمه وأساليبه، فالإنسان يتفاعل مع واقعه تبعا لحاجاته المتغيرة التي تدفعه إلى إتباع قيم المجتمع أو إنتاج قيم جديدة، كونها مقياس ومعيار السلوك المرغوب وغير المرغوب، لذلك سعت الدراسة إلى إبراز تأثير التغير في القيم ودوره في إنتاج السلوك الإجرامي وزيادة معدلات الجريمة، حيث استمدت هذه الدراسة أهميتها من خلال ربط الجريمة في السنوات الأخيرة بتدني مستوى القيم وتفككها وتحلل العلاقات الاجتماعية.

وفي دراستنا الميدانية حرصنا على إظهار ارتفاع وتزايد الجرائم خلال السنوات الأخيرة في الوسط الحضري، ومدى تأثر قيم الأفراد مرتكبي الجرائم ودافعيتهم نحو الجريمة وتخلصهم من القيم المجتمعية السائدة.

جدول رقم 17: يوضح معدل الجريمة خلال السنوات الأخيرة

الجرائم / السنوات	عدد القضايا					
	2015	2016	2017	2018	2019	2020
تجارة وتعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية	280	274	375	294	270	532
الإعتداء على الممتلكات جميع أنواع السرقات	2035	2498	2610	2557	2669	2483
الإعتداءات والمشاجرات	2452	2438	2186	2164	2185	2690
الجرائم الاقتصادية و المالية (الإختلاس)	297	228	296	348	259	338
جرائم ضد الأسرة و الآداب العامة	131	117	142	185	159	198
جرائم ضد الشيء العمومي	270	300	61	375	377	505
الجرائم المعلوماتية	22	42	61	89	136	150
المجموع	5487	5897	5731	6012	6055	6896

Activer Windows

المصدر: خلية الإعلام بالأمن الولائي تبسة 2020

الشكل رقم7: أعمدة بيانية تمثل معدل الجريمة خلال الخمس سنوات الأخير

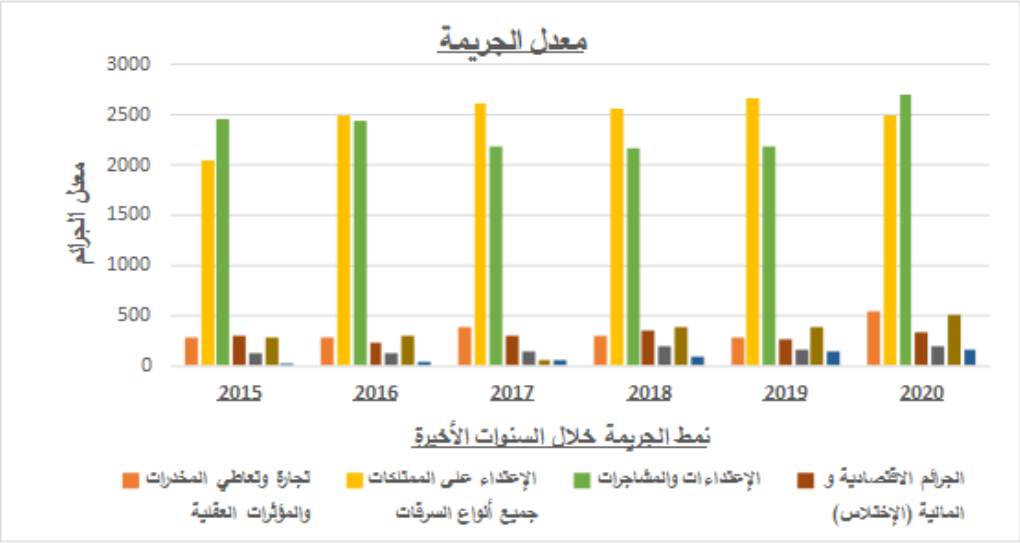

المصدر: إعداد الباحثة /2020

الشكل رقم8: منحنى التغير في معدل الجريمة خلال الخمس سنوات الأخير

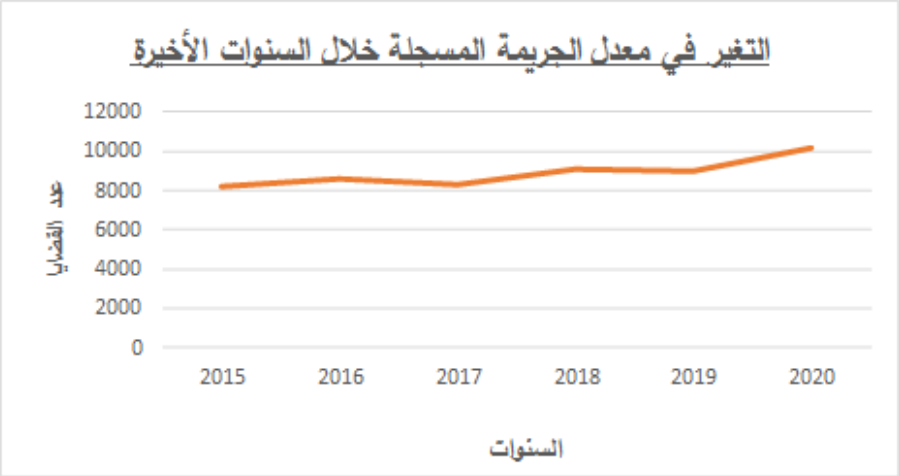

المصدر: إعداد الباحثة /2020

التعليق

من خلال تحليل الجدول 1 والشكل1 يظهر أن عدد القضايا يتزايد خلال السنوات الأخيرة بوتيرة كبيرة، حيث سجلت مصلحة الشرطة القضائية بالأمن المركزي 440 قضية خلال 2015 ليرتفع إلى 928 قضية خلال 2019، وهذا ما يفسر ارتفاع عدد الجرائم في الوسط الحضري، وتفسر هذه الزيادة باتجاه الأفراد نحو السلوك الانحرافي والجريمة مع التطور الحضري الذي يصاحبه التغير في القيم.

كما يبين الجدول أن الجرائم تختلف حسب طبيعتها حيث تحتل الجريمة المعلوماتية المرتبة الأولى في سنة 2019، وتليها في المرتبة الثانية جريمة الإتجار بالمخدرات التي اجتاحت الوسط الحضري من حيث التعاطي والمتاجرة بكل أشكالها، وفي المرتبة الثالثة جريمة السرقة التي تعتبر من الجرائم التي تؤثر على سلامة الأشخاص وممتلكاتهم، أما الجريمة الأخلاقية وجريمة القتل فتقل فيها عدد القضايا.

فلقد ساعد التطور التكنولوجي في ظهور جرائم ابتزاز الأموال والتجسس والتهديد حيث يستخدم المجرم التسجيلات الكهربائية والتلفونية والتقاط الصور بآلات صغيرة الحجم لا يمكن ملاحظتها أو عن طريق الهاتف النقال، خاصة التي تحتوي على مواقف مستهجنة من طرف المجتمع أو مخالفة للقانون، وذلك لغرض ابتزاز الفئات ذات المراكز الحساسة أو ابتزاز المرأة عن طريق تهديدها بعرض صورها أو فيديوهات غير أخلاقية، كما أن مكان الجريمة عادة ما يكون المدينة أين تكون التكنولوجيا أكثر استخداما من طرف الأفراد، لاحظ **فيري** في دراسة أجراها وفق الإحصائيات الجنائية في فرنسا خلال الفترة بين 1826 إلى 1878 أن معدل الإجرام يزداد على نحو مطرد، وأرجع هذه الزيادة إلى التغير

الحضاري والاجتماعي والاقتصادي الذي حدث في فرنسا خلال هذه الفترة، وخرج باستنتاج مفاده أن الظاهرة الإجرامية تحدث نتيجة تفاعل مشترك لعوامل التغير في البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد كالعادات والتقاليد والمعتقدات الدينية والحياة السياسية والاقتصادية (لخضر زرارة، 2014، صفحة 140).

رابعا: العنف الثقافي

يوجد العنف منذ وجد الإنسان على سطح الأرض، فهو إذن ملازم لهذا الوجود، إلا أنه في الوقت الحاضر أصبح من المشكلات التي تهدد كيان المجتمعات، حيث تجتاح العالم موجة عنف شديدة يعم أثرها كلما تقدم الزمن، وينتقل هذا الأثر إلى سلوك الإنسان المعاصر الذي تبدو عليه مظاهر هذا العنف في كل ما يتلقاه في حياته اليومية.

وفي هذه الدراسة إذا ربطنا الثقافة بظاهرة العنف فإننا نكون قد اختلفنا مع الكثيرين ممن يرون أن الثقافة مرتبطة أساسا بالتهذيب والإصلاح، وحيث أن العنف قد أصبح قيمة من قيم المجتمعات المعاصرة والمجتمع الجزائري فإننا نلاحظ بأن العنف كما سبق وأن ذكرنا أضحى قيمة يمارسها أفراد هذا المجتمع ويورثونها لأبنائهم، وحيث أن القيم الاجتماعية هي جزء لا يتجزأ عن الثقافة فإننا حتما سنصل إلى نتيجة هامة مفادها أن العنف قد تحول من ظاهرة منبوذة في المجتمعات إلى ثقافة يكتسبها الأفراد عبر أجيال متلاحقة، حيث أن العنف أصبح **حالة ثقافية**، ويجب أن نقف كثيرا عند هذه النقطة، لأنه هنا تحديدا يكمن الخطر الذي يهدد ويدمر أسس ومكونات المجتمع ونظمه الاجتماعية وغير الاجتماعية، لتحل الفوضى والجريمة والعنف محل الاستقرار المنشود والتنمية المطلوبة.

وفي الحقيقة فإن عالمنا اليوم يعد عنيفا في ممارساته السياسية وفي حلوله للمشكلات القومية ولأشكال الصراع بين الأقليات والأكثريات، وتمتد عوامل العنف لتحيط بالإنسان المعاصر من كل جانب، فضجيج السيارات وما تحدثه من تلوث وضوضاء تثير غضب الإنسان وتجعله عنيفا، وقد شمل العنف أطرا كثيرة من حيث طبيعته ومصدره فنجد العنف اللفظي والعنف الجسدي والعنف الثقافي والقيمي وغيرها.

1. العنف وليد القيم الثقافية

يشير العنف إلى معاني التوتر والانفجار، حيث يساهم في تأجيجها داخل الفرد أو الجماعة عوامل كثيرة أبرزها هذا العالم الحديث المنقسم على نفسه، والذي يعيش فيه الإنسان اليوم، عالم التناقضات الثقافية والاقتصادية والعقائدية، ويعتبر العامل الثقافي من أوضح العوامل المسببة للعنف، حيث تتراكم داخل الطفل عن طريق التنشئة الاجتماعية، ومنها تلقين الطفل بذور العنف سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة خلال تلك المرحلة العمرية التي يكتسب فيها الفرد سمات شخصيته (إبراهيم م.، الأنثربولوجيا مداخل وتطبيقات، 2005، صفحة 383)، أو خلال تلقيه قيم وثقافة مجتمعه التي تحمل صور العنف، فيتولد لديه عدد من الصراعات الداخلية تنتهي بانفجار عنيف.

ومن ناحية أخرى يشير **ميرفي** إلى وجود بعض الحواجز بين جماعة بشرية معينة وجماعة أخرى حتى داخل المجتمع الواحد، وخير مثال على ذلك الصراع الذي وجده بين المدينة والقرية في الهند، والذي كان من الأسباب الأساسية للتوتر والانفجارات الاجتماعية هناك، نتيجة وجود الصراعات بين الأنماط الثقافية في المدينة والتي تختلف عن مثيلتها في القرية (عباس، 2005، صفحة 384).

وقد ينشأ العنف من الاغتراب الثقافي والديني الذي يعيشه الإنسان في الآونة الأخيرة، أو عن إحساسه بالظلم، أو انعدام الذاتية وذوبانها في قيم الجماعة، كما أن هناك قيم أخرى غير ثقافية مثل القيم الاقتصادية التنافسية التي تسهم في تسميم حياة الإنسان الطبيعية بصورة أخرى، وهي صورة التعلق بغايات غير قابلة للتحقيق إلا لقلة قليلة من الناس، وهي قيم الثراء الباذخ الذي يتحول إلى معيار لقيمة الإنسان نفسه بدلا من أن يكون الأمر معكوسا، ويؤكد **فراي Fry وهاجارد Haggred في** هذا الصدد أن الركض وراء هذه القيم بعيدة المنال هو التفسير لكثير من الانهيارات النفسية التي تجتاح الشباب الذي يحاول بناء مستويات طموحه بطريقة مبالغ فيها، وعند الفشل يصاب بخيبة أمل ونقمة تظهر في صور متباينة من السلوك العنيف (عباس، 2005، صفحة 385).

1.1. العنف اللفظي

يقول جون ميلر: "**إذا ما أردنا تحديد العنف في كلمة واحدة، أعتقد أنه يتعين تحديدها فيما يلي: اغتصاب الآخر، اغتصاب شخصيته، وهويته، ولتحقيق ذلك ليس من الضروري استخدام سلاح**

ناري وتوجيه اللطمات، فالكلام وحده يمكن أن يهين الآخر ويعمل بالتالي على اغتصاب شخصيته، اعتقد أن هذا العنف يتناقض مع التوجه الروحي، إنه تناقض جوهري بالنسبة للتطلعات الأكثر عمقاً التي يصبو إليها أي إنسان" (فائزة، 2020).

وبالتالي فالعنف اللفظي يهدف إلى التعدي على حقوق الآخرين بإيذائهم عن طريق الكلام أو الألفاظ الغليظة النابية، وعادة ما يسبق العنف اللفظي العنف البدني أو الجسدي، وقد يعتقد البعض أن التهديدات اللفظية غير عنيفة، لكنها عدوانية بوصفها محاولات لتدمير سمعة الفرد أو تقويض علاقات الأفراد مع غيرهم من بني البشر، فالعنف المرتكب بحق النساء والأطفال يتضمن الإساءة اللفظية والجسدية، لكن واقع تفشي هذا النوع من العنف بات خطيراً، خاصة إذا تم استعماله في الكلام العادي في البيوت وأمام الأطفال، وهو الأمر الذي توقفنا عنده في الشرق الجزائري، عنابة، تبسة، قسنطينة، وغيرها.

2.1. العنف الإعلامي

رغم أهمية وسائل الإعلام باعتبارها أدوات للتنفيس والترفيه والتوجيه والرقابة إلا أنها من وجهة نظر علماء الإجرام وسائل مشبوهة، وهي دائما موضوع شك وإتهام، نظرا لما ينسب إليها من عوامل زيادة الإجرام ونشر ثقافة العنف، فهي بذلك أداة من أدوات الهدم، من خلال عرض أساليب وطرق العنف المختلفة سوآءا المرئية منها أو المقروءة، فالعنف يتجلى في كثير من البرامج، حتى البرامج الترفيهية فهي تحمل بين ثناياها رسائل للعنف، إذا أخذنا مثلا الكاميرا الخفية، فهي رغم أنها برنامج للتسلية إلا أنه يضع الشخص في حالة من الغضب والخوف، مما يحتم عليه استعمال العنف لمواجهة الموقف، أما الدراما والأفلام فهي تعرض العنف بكل صوره، حتى برامج الأطفال والبرامج العائلية التي تعرض بوضوح المشاكل والصراعات وصور الغضب والعنف، مما يجعل المشاهد يتلقى هذه الرسائل الكامنة المقصودة وغير المقصودة فيكتسبها ويخزنها في عقله الباطن، ليتكون عنده رصيد من العنف، يتحول عند انفجاره إلى جريمة (إبراهيم م.، 2005، صفحة 386).

أما الصحافة كمهنة صارت تعتمد أخبار الجريمة والمجرمين بشكل يضمن تسويق صحفهم وتصريفها بين عدد أكبر من الأشخاص، لتكون رافدا من روافد الإجرام، فيقول لمبروزو Lombroso

في ذات السياق: " **لقد تضاعفت هذه المثيرات المرضية والمغريات الشريرة مئات المرات نتيجة للتزايد الضخم في عدد الصحف المجرمة حقا، تلك التي تنغمس أقلامها في أشد قروح المجتمع نتنا وعفنا، وتسعى من أجل كسب حقير إلى بعث الشهوات المرضية من مرقدها، وإلى إثارة أخبث أنواع الفضول لدى الطبقات الدنيا**".

ويعد النشر الصحفي والقنوات الإعلامية من وسائل التعليم الإجرامي وتلقين العنف، بكشفها عن الأساليب والطرق الإجرامية التي أدت إلى إشباع من كانت لديه ميلا للعنف واكتساب خبرة إجرامية جديدة، وتلجأ القنوات الإعلامية إلى انتقاء العناوين المثيرة والمبالغ فيها في وصف الجريمة والمجرمين وأساليب ارتكابها، بل يبالغون حتى في وصفهم للوقائع ويضيفون أخرى من وحي الخيال، حيث تصف حوادث العنف والحوادث الإرهابية بصورة مضخمة مما يجعلها دعما لوجستيا حيويا للعنف والجريمة.

2. من العنف إلى الجريمة

للعنف ثقافة إذا تكررت ممارسته في المجتمع كثيرا ونتج عن ذلك تعود الأفراد عليه، فيتولد اعتقاد لدى الناس بأن العنف طريقة ناجحة لحل المشاكل، ويستقر هذا الاعتقاد ويتحدثوا به في مجالسهم فيتوارثه أبناؤهم، وهنا تكمن الخطورة، وهي أن يتحول العنف من مجرد ممارسة فردية مستهجنة إلى ثقافة ذات مفاهيم متداولة يقتنع بها الأفراد وتتناقلها أجيالهم كأنها قيمة من قيمهم الثقافية (منصور، 2013، صفحة 42)، فيصبح العنف نمطا ثقافيا شأنه شأن الأنماط الأخرى للانحراف الاجتماعي عبر عملية التنشئة الاجتماعية المستمرة من التعليم والتدريب والتأهيل، وعبر نظم ومؤسسات وعلاقات وتفاعلات اجتماعية ثقافية مستمرة، يتم إنتاجها عبر الوحدات، المؤسسات الاجتماعية نفسها، الأسرة وجماعة الرفاق، المؤسسة الدينية، المدرسة والجامعة، الإعلام والاتصال والدولة، ويتم في هذه الثقافة الفرعية أو الكلية تعلم الدوافع والمعاني والتبريرات، كما يتم تعلم العمليات بالمهارات والفنيات وغيرها (ساري، 2014، صفحة 26)، وتأسيسا على ما سبق نجد أنفسنا اليوم نتعامل مع ظاهرة العنف ليس كظاهرة فردية محدودة، وإنما هي إشكالية مجتمعية ثقافية بنيوية متشابكة متبادلة التأثير والتأثر، فعندما نقف على ما يجري في المجتمع الجزائري فإننا نلاحظ أنماطا متعددة من العنف والتعصب والغضب والتوتر من العنف الفردي إلى العنف الجماعي ومن العنف الأسري إلى العنف الشبابي ومن العنف القبلي إلى

العنف المؤسساتي، وأشكالا متباينة الحدة والتأثير، من عنف البيوت ضد المرأة والطفل إلى عنف المدارس والجامعات (التلاميذ والطلبة) ومن عنف الشوارع والطرقات إلى عنف سياسي (شجارات، احتجاجات، وصدامات)، وهذا كله يدل على أنه أصبح عندنا نمطا مميزا للعيش والحياة اسمه العنف، أو بمعنى أصح فإننا نجد أنفسنا يوميا أمام ظاهرة واقعية وهي " **ثقافة العنف**"، هذه الثقافة التي أصبحت اليوم تتغذى من عنف الأفكار والاعتقادات والقيم والممارسات وحتى من عنف اللغة والمعاني والدلالات، ثقافة جمعية ومجتمعية في نفس الوقت، ثقافة مشجعة على العنف ومتسامحة معه (امينة، 2016-2017، صفحة 135)، خاصة إذا كان من يمارس هذا العنف أفراد وجماعات وشرائح اجتماعية شعبية فإننا نكون أمام ثقافة عنف واسعة المجال تستحق الوقوف عندها.

خامسا: عجز البيئة الاجتماعية على تشكيل البنية الثقافية القويمة

تعتبر البيئة الاجتماعية مصدر لبناء شخصية الفرد وسلوكه، وبالتالي فعندما يكون هناك انحراف للسلوك، فلابد من الرجوع إلى البيئة الاجتماعية ودراستها بعمق، حتى يمكن تشخيص مواضع الخلل ضمن هذه الأخيرة، وفهم الأسباب التي تختفي وراء هذا السلوك الانحرافي.

1. التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة

على اعتبار أن الأسرة هي النواة الأساسية للمجتمع والنسخة المصغرة عنه في مخيلة كل فرد، كما تشكل الأرضية الأساسية لتكوين الإنسان، فإنه يتحتم عليها توجيه سلوك أفرادها، كونها الوعاء المملوء بالأفكار والاتجاهات والعادات والقيم والدين والثقافة بأوسع صورها (محمد الجوهري وأخرون ، 1995)، ومن هذا المنطلق أرجع العديد من الباحثين أن ظهور السلوك السيئ عند الطفل راجع إلى فشل عملية هامة في حياته وهي عملية التطبيع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية.

1.1. مساهمة الأسرة في تشكيل السلوك الإجرامي للطفل

التنشئة الاجتماعية خطوة هامة وأساسية، وفي هذا الصدد يرى **تالكوت بارسونز**" أن الوالدين أثناء تفاعلهما مع الطفل لا يقومان بأدوارهما الشخصية، بل يؤديان أدوارا ينظمها المجتمع، كما لا يحكم سلوكهما قيم شخصية، بل يمثلان قيم المجتمع السائدة أثناء تفاعلهما مع الطفل (محمد فاروق العدلي، 1984، صفحة 30).

فقد تصبح الأسرة التي لم تتمكن من انتهاج الأسس القويمة في التربية، والإصلاح للجيل الجديد السبب الأساسي لانحراف الطفل وارتكاب الأفعال الإجرامية (إحسان محمد، 2008، صفحة 164)، كون الطفل لم يتلقى تربية قويمة ولم يأخذ القيم الفاضلة التي توجه سلوكه، والتي تنبثق أساسا من ثقافة المجتمع التي تتكون من القيم الدينية والمجتمعية السوية.

إن الأسرة هي النظام الأساسي في المجتمع الذي يقوم بعملية التنشئة الاجتماعية، فهي تقوم بدور هام في تكوين شخصية الطفل وتحديد المعالم الأساسية لسلوكياته المستقبلية، فلا يجد أمامه مفرا من أن يتشبع وهو لا يزال في مراحل تكوينه البدائية بكل ما تقدمه الأسرة له، وعليه تقع على عاتق الأسرة مسؤولية كبرى في تقرير النماذج السلوكية التي يبدو عليها الطفل في كبره، فلا شك أن شخصية الإنسان وتصوره عن هذا العالم وما يكتسبه من تقاليد وعادات وقيم ومعايير للسلوك إنما هي نتاج لما يتلقاه الطفل في أسرته من يوم ميلاده، ولذا اهتم الباحثون والعلماء بتتبع أسباب الانحراف وعوامله في إطار نمو الشخص، فقاموا بدراسة الشخصية وأبعادها المختلفة، وطريقة المعاملة في الصغر ابتداء من الطفولة المبكرة حتى سن الرشد، وأيضا دراسة العلاقة بين ما يحدث داخل الأسرة من مشاجرات وصراعات وتصدعات وبين انحراف وجنوح الأحداث، فإن كان يسود الأسرة جو صالح نشأ الأولاد على نهج قويم وسلوك رشيد، والعكس إن كان هذا الجو مشبعا بالاعوجاج حيث ينشأ الأطفال المنحرفين أو القابلين للتعرض للانحراف في أي وقت، لذلك فعوامل الانحراف داخل الأسرة كثيرة وعديدة يمكن إرجاعها إلى نوع العلاقات بين الوالدين والطفل أو بين الإخوة والطفل، أو إلى التصدع والتفكك الأسري، وكذا إلى الضغوط الخارجية التي تتعرض لها الأسرة كالضغوط الاقتصادية (بقادة، أثر الوسط الاجتماعي في جنوح الأحداث، 2008، صفحة 22)

2.1. الأسرة الحضرية

الأسرة الحضرية هي الأسرة التي تسكن المدينة واكتسبت أنماطا جديدا من السلوكيات والقيم والعادات، كما أنها تتميز بسرعة تغيرها وتناقص عدد أفرادها وضعف السلطة الأبوية وهي تتكون من الأب والأم والأطفال.

ونتيجة للتغير الاجتماعي الذي يشهده المجتمع الجزائري ودخول عناصر ثقافية غريبة عن عاداته وتقاليده وأعرافه، فإن بناء الأسرة ووظيفتها قد تأثر بهذا التغير وتحول نمط الأسرة التقليدي إلى نمط آخر جديد يسمى بالنمط الحضري الذي يتميز بمجموعة من الخصائص نذكر من:

- الأسرة الحضرية متغيرة، تتصف بقلة عدد أفرادها وضعف السلطة الأبوية، حيث تتكون من الأب والأم والأبناء.

- تتصف الأسرة الحضرية بتنوع نشاطاتها، فلكل فرد فيها نشاطاته وأعماله التي يميل إليها، كما تسود صفة التعاقدية في العلاقات بين الأفراد داخل الأسرة.

- ضعف الروابط الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة، حيث أنه لا يوجد مجال للتعاون.

- كل تعاون بين الأفراد يكون غالبا مبني على أساس المصلحة الفردية التي تطغى بشكل بارز في هذا النوع من الأسر.

- يتميز أفراد الأسرة الحضرية بقدر من التعليم والثقافة، حيث أتيحت لهم فرصة التعليم ومستوى أفضل من التنشئة الاجتماعية يقوم على أساليب وطرق تربوية حديثة، سواء في الأسرة، خاصة إذا كان الوالدين على مستوى تعليمي مقبول، أو في مؤسسات اجتماعية أخرى كالمدارس، دور الحضانة والمعاهد ووسائل الترفيه.

- تعمل الأسرة الحضرية على منح الفرصة للتعليم لكل من الذكر والأنثى، مما نتج عنه دخول البنت إلى النظام التربوي بما فيه التعليم العالي، ومنه أيضا خروجها للعمل الذي سمح لها بتقلد مراكز ومناصب هامة في المجتمع، مع عدم تخليها كليا عن بعض وظائفها التقليدية كالتدبير المنزلي ورعاية الأبناء.

- أصبحت الأسرة الحضرية أكثر تفتحا على العالم الخارجي أو المجتمع، وذلك نتيجة للطابع الاجتماعي للمدينة التي تعتبر مركز الحداثة والتجديد، والانتشار الواسع لأماكن قضاء وقت الفراغ والترفيه الذي يسمح بتكوين علاقات وصداقات مختلفة.

3.1. المقوم الاجتماعي والديني

تحتاج الأسرة إلى **المقوم الاجتماعي** والمتمثل في شبكة من العلاقات الاجتماعية السليمة المبنية على الحب والتعاون والرحمة والتفاهم مع أبنائها، حيث يتضح ذلك في نجاح الحياة الأسرية بانسجام العلاقات والروابط الاجتماعية واستقرار الجو الأسري، فالحياة الأسرية تقوم على أساس احترام متبادل والتوفيق في أداء الأدوار الزوجية من ناحية الإشباع الجنسي والعاطفة والرعاية وعلاقات الصداقة والديمقراطية والمشاركة في السلطة وتقسيم العمل.

وتحتاج الأسرة للاحتفاظ بتكيف الحياة الأسرية واستمرارها إلى الاعتبارات التالية:

- ضرورة المرونة والتكيف مع التغيرات الاجتماعية الحاصلة.
- تكوين شبكة من العلاقات الاجتماعية مع مختلف القوى الاجتماعية الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية (لخضر زرارة، 2014، صفحة 163).
- أن تكون متماشية مع الروابط الفطرية الأساسية لكل من الرجل والمرأة والطفل، ومن هنا تتضح أهمية المرونة والخضوع بين الزوجين في مواجهة المشكلات التي تصادف الحياة الأسرية، والتوفيق بين وجهات النظر المختلفة، وإعطاء حق للأبناء في اتخاذ بعض القرارات التي تخصهم دون إهمال التوجيه والمتابعة والنصح، وتقبل التعامل مع الآخرين والمشاركة في المسؤوليات والواجبات.

أما بالنسبة **للمقوم الديني** فإن القيم الدينية تلعب دورا كبيرا في استقرار الحياة الأسرية، حيث تمثل الرابطة الأساسية والمنهاج الذي يسير عليه الأفراد ويتحكم في تصرفاتهم وسلوكياتهم المختلفة، فكلما كانت الروابط الدينية وثيقة كلما كانت التصرفات وسلوكيات الأفراد متزنة ومتماشية مع العرف والقانون والقيم الدينية، أي أن القيم الدينية توفر لأفراد الأسرة التماسك والتكافل من خلال ما تدعو إليه من التزام بالأخلاق والقيم عند التعامل مع الآخرين أو فيما بينهم.

2. البيئة المدرسية

إن المدرسة مؤسسة تربوية نظامية مسؤولة عن توفير بيئة تربوية، تهدف إلى تنمية شخصية الطفل والمراهق من جميع جوانبه الجسمية والعقلية والنفسية والانفعالية والاجتماعية على نحو متكامل، ومساعدته على الاندماج في مجتمعه الكبير والتكيف معه، وهي حلقة وصل مهمة بين البيت والمجتمع

ومكملة لتربية الأسرة، وعليه فالوسط المدرسي لا يدفع بذاته إلى الانحراف، بل على العكس فإنه يؤدي وظيفة تعليمية وتربوية تحول دون ارتكاب الحدث لأي سلوك انحرافي، مع ذلك فقد لا يروق لبعض الصغار التواجد في المدرسة، فلا يتكيف فيها ولا يتأقلم، مما يدفع به إلى سلوك سبيل الانحراف.

ويرجع انعدام التكيف والتأقلم في المجتمع المدرسي إلى أحد العوامل الثلاثة: إما فشل المدرسة بنظامها الصارم والغير ملائم في تسجيل اندماج التلميذ، أو فشل المدرس في أداء واجبه من خلال أسلوبه الغير مناسب مع التلميذ، أو فشل التلميذ ذاته في الدراسة لأي سبب من الأسباب، حيث تأخذ المدرسة جانبا كبيرا من يوم الطفل ويكون خلالها في حالة تأثر بسلوك رفاقه إما إيجابيا أو سلبيا (لخضر زرارة، 2014، صفحة 162).

وما يثير الخوف اليوم هو محاولة الطفل تقليد سلوكيات غير اجتماعية كالكلام البذيء والتنمر والعنف وتعاطي المخدرات والمتاجرة فيها، ويخطو بذلك خطوات كبيرة نحو سلوك طريق الانحراف والجريمة، "وربط **Shaw and Mckay نظرية الانتقال الاجتماعي** إلى أن أسباب الجريمة تعزى إلى انتقال القيم الإجرامية بالمخالطة مع المجرمين في البيئة، فيما وصف Mathew مجموعات ما يسمى Rookreries في مدينة لندن بأنهم أطفال ولدو وتربو على العمل الإجرامي، الذي انتقل إليهم عبر الزمان والمكان، كما استند ساذرلاند في نظريته عن المخالطة التفاضلية على فكرة السلوك الإجرامي كونه سلوك مكتسب للقيم والوسائل عن طريق مخالطة المجرمين (هربرت ديفيد، 2001، صفحة 39).

وتؤدي جماعة الرفاق دورا بارزا في التأثير على أعضائها بسبب أنها تنشأ في مرحلة حاسمة من النمو الاجتماعي لشخصية الطفل، أين يكون الطفل يبحث عن ذاته خارج الأسرة، فتكون بذلك جماعة الرفاق البديل المناسب لاحتضان الطفل وتمكينه من إرادته وحريته، وقد أثبتت الدراسات أن سلوك الفرد يتأثر بشكل كبير بسلوك أقرانه في الجماعة حتى أن رأي الطفل يرتبط بالوضعية الاجتماعية لمحيط جماعة الرفاق، وأن تأثير جماعة الرفاق لا يقتصر على مرحلة الطفولة فحسب، وإنما يستمر معه في مختلف مراحل حياته.

سادسا: دور الإعلام في تغذية السلوك الإجرامي

عالم اليوم تلاشت فيه الحدود والمسافات، وأصبح لكل حدث معاصر انعكاسات مباشرة على العالم أجمع، بحيث أصبح تطور الأمم اليوم مرهونا بقدرتها على تصور المستقبل والإعداد والتخطيط له، وقد دفعت التطورات العلمية والمعرفية والتكنولوجية التي شهدها القرن الماضي الإنسان إلى التخلي تدريجيًا عن محليته، وازدياد إحساسه بأنه جزء من عالم أعم وأشمل من عالمه الخاص، كما أصبحت وسائل الاتصال بكافة أشكالها المقروءة والمسموعة والمرئية إحدى أهم مكونات الاتجاهات والقيم، وما ضاعف من أهميتها ودورها في تشكيل وقولبة الشخصية لدى فئة الأطفال بشكل خاص والفئات الأخرى بشكل عام، إما سلبًا أو إيجابًا مضمونها ورسائلها المقدمة للناشئة، والذي لا يراعي في كثير من الأحيان المعايير الأخلاقية السائدة، مما يُؤدي بالتالي إلى إحداث خلل في القيم الاجتماعية، والسياسية، والدينية ... إلخ، وتكون نتيجتها حالة من الصراع والإحباط والحيرة.

والمشكلة الأساسية والقائمة حاليا تتمثل في الصراع القوي والدائم بين المبادئ والقيم وبين تلك الدخيلة عليها، والتي تكاد يزعزع قيم الناس وما يحملونه من مصداقية المبادئ، وهذا من خلال ما تقدمه وسائل الإعلام في الوقت الحاضر، وتساهم به بشكل واضح في زيادة السلوك الإجرامي لدى الفرد، مثل الأفلام والمسلسلات التي يدور فحواها حول جرائم القتل والسرقة والاغتصاب وغيرها من الجرائم العنيفة وكذلك الألعاب الإلكترونية التي يشارك من خلالها المتلقي في عملية السطو أو القتل أو أي سلوك انحرافي، لأن المحتوى الإعلامي دائما يملك قوة تأثيرية، فهو يسيطر على الكثير من المنافذ تحت شعار العولمة، والتي عبرها يتسلل إلى مشاعر وأحاسيس الناس، فيعبث فيها كيف ما شاء و يقودها حينما أراد، مستغلا جهل الناس بحقيقة الأمور وانبهارهم بالحضارة الغربية.

إن هذه الموجة العالية والمتسارعة من انتشار قيم العولمة أدت إلى اختراق قيمي في المجتمع العربي خصوصا والمجتمعات الأخرى عموما، فثمة من يدعوا إلى الأخذ بها جملة وتفصيلا، باعتبار أن ما يحصل هو نتاج إنساني متقدم لا يصح معه الحديث عن خصوصيات تؤدي إلى العزلة والتهميش، كما أن هناك من يدعو إلى ردع هذه الموجة التي ينتج عنها سلوكا إجراميا في غالب الأحيان.

ويعتبر **أدين سيذلاند** أن السلوك الإجرامي هو سلوك إنساني يشترك في الكثير مع السلوك غير الإجرامي، كما يرى أن الفرد يكتسب السلوك الإجرامي ويتعلمه من اتصاله بغيره واحتكاكه المباشر بالآخرين (إبراهيم، 2005)، وهذا دليل على أن هذا السلوك الإجرامي هو نتاج علاقات الاحتكاك المختلفة عبر وسائل الاتصال التي تخترق حياة الأفراد وتأخذ جزءا من ممارساتهم اليومية، وبالمقابل ثمة من يدعو أصلا إلى عدم التفاعل مع هذا النمط من القيم المعولمة إلا من خلال العودة إلى الخصوصية الثقافية للمجتمع .

1. التربية الإعلامية

التربية الإعلامية أو التعليم الإعلامي Education Media أو "التربية الإتصالية Communication أو التوعية الإعلامية Awareness Media أو الثقافية – Media Culture كلها مصطلحات اختلف الباحثون في تحديد مفهومها، ويقصد بها تعلم وسائل الإعلام وأساليبها من أجل توظيفها في المجال التربوى، أي بمعنى التثقيف الإعلامي سواء للطالب أو الأساتذة أو الأسرة والمجتمع بشكل عام، بحيث يكون كل فرد من هؤلاء قادراً على التعامل مع وسائل الإعلام بأسلوب واعى يمكنه من انتقاء الجيد من الرديء، وهي أيضا إعداد الإعلاميين لأداء العملية التربوية، إذ لا يكفي أن يتقن الإعلاميون العمل الإعلامي، دون أن تتسق مع قيم وأهداف المجتمع وتحقيق المشاركة بينهم وبين التربويين، لا سيما في هذا الوقت الذي بدأت فيه الانحرافات الفكرية داخليا وخارجياً وما نجم عنها من اضطرابات تحاول أن تخل بوظائف المؤسسات الإعلامية والتربوية في تأمين حاجات الأفراد، مثل الحاجة إلى الأمن الاجتماعي والحاجة إلى سلوك تربوي رشيد والحاجة إل إعلام متوازن (ناصر، 2016).

2. دور الأسرة والمدرسة في تربية الطفل إعلاميا

تصبح الأسرة مسؤولة عن انحراف الطفل عندما تعجز عن حمايته من أثر العوامل الدخيلة وما يفرزه الإعلام الغير الهادف، لذلك حري بالأسرة أن تتعلم كيف تتعامل مع هذا السيل من العولمة وتنظيم توجه الطفل نحو وسائل الإعلام، وهذا من خلال تلقيها لتربية إعلامية من طرف مجهودات تقوم بها

جهات مختصة بالأسرة، كالجمعيات والمساجد ودور الثقافة وغيرها، من أجل إنشاء أسرة على دراية كاملة بما يتلقاه الطفل وكيفية التعامل معه من الناحية التربوية والنفسية.

وحتى تكون المدرسة مكان لتنشئة اجتماعية صالحة لا يتوقف دورها على التعليم بل تضيف على ذلك تربية الطفل إعلاميا حتى ينفتح على الإعلام الهادف والمفيد، والذي يتجنب من خلاله كل ما هو مسيء لسلوكه ومستقبله، وذلك من خلال تعميم إدخال التكنولوجيات الحديثة للإعلام والتواصل في المنظومة التربوية، إضافة إلى إقرار مادة للتربية الإعلامية في المناهج الدراسية، لا تعنى بتعليم تكنولوجيات الإعلام والاتصال، بل لتحليل المواد الإعلامية، فتكون بمثابة مخبر يسلط الضوء على مواد إعلامية متنوعة تتناسب مع المستوى الدراسي وعمر المتعلم المتلقي، كالأخبار، الرسوم المتحركة، الفيديوهات، المدونات وغيره.

خلاصة الفصل الرابع

يشكل كل من التغير والتطور ميزة أساسية لمجتمع اليوم، بل إن التغير فيه يطال قيمه الأخلاقية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وهذا التغير أنتجته تفاعلات وعمليات مختلفة من جراء التحضر والانفتاح على العالم، والواقع أن التغير هو نتيجة طبيعية تمس البناء الاجتماعي في مكوناته ووظيفته، وما يهمنا في هذه الدراسة هو تحور هذا التغير ليصبح أداة لخلق قيم جديدة، تؤثر على سلوك الأفراد أولا ثم الجماعة ثانيا لتصل إلى المجتمع ككل، وتكون سببا واضحا لتوجهه نحو طريق الجريمة والانحراف، كما حاولنا ضمن هذا الفصل التركيز على بعض الأسباب التي تعمل على تغير القيم ومحاولة فهم طرق الحماية وإعادة ترسيخ القيم الجديدة.

النتائج

لقد تم التوصل خلال هذا الفصل إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها كالآتي:

- يشهد الفضاء المديني في السنوات الأخيرة ارتفاعا في الجريمة نظرا لانخفاض الروابط الاجتماعية والتغير في القيم.
- إن للتغير القيمي دورا هاما في ارتكاب الفرد للجريمة واتجاهه نحو الانحراف، نظرا لانخفاض الضوابط الاجتماعية والدينية والأخلاقية.
- سيادة القيم المادية على القيم المركزية والانسلاخ عن الجماعة، والتحرر والفردانية يورث الفرد التمرد والضياع وكسر الروابط الاجتماعية الذي يؤدي إلى الانحراف والجريمة.
- تغير القيم الاستهلاكية ناتج عن اكتساب المجتمع ثقافة استهلاكية جديدة ناتجة عن التحضر والعولمة والانفتاح على العالم، مما أكسب الفرد الرغبة في امتلاك الماديات بما فيها الكماليات، مستخدما بذلك جميع الطرق المشروعة وغير المشروعة كالسرقة والإتجار بالمخدرات والجرائم المعلوماتية.
- الاختراق القيمي ناتج عن العولمة والانفتاح على العالم من خلال وسائل الاتصال المختلفة، التي تلاشت من خلالها الخصوصية الثقافية، واكتساب قيم جديدة عالمية أكثر منها محلية، تجعل الفرد داخل العزلة والتهميش والاغتراب عن المجتمع المحلي، ثم الانحراف كنتيجة لذلك.

- من أهم العوامل التي تدفع بالفرد إلى سلوكيات دخيلة عن المجتمع هو التقليد الأعمى، ومحاكات الغير، وضياع القيم الأخلاقية والدينية والمجتمعية، وكنتيجة لهذا التغير يمارس الفرد سلوكا انحرافيا مقلدا في ذلك ما شاهده وتأثر به، كتعاطي المخدرات والعلاقات الجنسية والجرائم الإلكترونية.
- عندما يصبح الدين مجرد طقوس فارغة من أي محتوى أخلاقي، يتجه الفرد إلى كسر الروابط الاجتماعية، والانحراف والجريمة.
- يعتبر النمو الحضري من أسباب الصراع القيمي، داخل الوسط الحضري.
- يحدث التحضر فتورا في العلاقات الاجتماعية، من خلال كسر الروابط بين الفرد ومجتمعه، مما يولد حالة من الفردانية والتحرر من القيود المجتمعية، مما يجعل الفرد يتجه نحو سلوكيات بعيدة عن قيم المجتمع وتعاليم الدين.

الفصل الخامس

الدراســة الميدانيـــــة

أولا: عينة الدراسة الاستطلاعية الميدانية

عادةً ما يختار **الباحث العلمي** عينة من أصحاب الخبرة العلمية، أو المهتمين بالموضوع من أجل تحديد جوانب الموضوع ورسم خطة مبدئية، وفي دراستنا الاستطلاعية توجهنا إلى مديرية أمن ولاية تبسة كونها مصدر موثوق، يمكن التزود من خلاله بالمعلومات والإحصائيات بالاستعانة بالمقابلات التالية:

1. مقابلة مع رئيس خلية الاتصال والعلاقات العامة بأمن ولاية تبسة السيد (أ_ح) في 4 ديسمبر 2020، الملحق رقم 2

ومن نتائج هذه المقابلة:

- معظم القضايا في السنوات الأخيرة إضافة إلى جريمة المخدرات كانت ضد الممتلكات خاصة السرقة مع تسجيل جرائم ضد الأشخاص.
- الفئات العمرية التي سجلت أكثر القضايا من فئة الشباب ثم القصر كفئة تشارك بالجريمة خاصة في الأحياء الفقيرة.
- سجلت مصالح الأمن ارتفاع في الجرائم الإلكترونية في السنوات الأخيرة.
- هناك أحياء حددت كنقاط سوداء حسب الظروف البيئية والاجتماعية والثقافية والطابع السكني الخاص بها.
- تنقسم التركيبة البشرية في مدينة تبسة حسب الانتماء القبلي للمجموعة.
- اعتماد أسلوب العصابات خاصة في الأحياء الهامشية التي تكثر فيها الجريمة.
- تتميز العلاقات بين الأحياء التي تتفشى فيها نسبة من الجريمة بالعداوة والمنافسة وأحيانا بالتنسيق والتعاون وتبادل المعلومات.
- من الأسلحة التي تستخدم في العمليات الإجرامية في مدينة تبسة:
  - الأسلحة غير المرخصة
  - أسلحة الصيد
  - الأسلحة البيضاء مثل السكين والسيف

- تعتمد مصالح الأمن لمعرفة الجريمة في الأحياء على العمل الاستعلاماتي.

- تتميز منطقة تبسة بالعروشية أي العصبية القبلية، وهذا ما يجعل الجرائم تأخذ عادة الطابع العروشي في ارتكابها أو في حل النزاعات حولها.

- تنقسم مدينة تبسة إلى أحياء، وكل حي يتميز بثقافة معينة تتعلق بالطابع القبلي والتركيبة البشرية.

- طابع الجريمة يختلف حسب العروش في مدينة تبسة.

2. مقابلة مع رئيس خلية التحليل الجنائي والعملياتي

السيد (ي، بو)، يوم 2020/12/8

ومن نتائج هذه المقابلة ما يلي:

- تنقسم مدينة تبسة إلى قطاعات وكل قطاع يتكون من مجموعة من الأحياء.
- يتميز كل حي من أحياء تبسة بخصائص طبيعية وثقافية وإيكولوجية واجتماعية
- كل منطقة تختص بجرائم تختلف عن منطقة أخرى، وذلك حسب خصائص كل منطقة، وهذا ما تطرقنا له في الجانب الميداني للدراسة.

- أكثر الأحياء التي تتفشى فيها الجريمة هي الأحياء الفقيرة، والتي تتميز بخصاص أيكولوجية تصعّب عمليات التدخل من طرف رجال الأمن، خاصة منها صعوبة التضاريس فيها وضيق الأزقة.

- هناك جرائم تفشت في السنوات الأخيرة بنسبة عالية مثل جرائم المخدرات من خلال ترويجها وانتشار تعاطي الأقراص المهلوسة والمؤثرات العقلية لسهولة حملها وانخفاض سعرها.

- انتشار ظاهرة استهلاك المخدرات من طرف فئة الأطفال.
- استعمال الأطفال في ترويج المخدرات داخل المدارس.

3. مقابلة مع رئيس خلية الاتصال والعلاقات العامة بأمن ولاية تبسة

السيد (ال_ح)، يوم 3 مارس 2021

من نتائج هذه المقابلة:

- تشارك المرأة بنسبة معتبرة في الجريمة مثلها مثل الرجل كونها تخضع لنفس الخصائص الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للمنطقة.

- تتورط المرأة في جريمة الدعارة وجريمة الفساد الإداري وجريمة التهريب وجرائم أخرى مثل القتل والسرقة.

- كثيرا ما تتورط المرأة في جرائم الشرف، كطرف غير ظاهر بحكم ثقافة المجتمع.

- النساء اللواتي يرتكبن الجرائم هن من الفئة العمرية بين 18 سنة إلى 50 سنة.

-المرأة يمكن أن تكون شريكة للجريمة داخل عصابة ويمكن أن تكون بمفردها حسب طبيعة الجريمة.

- معظم النساء اللواتي يرتكبن الجريمة يكون ذلك بدافع شخصي كالخيانة الزوجية أو بدافع مادي كالتهريب.

-عادة ما تكون النساء المرتكبات للجرائم أكثرا تحررا وتمردا على ثقافة المجتمع.

4. مقابلة مع محافظ أمن ولاية تبسة

من نتائج هذه المقابلة:

- تعتبر مدينة تبسة منطقة حدودية لها خصائص اجتماعية وثقافية وطبيعية واقتصادية.

- تتميز أحياء مدينة تبسة التي تشهد تفشيا للجريمة بالكثافة السكانية والمساكن الفوضوية والافتقاد للمرافق الأساسية الصحية والاجتماعية والثقافية.

- تنتشر ممارسات ثقافية تهدد الحرية والأمن وتتسبب بالإزعاج للسكان مثل استعمال السلاح الناري في المناسبات.

- يمكن أن ترتكب جرائم خلال ممارسة بعض التقاليد النابعة من ثقافة المجتمع التبسي، مثل جرائم القتل الخطأ بالسلاح أثناء المناسبات، وكذلك حوادث المرور في محافل الأفراح

- هناك جرائم تتعلق بالقيم الثقافية للمجتمع مثل الجرائم المتعلقة بالشرف.
- جرائم الشرف تتعلق بالمرأة والأرض والملكية العقارية.

عملية تحليل النتائج على ضوء الدراسة الإستطلاعية

سمحت لنا الدراسة الإستطلاعية بالإحاطة بجوانب الموضوع وبناء الفصول على ضوء النتائج، من خلال فهم مكونات الفضاء المديني وربطه بعلاقة مع السلوك الإجرام.

ثانيا: مجتمع البحث

لغرض رسم الحدود المكانية التي يتعامل معها الباحث في سياسات وأهداف بحثه لابد له من إختيار مجتمع البحث الذي هو بصدد دراسته،

وفي دراستنا الميدانية ركزنا على الفرد الذي يقطن مدينة تبسة لكونه فاعل يتأثر ويؤثر في هذا الفضاء المادي واللامادي.

ثالثا: منهجية الدراسة

تمت الاستعانة بتقنية تحليل الخطاب باعتبارها الأداة المناسبة لطبيعة الأسئلة المصوغة في دليل المقابلة، والتي تجمع بين أسئلة أغلبها مفتوحة وأخرى مغلقة، كما تم الاعتماد على هذه التقنية للكشف عن المواقف والاتجاهات والأراء والمعتقدات والتصورات ومنظومة التمثل للمبحوثين، وللوصول إلى هذا الهدف فقد تم إجراء دراسة ميدانية على عينة من مبحوثين يتوزعون على أحياء مدينة تبسة، وكل مبحوث ينتمي إلى عرش معين وارتكب جريمة في فترة من حياته.

رابعا: أداة البحث

تم الإعتماد في جمع المعطيات الميدانية على دليل المقابلة بإعتبارها أنسب التقنيات للكشف عن حقائق لا يمكن الوصول إليها من خلال الإستمارة، فهو يسمح للباحث بملاحظة ردود أفعال المبحوثين بإستمرار، وتدوين المفردات ورصد الإنفعالات وتوظيفها في عملية التحليل، وللوصول إلى حقيقة أراء المبحوثين فقد تم تقسيم دليل المقابلة إلى محاور:

المحور الأول: بيانات أولية

المحور الثاني: الخصائص السوسيو ثقافية

المحور الثالث: أنماط الجرائم الخاصة بكل حي

المحور الرابع: الخصائص السوسيو ثقافية وعلاقتها بإنتاج السلوك الإجرامي

خامسا: العينة

أمام استحالة إجراء المسح الشامل لجميع مفردات المجتمع واستجواب جميع الفاعلين فيه، أصبحت البحوث المعاصرة تعتمد طريقة العينة كممارسة منهجية تسهل على الباحث إجراء بحثه، مع ضرورة استيفاء العينة لنفس خصاص المجتمع المراد دراسته، وفي بحثنا اخترنا مفردات من مرتكبي الجرائم من مدينة تبسة حسب العينة غير الاحتمالية (غير العشوائية)

حيث إخترنا في البداية مفردات العينة حسب عينة كرة الثلج وهذه العينة تطبق عندما نواجه صعوبة في تحديد أعضاء المجتمع المرغوب دراسته، فنبدأ بعينة صغيرة ميسرة ثم تبدأ بالتوسع، كاختيار المستجيب الأول بإحدى الطرق الاحتمالية، ثم يتم اختيار المستجيب الثاني على ضوء المعلومات التي يقدمها المستجيب الأول، ولتحديد خطوات اختيار العينة نتبع ما يلي:

- الاتصال بواحد أو اثنين من حالات المجتمع المرغوب دراسته .
- سؤال هؤلاء لتحديد حالات أخرى يمكن الرجوع إليها لتوفر المعلومات لديها.
- سؤال الحالات الجديدة لتحديد حالات أخرى جديدة وهكذا .
- التوقف عندما لا نستطيع الوصول الى حالات جديدة أو الوصول الى حجم عينة مقبول، أو ما يسمى بدرجة الإشباع.
- بعد ذلك أصبحت العينة قصدية عندما اخترنا المفردات ذات الأحياء المختلفة وطبيعة العرش ونمط الجريمة حتى نحيط بجوانب الموضوع.

سادسا: تحليل المقابلات

<u>تم بناء المقابلة على ضوء التساؤلات الفرعية التالية</u>

- ✓ ما هي الخصائص السوسيوثقافية لسكان أحياء المدينة؟

- ✓ ماهي أنماط الجرائم الخاصة بكل حي؟
- ✓ كيف تساهم الخصائص السوسيوثقافية للفضاء في إنتاج السلوك الإجرامي؟

1. تحليل المقابلة حسب السؤال الفرعي الأول: ماهي الخصائص السوسيو ثقافية للمجرمين؟

1.1. الانتماء القبلي (السؤال ما هو اسم العرش الذي تنتمي إليه)

ما يميز المبحوثين هو معرفتهم بانتمائهم القبلي حيث كل مبحوث لا يستغرق وقتا في الإجابة عن العرش الذي ينتمي إليه، وتكون إجابته بكل ثقة حيث تنوعت إجابات المبحوثين حسب الحي الذي ينتمون إليه وقليلا ما نجد مبحوثين من نفس الحي يختلفون في انتمائهم لنفس العرش، وهذا راجع إلى العلاقة القائمة بين الجماعات وطريقة نزوحهم وانتقالهم إلى المدينة ليعيدوا التمركز القبلي المكاني والزماني.

2.1. التعصب العنصري (سؤال ماهي الخصائص التي يتميز بها عرشك)

تمحورت إجابة المبحوثين حول مجموعة من المفردات نسبوها إلى عرشهم، لتجسد قيم خاصة تشبعت بها الأفراد كتعبير على الانتماء والإعجاب بالعرش الذي ينتمون إليه، في محاولة لنسب القيم السامية لعرشه كنوع من التعبير عن الإعجاب والولاء للقبيلة وأهم القيم التي نسبوها المبحوثين إلى عرشهم ما يلي:

الرجولة، الشرف، الشجاعة، القوة، التكافل الاجتماعي، التعاون، النيف، الولي الصالح، فالإنسان يرى في قبيلته أو جماعته ذلك الكيان الذي يمثل بالنسبة له قيمته ووجوده، ويزداد تعلقه بهذه الجماعة حينما تتعرض للعدوان، لأن مشاعر الانتماء حينئذ تكون في الذروة، لكن هذا الشعور قد يتحول بدافع هذه العاطفة إلى التعالي والفوقية وازدراء الأخرين، مما يسبب نزاعات تأخذ منحى العنف والعصبية القبلية، عادة ما تعتمد الثأر منهجا للدفاع عن الكيان الذي يحس الفرد في كنفها بالاطمئنان وأعلى درجات الأمان.

3.1. الحضور المعنوي للذات الجماعية (المجرم مقبول داخل الجماعة ومرفوض داخل المجتمع)

تمحورت إجابات المبحوثين حول كونهم يرضون الجماعة حتى على حساب إرضاء المجتمع، ونقصد بالجماعة، جماعة الرفاق أو جماعة العرش أو العصابة، أو الأقارب، كون قيم الجماعة تتغلب على قيم المجتمع، وهذا يرجع إلى ذوبان الأفراد داخل جماعتهم والتي يحسون فيها بالاشتراك في الخصائص السوسيوثقافية ويخضعون لنفس الظروف، كما يحس المجرم داخل الجماعة بالدعم المعنوي والرضا، كما يتلقى منهم الأعذار لما ارتكبه كونه على حق، فالجماعة هي التي تفهمه لأنها تخضع لنفس الضغوط سواء مادية أو معنويه، كونها تملك ثقافة فرعية غير ثقافة المجتمع.

4.1. الإخفاق في صون الشرف

من أسباب الجريمة هو الشرف الذي يعتبر الدفاع عنه مبررا لارتكاب الجريمة، فمعظم إجابات المبحوثين الذين ارتكبوا الجرائم دفاعا عن الشرف هو فالحقيقة إخفاق في صونه ولكن كردة فعل ونتيجة لهذا الإخفاق يلجأ الفرد إلى الانتقام لشرفه كتعويض لهذا الإخفاق، فعادة جريمة الشرف ترتكب بعد فقدان الشرف، والشرف المقصود هو الأرض والعرض والمرأة والمنزل والأملاك الخاصة، فجريمة قتل بعد اكتشاف الخيانة فهي قبل ذلك إخفاق في المحافظة على الشرف لذلك تم انتهاكه، وكردة فعل لحظة غضب، وعدم الاعتراف بفشل دور المنظومة القيمية فيقبل الشخص إلى ارتكاب جريمته لإعادة بناء هذه القيمة المنتهكة.

5.1. انهيار شبكة القيم والمعايير

يظهر على المبحوثين التخلي عن بعض القيم المجتمعية السائدة، كقيمة الصدق واحترام الغير، وعدم القدرة على التواصل والحوار، وغياب التوازن النفسي في بعض المواقف في محاولة للتملص من الإجابة أو خلق أعذار لتبرير سلوكه الإجرامي، فكلام المبحوث الغير منظم والغير أخلاقي أحيانا، والذي يظهر من خلال أسلوبه المتهكم والذي يحاول فيه مهاجمة الظروف و

المجتمع وإعطاء الأعذار لسلوكه الإجرامي كمؤشر واضح لغياب القيم المجتمعية عند شخص المجرم، وفقدان المعايير من خلال لجوء الفرد إلى استخدام أساليب غير مشروعة وغير موافق عليها اجتماعيا لتحقيق أهدافه.

2. تحليل المقابلة حسب السؤال الثاني: ماهي أنماط الجرائم الخاصة بكل حي؟

جدول رقم21: يوضح إجابات المبحوثين حول طبيعة الجريمة المرتكبة

المبحوثين	الحي الذي يسكنه المبحوث	العرش الذي ينتمي إليه المبحوث	طبيعة الجريمة المرتكبة	سبب الجريمة
1	الجرف	ولاد الشامخ (النمامشة)	قتل أثناء شجار وحدوث صلح بين القبيلتين ولكن مات الضحية بعد أسبوع بسبب نزيف داخلي.	الشرف
2	ذراع الإمام	ولاد الشامخ	المتاجرة بالمخدرات	الحاجة والمخالطة داخل الحي
3	الزاوية	ولاد دراج	الاعتداء باستعمال السلاح الأبيض	شجار داخل الحي بتدخل مجموعة من الأشخاص والسبب الحمية.
4	حي البساتين	ولاد عبيد	سرقة محل	الحاجة ورفاق السوء

5	حي فاطمة الزهراء	ولاد دراج	الدعارة	الأم تملك بيت دعارة
6	لارموط	ولاد يحي	الاعتداء بسلاح أبيض	الشرف
7	الجرف	ولاد حراث فرقة تنتمي لعرش النمامشة	سرقة منزل والاعتداء على صاحبه باستعمال السلاح.	الانتقام
8	حي الوئام	ولاد يحي	الدعارة	الحاجة
9	حي أول نوفمبر	ولاد دراج	القتل باستعمال السيف.	الدفاع عن النفس
10	حي جديات مسعود	ولاد يحي	السرقة	الحاجة والانتماء إلى عصابة
11	حي جديات مسعود	ولاد عبيد	التهريب	عمل تمارسه الجماعة القرابية لقربها منذ القدم بالحدود التونسية وانتمائها تاريخيا
13	الوئام	ولاد يحي	جريمة إلكترونية (نشر صور صديقتها على مواقع التواصل الاجتماعي وانتحال شخصية	الانتقام

			في حساب وهمي على الفايسبوك)	
14	الوئام	ولاد دراج	شجار تسبب في ضرر جسدي للضحية	الدفاع عن النفس
15	الجرف	ولاد موسى فرقة تنتمي لعرش النمامشة	السطو على محل في نفس الحي	عصابة تمتهن سرقة المحلات والمنازل؟
16	ذراع الإمام	ولاد الشامخ فرقة تنتمي لعرش النمامشة	الاعتداء على شاب بالضرب والتسبب في الشجار بين عدة أشخاص من نفس الحي واستعمال بندقية صيد دون إطلاق.	تحرش بفتاة تنتمي إلى حي ذراع الإمام وتدخل الجيران ليسوء الأمر إلى حمل أخوة الفتاة السلاح الناري (بندقية صيد).
17	طريق قسنطينة	ولاد خليفة فرقة تنتمي لعرش النمامشة	التهديد ببندقية صيد أثناء عرس وشجار بين الحاضرين وتدخل الشرطة، دون ضحايا.	الدفاع عن الشرف
18	حي لارموط	ولاد يحي	الاعتداء بسكين	شجار داخل محل
19	حي الزيتون	المغارسة فرقة تنتمي إلى عرش ولاد يحي	شجار بين مجموعة من الأشخاص تسبب بخسائر مادية	الشرف
20	حي الوئام	ولاد عبيد	المتاجرة بالمخدرات	الحاجة

التعليق

تتباين أنماط الجريمة باختلاف طبيعة العرش والحي الذي ينتمي إليه مرتكبها من خلال النقاط التالية:

1.2. العرش الثوري يستعمل البندقية

يختلف ارتكاب الجريمة من عرش إلى أخر حسب الأداة التي يتم استعمالها، حيث يرجع هذا الاختلاف إلى تاريخ كل عرش، فمشاركة هذا العرش في المعارك وحمله السلاح خلال غاراته ومعاركه ورحلات الصيد جعلته يستعمله في الدفاع عن النفس وفي الهجوم وحتى ارتكاب الجرائم، فعادة ما يستعمل عرش النمامشة البندقية في مناسباته الاحتفالية ولحظة غضبه على عكس عرش آخر فقد يحمل السلاح الأبيض مثل السكين والسيف في الدفاع عن نفسه أو الهجوم أو ارتكابه للجريمة.

2.2. قيمة الشرف لا ترتبط بالانتماء القبلي

بالنظر إلى جريمة الشرف وتباين عروش مرتكبيها فإن قيمة الشرف ثابتة عند المجتمع التبسي، وهذا واضح في اختلاف الانتماء القبلي لكل مبحوث ممن ارتكبوا جريمة الشرف مع اختلاف أداة هذه الجريمة وظروفها.

3.2. النشاط المعاشي للعرش وارتباطه بالجريمة

رغم تنوع الجرائم في مدينة تبسة إلا أن بعضها تقتصر على عرش دون آخر حسب الحالة الاقتصادية لهذا العرش، فعادة العروش التي كانت تمارس في الماضي الفلاحة والزراعة والرعي وتمتلك الأراضي الزراعية فهي بعيدة عن جريمة السرقة والسطو، لكونها تحقق الاكتفاء المادي لمزاولة هذا النشاط داخل الفضاء المديني أو الانتفاع من العقار الفلاحي مثل قبيلتي النمامشة وولاد يحي.

في حين العروش التي تعيش قريبة من الحدود التونسية فهي تمارس جريمة التهريب منذ القدم، ويعود هذا إلى تاريخها وانتمائها.

4.2. جرائم لا ترتبط بالعروش

جريمة المخدرات عادة ما يتنوع مرتكبوها في الانتماء وكذلك الحي وطبيعة المسكن، فانتشار تعاطي المخدرات والمتاجرة فيها يعود لمرض اجتماعي تفشى بين الشباب والأطفال خاصة، من أجل الربح السريع وتلبية الحاجيات بأقصر الطرق، في غياب الوازع القيمي والديني وسيطرة الظروف المادية والمخالطة والتقليد للغرب.

كذلك الجريمة الإلكترونية هي جريمة مستحدثة نتيجة للانفتاح والعولمة والاستعمال السيء لمواقع التواصل الاجتماعي.

أيضا جريمة الدعارة تقتصر على أحياء دون أخرى، فالأحياء الاجتماعية الغير متجانسة في التركيبة البشرية عادة ما تنتشر فيها مثل هذه الممارسات، لغياب الضبط الاجتماعي، فالمبحوثات يمتهن هذه المهنة بعيدا عن انتماءهن القبلي وحتى الأسري أحيانا، فمعظمهن يتخلين عن القيم المجتمعية ثم الأخلاقية من أجل التملص من الضوابط المجتمعية، كما أن الأهل عادة ما يتبرؤون منهن خوفا من العار والفضيحة، فنجد معظمهن هاربات من المنزل ويمارسن الدعارة خفية عن الأقارب والأسرة.

3. تحليل المقابلات حسب السؤال الثالث: ماهي علاقة الخصائص السوسيو ثقافية بأنماط الجرائم في كل حي

1.3. الجريمة سلوك مقبول في تصور المبحوث

ما يلفت الانتباه أن أغلب إجابات المبحوثين بنعم حول إمكانية إعادة نفس الجريمة في نفس الظروف، حيث لم يظهر المبحوثين أي شعور بالندم بعد قيامهم بالجريمة كونها جزء من شخصيتهم وإثبات لكيانهم وقيمتهم داخل الجماعة بالدرجة الأولى والمجتمع بالدرجة الثانية، فالانسياق وراء إرضاء المجتمع وتنفيذ ما تمليه قيمه ومعتقداته وتصوراته يذيب شخصية الفرد داخله، ليلعب التصور الجماعي الفضاء الموجه للفرد، الذي يتجسد بالقبول والرضا بما تمليه التصورات الجماعية التي تظهر على شكل ممارسة فعليه لذلك الاعتقاد، بهذا المعنى لا يستطيع أن يكتفي بإدانة ذاته كما كان يفعل قبل الشعور بهذه الحالة، إنه في حاجة لإدانة الآخرين ووضع اللوم عليهم، لإعادة شيء من الاعتبار المفقود إلى

الذات من خلال التصدي المباشر إلى العوامل التي يعتبرها مسؤولة عن ذلك التبخيس الوجودي الذي حل به، فالجريمة هي الوسيلة الأخيرة للتخاطب مع الواقع ومع الآخرين.

2.3. الإقصاء الطبقي والانحراف عن قواعد المجتمع

كانت جل إجابات المبحوثين حول التساؤل التالي هي بعدم اهتمامهم بالمجتمع وما تمليه قواعده ومعتقداته كونهم لا يحسون بالانتماء إليه، ويعود السبب إلى الإحساس بالدونية داخل المجتمع الذي يخضع للطبقية الثقافية والاجتماعية، والتي خلقت نوعا من الانفصال والاغتراب والتهميش.

3.3. أزمة الاغتراب والتهميش: (غربة المشاعر)

رغم اختلاف إجابات المبحوثين حول الظروف التي دفعتهم للجريمة إلا أنهم يشتركون في نقطة واحدة هي فقدانهم التقدير داخل الأسرة أو في العمل أو في الجماعة، فشعورهم بالتهميش أمام شبكة العلاقات والتنظيمات الاجتماعية التي يرتبطون بها وعدم النظر لظروفهم واهتماماتهم وإمكانياتهم وطموحاتهم ومصالحهم يجعلهم ينحدرون إلى محاولة إثبات الذات وإعادة الاعتبار، وذلك لتعويض الضعف داخل المحيط أو الانحراف عن المجموعة.

فالاغتراب نمط من التجربة، يعيش فيها الإنسان صراع قيم متضاربة تؤدي إلى تلاشي الذات وسقوط الهوية الفردية والاجتماعية، ومن ملامح الاغتراب التي لمسناها في إجابات المبحوثين:

انعدام القوة: ويعني شعور الفرد بأنه ليست لديه القدرة على التأثير في المواقف الاجتماعية المحيطة به.

فقدان المعنى: الذي يتضمن عجز الفرد عن الوصول إلى قرار، أو معرفة ما ينبغي أن يفعله أو إدراك ما يجب أن يعتقده موجها لسلوكه.

فقدان المعايير: وهو لجوء الفرد إلى استخدام أساليب غير مشروعة وغير موافق عليها اجتماعيا لتحقيق أهدافه.

العزلة: ومعناها انفصال الفرد عن تيار الثقافة السائدة وتبني مبادئ أو مفاهيم مخالفة، مما يجعله غير قادر على مسايرة الأوضاع القائمة.

غربة الذات: وهي إدراك الفرد بأنه أصبح مغتربا حتى عن ذاته، فالاغتراب يعد أحد أخطر المشاكل التي تواجه الشباب اليوم، بل إنه شعور أصبح ملازماً لدى الكثير منهم، نتيجة لارتباطه بمتغيرات وإفرازات عدة فيه، فالبطالة تلاحقه في كل مكان، وهو عاجز عن توفير حتى لقمة العيش وهو تخطى العشرينات أو الثلاثينات من عمره، وجميعها أسباب كافية لزيادة الشعور بالاغتراب عنده والشعور بالتهميش والإقصاء بسبب حرمانه من أبسط حقوقه كالعمل والسكن والزواج والاستقرار، فغياب كل هذه الحقوق يجعل من الشباب طاقة بائسة معطلة إلى أجل غير مسمى، حيث يعاني التهميش والإقصاء والغربة في وطنه وبين أهله، على هامش مجتمع يرى أنه غير فاعل أو فعال فيه ، مما يدفعه إلى السلبية والانسحاب أو الهجرة السرية (الحرقة) أو التمرد والعنف والانحراف والإدمان كما هو حال العديد من الشباب.

4.3. التكيف الثقافي

تنقسم إجابات المبحوثين بين الرضا عن فضاء الحي الذي يسكنون فيه وبين من يرفض وجوده داخل هذا الفضاء، ويعود هذا الانقسام إلى مجموعة من الأسباب:

- ✓ **الافتقاد إلى التوازن**

بين متطلبات الفرد وبين ما هو متوفر داخل الحي من مرافق وتهيئة، فالمبحوثين الذين يعيشون في الأحياء الهامشية التي أقل ما يقال عنها أنها لا ترقى إلى ظروف الحياة الإنسانية والعيش الكريم وبالتالي يكون السلوك العدواني والعنف وانتشار مختلف مظاهر الانحراف والجنوح والجريمة كردة فعل أو تظهر كنوع من التذمر وعدم الرضا، وإدانة السلطات المسؤولة بما في ذلك الدولة، وهذا يجعلهم يخلقون مبررات لأفعالهم الإجرامية.

- ✓ **تمزق الرابط الاجتماعي في المدينة**

من خلال صعوبة إقامة صداقات وعلاقات اجتماعية لضعف التكامل ووجود اللاتجانس، مما يخلق صورة من صور العزلة والتفكك، ونلمس هذا الشعور عند سكان الأحياء الاجتماعية، فالسكن في

مناطق يختلف فيها السكان في تركيبتهم المادية والثقافية يخلق فيها نوع من الصراع الثقافي والتصادم بين الفئات لغياب الانتماء إلى المجموعة وعدم التقيد بالنظام العام، وغياب لغة الحوار.

✓ **الانصهار داخل الجماعة واكتساب الثقافة الفرعية**

كون المبحوثين يربطهم داخل الحي علاقات صداقة أو قرابة أو جيرة وفي كثير من الأحيان ينتمون إلى عصابة أشرار، مما يجعلهم يشتركون في الحيز المكاني والحيز الرمزي من خلال ممارسة نفس السلوك الذي يتنافى مع سلوك المجتمع، وهذا السلوك هو الجريمة والانحراف، ونجد هذه العلاقات أكثر في الأحياء الشعبية القديمة التي يكون فيها التجانس المادي والثقافي، وتميزها الروابط القرابية حيث يظهر الأفراد الانتماء والولاء للجماعة، ونوعا من التعصب، وتحكمهم قيم خاصة بهم ويمارسون نفس العادات والتقاليد.

سابعا: التحليل التواتري للمقابلات

جدول رقم22 : يوضح التحليل التواتري لإجابات المبحوثين

الكلمة الأكثر تكرارا	مجموع تكرار الكلمة	مدلولها داخل السياق الاجتماعي
العرش	30 مرة	كإعادة لإنتاج مرحلة الأنظمة القبلية القائمة على الصلة الدموية والقرابة والعصبية، تعبيرا على بقاء وهيمنة نظام القبيلة على المجتمع وإستمرار قيم العروشية وتأثيرها على العلاقات الاجتماعية وما تنتجه من صور ذهنية راسخة في العقل الفردي والعقلية الجماعية كمبرر، على هيئة مواقف عاطفية أو مواقف عصبية أو قبلية أو دفاعية تمارس بمعزل عن الأطر المكانية والزمانية، فرغم اختلاف الظروف والوقت وكذلك انتقال من الريف إلى المدينة، إلا أن بعض المواقف مازالت مرتبطة بحقب زمنية قديمة

		وكذلك أماكن غير المدينة، مصدرها الأساس الموروث السائد والأعراف والطقوس والولاء للقبيلة.
الرجلة (نحنا رجال عليهم)، (الراجل منا بعشرة منهم)، (أنا راجل ماشني مرا)، (أنا فحل)، (ماشهم رجال)	29 مرة	الرجولة virlité هي الشكل الرمزي للقوة والقدرة على تأكيد الذات والفوقية بكل أشكالها، وهي مفهوم سائد يتمثل في الحفاظ على صورة الرجل القوية المحصنة ضد الضعف والعاطفة، وتعد رموز وشفرات يتلقاها الذكر خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وهي تركز على احترام الأنثى وحمايتها ومراقبتها، يعبر عنها **ويزلر دانيال** بأنها تعبير فردي وجماعي عن الهيمنة الذكورية، وتمثل الرجولة بناء ثقافي واجتماعي يتكون من خلال قوامة الرجل على المرأة، وأحقية التحكم في الوسائل المادية والفكرية لإنتاج القيم الذكورية.
الشرف، العرض	26 مرة	هو قيمة مقدسة عند الفرد ومرتبط أكثر بالجماعة، والمحافظة عليه ليس إلا امتثال للجماعة ورفع سمعة الشخص داخلها، كما أن مطلب الشرف هدفه تحقيق حجم الاحترام الذي يتلقاه من طرف الجماعة عند محافظة الفرد على شرفه. عرفه **بيار بورديو** على أنه الاعتداء على الممتلكات المادية أو الرمزية، اعتداء على الشخص وعلى نيفه (كرامته) وعلى مكانته التي ينتسب بها إلى الجماعة.
الشجاعة	22 مرة	تمثل الشجاعة القدرة على تحمل الألم والمعانات الجسدية أو النفسية، وتحدي عظائم الأمور من خلال البطولة، وهي حسب ابن خلدون تتولد من شظف العيش وخشونة الطباع، وعادة الشجاعة هي مواصفات الرجل، فمنذ صغره يلقن الطفل مبادئ الشجاعة كقيمة مجتمعية مرتبطة بالرجولة والمكانة والسيطرة والشرف وانعدام الخوف.

الدار	19 مرة	يقصد بالدار الأسرة أو الزوجة أو الابنة والأخت، كمدلول عن إقصاء المرأة داخل الفضاء وحضورها الرمزي، خوفا من العار أو من ذكر اسمها أو درجة القرابة، فتعتبر المرأة في نظر الرجل عنصر فارغ جامد يوازي جماد المنزل، وكأن المرأة فضاءها المحتوم هو المنزل الذي تأخذه صفته.
(ربي) الله	18 مرة	هو اعتراف رمزي بوجود الله
السحر	17 مرة	كنموذج للاعتقاد الذي يبرر سلوك الفرد، وينبع هذا الاعتقاد من تمثلات المجتمع وتصوراته ووجود ثقافة داخل المجتمع تؤمن بوجود السحر.
الظروف	15 مرة	هي تلك الأوضاع القهرية التي تحيط بالفرد وتفرض عليه واقع معين قد يكون واقع مادي ضعيف أو واقع اجتماعي خانق، لتكبل الفرد بقيود تشل حركته وتجعله دائما في حالة خضوع، أو تسوقه إلى كسر هذه الظروف بالتوجه نحو الجريمة.
حاب نعيش حياتي	14 مرة	هو سعي للتحرر من القيود الاجتماعية والمادية التي تفرضها ظروف الحياة والتجرد من الذوات الخاضعة للعادات والتقاليد والقيم التي تكبت رغبات وحاجيات النفس البشرية، لتتحول إلى ذوات أنانية تسعى إلى تحقيق الرفاهية والاستقلالية والتملص من أعباء الفقر والتبعية المجتمعية.
عينين العرب (الحسد)	11 مرة	اعتقاد جازم بتأثير الحسد والعين على الفرد مما يجعله ينحرف عن المألوف بتدخل قوة خارقة تغير الظروف وتحول حالة التوازن إلى الاختلال، كمبرر يتخذه الفرد للتملص من مسؤولية خلق الظروف أو العجز عن مقاومتها.

التعليق

إن الخطاب الثقافي والإرث اللغوي الذي ينبع من التصورات والتمثلات التي تتجلى في دلالات ومعاني تنتجها بيئة الإنسان بتعدد أبعادها الاجتماعية والثقافية والإيكولوجية، حيث تكشف هذه الخطابات على التمثلات الاجتماعية والعوامل والمحددات لسلوك المبحوثين.

- ومن خلال المفاهيم الواردة والتي تمثل خطابات تم تكرارها من طرف المبحوثين عدة مرات وفي مواقع مختلفة من المقابلة تشير إشارة صريحة إلى ارتباط المبحوثين بمجموعة من القيم المجتمعية المتوارثة، والتي تظهر بشكل صريح في تصوراتهم وتمثلاتهم لمجموعة من المفاهيم المتعلقة بما يلي:

- **التأثر بالقيم المجتمعية السائدة:** (العرش والقوة والشجاعة والرجولة والانتماء والشرف) التي تلعب الدور الأساسي في توجيه سلوك الفرد وتفرض عليه الخضوع والانصياع لمتطلبات الجماعة حتى على حساب القيم السوية، حيث يمكن أن يقوم الفرد بجريمة أو بسلوك غير سوي ولكن يفسر في نظر الجماعة مشروعا ومقبولا ضمن دائرة العرف والعادات والتقاليد.

- **سيطرة الجانب المادي:** (الحاجة، حاب نعيش حياتي، الظروف، الفقر، الهم) كتعبير على قهر الظروف المادية وقلة المال كدافع لارتكاب الجريمة.

- **التأثر بالمحيط:** (صحبة السوء، الصحاب، جار السوء) كتعبير على المخالطة السيئة التي قد تؤدي إلى ارتكاب الجريمة.

- **المعتقدات:** (السحر، الحسد، العرب، عينين العرب) وهي مصطلحات تعبر عن اعتقاد المبحوثين كعينة عن اعتقاد المجتمع.

الخاتمة

تجسد المدينة نواة الثقافة المادية والمعنوية التي تحمل هوية المجتمع المتراكمة عبر الأجيال والتي تساهم في إنتاجها وإعادة إنتاجها عمليات التفاعل بين مكونات الفضاء المديني، غير أن هذه المكونات لا تتراكم وفق نماذج مثالية من التفكير الإنساني وإنما تميل نحو الانحراف وتبني السلوك الإجرامي في أحيان كثيرة، ومن مكونات الفضاء المديني ذلك البعد الثقافي لمورفولوجيا المدينة والذي يُخلق من خلال الطابع المادي والهيكلي المتشكل عبر الأجيال، حيث تساهم في تشكيله الخلفية الحضارية بما فيها الخصائص السوسيوثقافية للمسكن والطابع العشائري، وكذلك توزع الأحياء في المدينة والذي يختفي وراء ذهنية تشكيلها الحضارة الإنسانية.

ولأن المدينة فضاء مادي ورمزي فالثقافة الشعبية تلعب فيه الدور الضمني في توجيه سلوك الفرد بدلالتها الرمزية، وذلك من خلال أشكال التعبير المختلفة التي تنتقل أثناء التفاعل وتبادل الخبرات، بغرض تنشئة الفرد وصقل شخصيته الثقافية وتكوين تصوراته وتمثلاته وترسيخ أفكار الانحراف والجريمة والعنف، ولأنه لا يمكن فصل ماضي التفكير الإنساني عن حاضره، على أساس التغير الاجتماعي والثقافي المستمر، والذي بدوره يخلق أشكالا جديدة للسلوك الإنساني، ويتشكل هذا التغير عبر مراحل أنتجتها عوامل التطور الثقافي والاجتماعي في جميع هياكله، حيث يكون للجانب الثقافي الحظ الأوفر في التأثير، من خلال كونه يمس المجتمع في بنائه ونظمه وثقافة أفراده، وهذا ما حاولنا التطرق إليه في دراستنا للفضاء المديني وعلاقته بالسلوك الإجرامي، حيث توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

نتائج الدراسة

أولا: تساهم البنية المورفولوجية للمدينة في تشكيل تصورات وتمثلات الأفراد.

ثانيا: تتأثر ثقافة الفرد داخل الفضاء المديني بالبيئة الطبيعية والإيكولوجية، حيث أن البيئة الطبيعية للفرد إذا افتقرت للشروط المناسبة فقد توجهه نحو الانحراف وتبنّي السلوك الإجرامي.

ثالثا: ترتبط الخصائص السوسيوثقافية لكل حي بنمط الجريمة التي تحتمها طبيعة التركيبة البشرية وحالة الأحياء من خلال الموقع وكذلك المرافق المتوفرة.

رابعا: قد تحيد وتخرج الثقافة عن مسارها المتمثل في التربية والتنشئة الاجتماعية والتهذيب وغرس قيم السلم والأمن الاجتماعي وتتحول إلى تكريس العنف ونشر الثقافة الإجرامية وتنمية الروح العدائية والميل العدواني.

خامسا: يظهر انحراف البيئة الثقافية من خلال سوء التنظيم وعدم الانسجام والصراع وفقدان الشعور الجمعي أو حالة التغير الاجتماعي والتوازن والتناسق بين أجزاء ثقافة المجتمع، وبذلك تصبح الرسالة الأخلاقية للثقافة مملوءة بقيم متناقضة تدخل الشك والريبة لدى الأفراد وتدفعهم للسلبية والإجرام.

سادسا: يمكن أن تلعب الثقافة دورا أساسيا في الحد والتقليل من السلوك الإجرامي من خلال ما تحتويه من محتوى أخلاقي يعزز الإحساس بالمسؤولية وحب الخير وإتباع القواعد الدينية والمجتمعية الصائبة.

سابعا: إن للتغير القيمي دورا هاما في ارتكاب الفرد للجريمة واتجاهه نحو الانحراف، نظرا لانخفاض الضوابط الاجتماعية والدينية والأخلاقية.

ثامنا: سيادة القيم المادية على القيم المركزية والانسلاخ عن الجماعة، والتحرر والفردانية يورث الفرد التمرد والضياع وكسر الروابط الاجتماعية الذي تؤدي إلى الانحراف والجريمة.

تاسعا: تغير القيم الاستهلاكية ناتج عن اكتساب المجتمع ثقافة استهلاكية جديدة ناتجة عن التحضر والعولمة والانفتاح على العالم، مما أكسب الفرد الرغبة في امتلاك الماديات بما فيها الكماليات، مستخدما بذلك جميع الطرق المشروعة وغير المشروعة كالسرقة والإتجار بالمخدرات والجرائم المعلوماتية.

عاشرا: الاختراق القيمي ناتج عن العولمة والانفتاح على العالم من خلال وسائل الاتصال المختلفة، والتي تلاشت من خلالها الخصوصية الثقافية، واكتساب قيم جديدة عالمية أكثر منها محلية، تجعل الفرد داخل العزلة والتهميش والاغتراب عن المجتمع المحلي، ثم الانحراف كنتيجة لذلك.

احدى عشر: من أهم العوامل التي تدفع بالفرد إلى سلوكيات دخيلة عن المجتمع هو التقليد الأعمى ومحاكات الغير وضياع القيم الأخلاقية والدينية والمجتمعية، وكنتيجة لهذا التغير يمارس الفرد سلوكا انحرافيا مقلدا من خلال ما شاهده وتأثر به، كتعاطي المخدرات والعلاقات الجنسية والجرائم الإلكترونية.

اثنا عشر: عندما يصبح الدين مجرد طقوس فارغة من أي محتوى أخلاقي، يتجه الفرد إلى كسر الروابط الاجتماعية، والانحراف والجريمة.

ثلاثة عشر: يعتبر النمو الحضري من أسباب الصراع القيمي داخل الوسط الحضري.

أربعة عشر: يحدث التحضر فتورا في العلاقات الاجتماعية، من خلال كسر الروابط بين الفرد ومجتمعه، مما يولد حالة من الفردانية والتحرر من القيود المجتمعية، مما يجعل الفرد يتجه نحو سلوكيات بعيدة عن قيم المجتمع وتعاليم الدين.

التوصيات

إن صيانة المجتمع وترسيخ قيم التضامن والتماسك الاجتماعي وتحقيق الرفاهية والأمن والاستقرار هو مطلب أساسي لكل مجتمع إنساني، ولتحقيق ذلك ينبغي التركيز على **التوصيات التالية:**

أولا: كون التجارب الإنسانية والعمرانية كلها تدل على أن الحلول التي تفرض على مدينتنا ومجتمعنا يجب أن تكون بعيدة عن فكرة إعادة إنتاج النموذج العمراني الغربي في بيئة اجتماعية وثقافية مختلفة تماما عن تلك التي استعير منها، لذلك فإننا بحاجة إلى إعادة الحياة إلى المدينة الجزائرية من خلال تسليط الضوء على صقل قيم الأفراد والتركيز على تربيتهم ومراقبة سلوكهم، وابتكار نموذج حضاري وعمراني وفق معايير ببيئية تتناسب مع ثقافة الفرد وعاداته وتقاليده وتجد الطريق إلى اختراق ذهنه وترسيخ التحضر المنظم والراقي لديه.

ثانيا: كما أننا في حاجة ماسة إلى أن نستفيد في تخطيط مدننا من استلهام الروح العربية في الصياغة والتشكيل لأن لكل أمة روحها، مع الاعتماد أيضا على ما يفترضه المستقبل من حاجات مستجدة يدفع

في اتجاهها العصر والتطور، ذلك فإنه لا يمكننا أن ننفصل عن العالم، في حين أن اتصالنا به يجب أن يكون عن وعي.

ثالثا: ينبغي إعادة إنتاج نماذج مثالية للتفكير الإنساني من خلال ترسيخ القيم الثقافية والمجتمعية الصائبة المستقاة من القواعد الدينية.

رابعا: الحفاظ على الثقافة الشعبية التي تحمل القيم الأخلاقية والمبادئ والمعارف، وإعادة تفعيلها من جديد ضمن الثقافة الحضرية، مع تجاهل وغربلة المحتوى الثقافي الذي ينافي السلوك الأخلاقي ويدعو إلى الجريمة والانحراف.

خامسا: إقامة المدن الجديدة المتخصصة، وذلك ببناء مجمعات صناعية وسياحية وزراعية توفر فرص العمل.

سادسا: تفعيل دور وزارات التربية ووزارات الشؤون الدينية في تبني قضية تنمية الوعي الأسري لدى الأفراد والجماعات والمؤسسات.

سابعا: تفعيل دور الإعلام في مجال الأسرة، وذلك لتدريب الأسر على اكتساب طرق تنشئة اجتماعية سوية ضمن بيئة أسرية صحية.

الـملاحق

الملحق رقم 1

دليل مقابلة

البيانات الشخصية

السن

الجنس

المستوى التعليمي

الحي

طبيعة المسكن

المحور الأول: الخصائص السوسيوثقافية لسكان أحياء المدينة

- ما هو اسم العرش الذي تنتمي إليه؟
- عبر عن الخصائص التي يتميز بها أفراد عرشك
- كيف وجدت التقبل من طرف محيطك القرابي عند ارتكابك للجريمة؟
- هل وجدت تقبل لجريمتك من طرف المجتمع؟

المحور الثاني: أنماط الجرائم الخاصة بكل حي

- ما هي طبيعة الجريمة التي ارتكبتها؟
- أذكر أسباب ارتكابك للجريمة؟
- كيف ساهمت طبيعة الحي في ارتكابك للجريمة؟
- هل أنت نادم على ارتكابك للجريمة؟

المحور الثالث: علاقة الخصائص السوسيوثقافية بأنماط الجريمة لكل حي

- إذا حدث وأن وقعت في نفس الظروف هل تعيد جريمتك؟
- ما مدى أهمية المجتمع عندما ترتكب الجريمة؟
- هل تحس برابط مع مجتمعك؟
- أي الروابط عندك أقوى: الروابط مع المجتمع أم الرابط القبلي؟

الملحق رقم 2

دليل مقابلة

بعد التحية:

يشرفني أن أجري مع سيادتكم المحترمة مقابلة في إطار التحضير لرسالة الدكتوراه، تخصص أنثروبولوجيا الجريمة، الموسومة بعنوان الفضاء المديني وعلاقته بالسلوك الإجرامي، مدينة تبسة أنموذجا، حيث يسرنا أن تجيب سيادتكم عن مجموع الأسئلة التي حددت في أربعة محاور كالآتي:

المحور الأول: مورفولوجية المدينة وعلاقتها بالسلوك الإجرامي

- ما هو تصنيف مدينة تبسة من حيث الجريمة؟
- ما هو نمط التوزيع الجغرافي للجريمة في مدينة تبسة؟ المركز والجوانب؟
- كيف تتوزع الجريمة على مستوى الأحياء؟
- هل للتركيبة الأيكولوجية للحي (شكل الحي) علاقة مع زيادة أو انخفاض مستوى الجريمة في الحي؟
- كيف يمكن تحديد البؤر الانحرافية للمدينة؟

من خلال زيادة نسبة الجريمة، كثرة الشكاوى، موقع الحي، الطبيعة الجغرافية، التركيبة السكانية.

المحور الثاني: الثقافة المدينية وعلاقتها بالسلوك الإجرامي

- هل يمكن أن تؤدي بعض الممارسات الثقافية للمجتمع إلى ارتكاب الجريمة؟ (طقوس الزواج، الاحتفالات الدينية، طقوس أخرى).
- حدد بعض هذه الممارسات الثقافية (عادات، تقاليد، عرف)؟
- هل هناك جرائم متعلقة بالشرف (المرأة، الأرض، المنزل،)؟

- هل هناك علاقة بين ظاهرة العروشية والجريمة؟
- ماهي أهم الجرائم المتعلقة بظاهرة العروشية؟

المحور الثالث: التغير في الفضاء المديني وعلاقته بالجريمة

- ما هو معدل زيادة الجريمة في السنوات الأخيرة؟
- ماهي طبيعة الجرائم الأكثر ارتكابا؟
- إلى ما ترجعون سبب زيادة معدل ارتكاب هذا النوع من الجرائم؟
- من هم الفئة الأكثر ارتكابا للجريمة؟
- ما هو معدل ارتكاب المرأة للجريمة؟
- ما هو الفرق بين ارتكاب المرأة للجريمة في الماضي وبين ارتكابها اليوم؟ (التقنية، طبيعة الجريمة، الوسيلة).
- ماهي أهم الأسباب لارتكاب المرأة للجريمة اليوم؟

المحور الرابع: إعادة توازن الفضاء المديني

- ماهي الإجراءات المتخذة من طرفكم للحد من الجريمة؟
- هل هناك وسائل مستحدثة تتماشى مع التطور الحضاري؟
- هل هناك خطة مستقبلية للحد من زيادة معدل الجريمة؟
- ماهي المؤسسات التي تتعاونون معها لمناقشة تفشي الجريمة داخل الفضاء المديني ومحاولة إعادة توازنه؟ (المؤسسات العقابية، مؤسسات التعليم العالي، مؤسسات المجتمع المدني، مؤسسات أخرى)

الملحق رقم3

الصورة1: خريطة توضح توزع العروش في مدينة تبسة

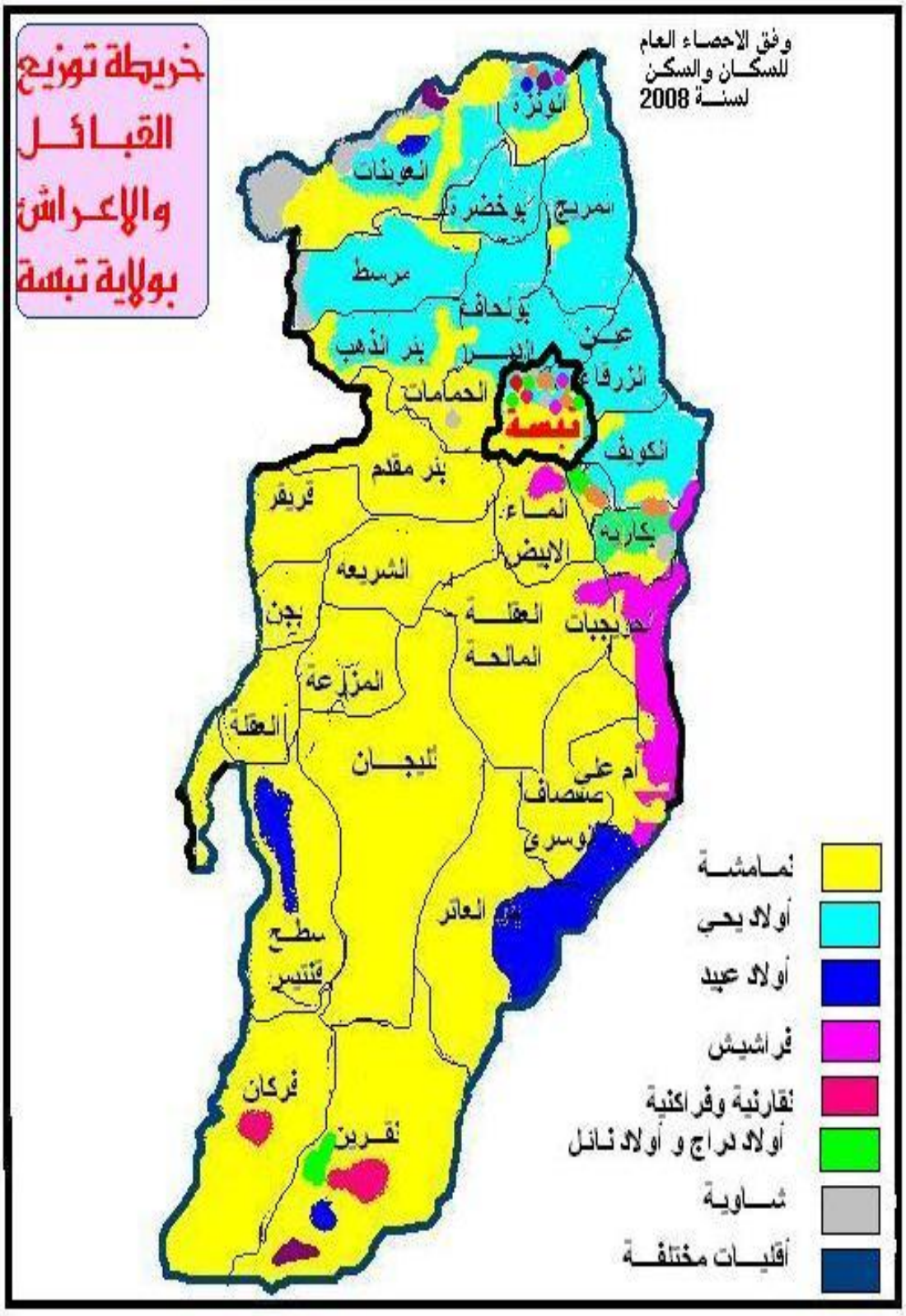

المصدر: https://bendjoua.yoo7.com

الملحق رقم 4

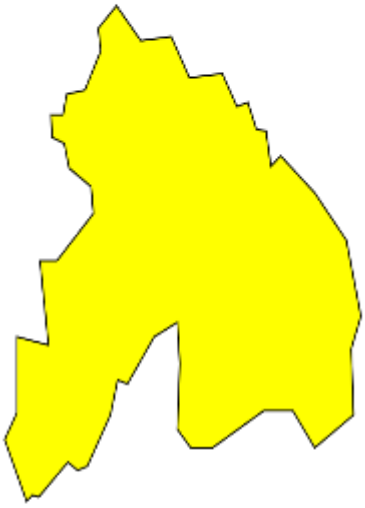

مدينة تبسة

الملحق رقم 5

أحياء مدينة تبسة

الملحق رقم6

CITÉ BEL AIR

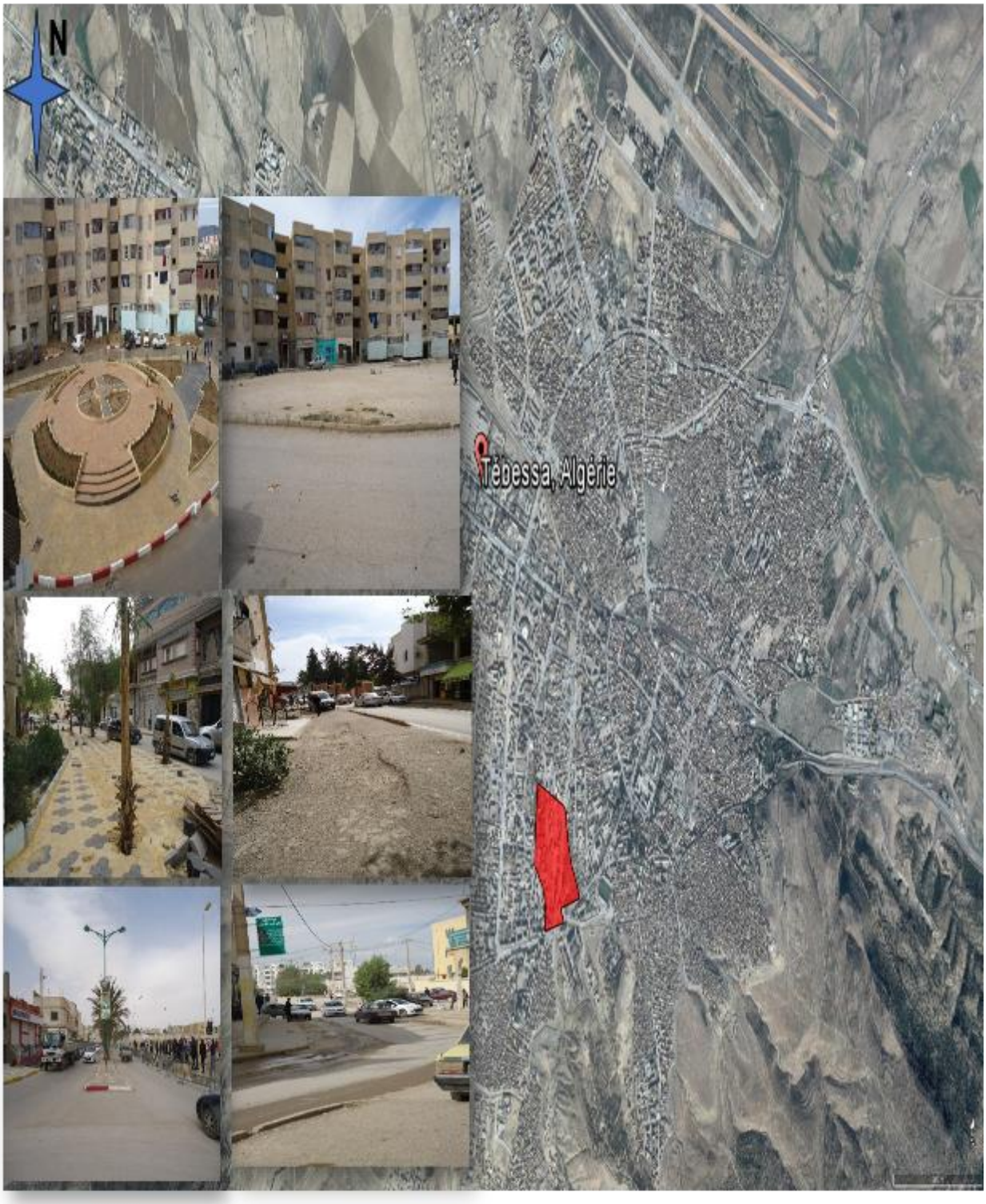

الملحق رقم7

SITÉ DJEDAIETE MASSAOUD

الملحق رقم8

الملحق رقم 9

CITÉ EL OUIAM 1+2 RTE CONSTANTINE

الملحق رقم 10

CITÉ LA REMONTE

الملحق رقم 11

الملحق رقم 12

الملحق رقم 13

CITÉ ZAOUIA EST

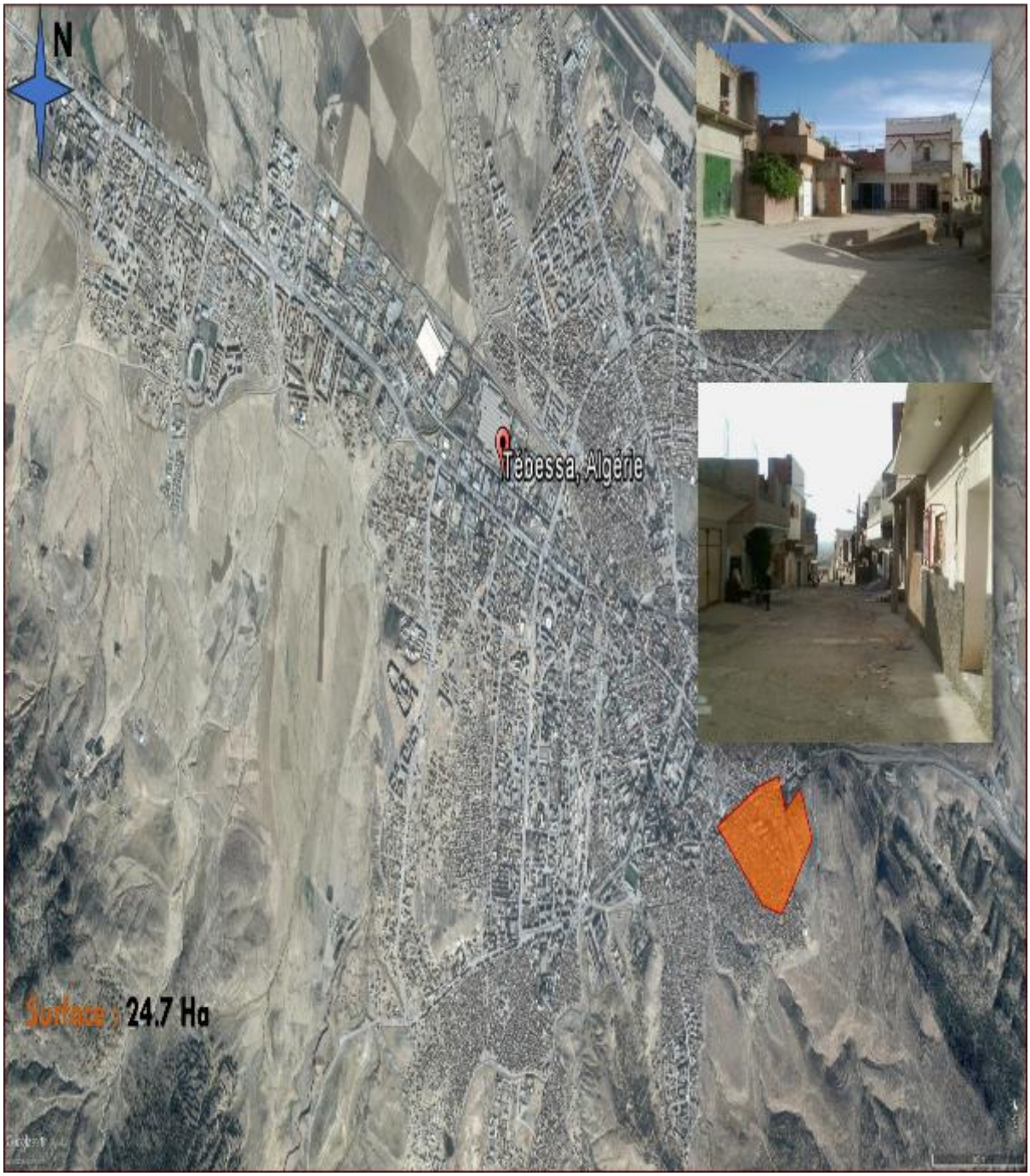

الملحق رقم 14

وزارة الداخلية، والجماعات المحلية
والتهيئة العمرانية
المديرية العامة للأمن الوطني
أمن ولاية تبسة
خلية الاتصال والعلاقات العامة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

الى طالبة الدكتوراه/حاجي سعيدة

الموضوع: - ف/ي طلب احصائيات رقمية سنوية (من 2015 إلى 2020).

ردا على الطلب المقدم من طرفكم ،والمتعلق بالحصول على الاحصائيات الخاصة بالجريمة الحضرية والمنظمة على مستوى مدينة تبسة خلال الخمس سنوات الاخيرة ، وهذا لاستغلالها في إطار بحث علمي خاص بأطروحة دكتوراه حول موضوع " **تأثير تغيرات الفضاء المدني على السلوك الإجرامي للمجتمع**"،**يشرفني** أن أوافيكم بالغرض المطلوب وفق الجداول المبينة أدناه :

- جدول رقم 01:

سنة 2015	القضايا المسجلة	القضايا المنجزة	نسبة الانجاز
	4882	3523	% 72.16

جرائم القانون العام	عدد القضايا المسجلة	عدد القضايا المنجزة	عدد المتورطين
الجنايات و الجنح ضد الشيء العمومي	270	270	391
جرائم الاعتداء على الممتلكات	2035	1052	1378
جرائم الاعتداء على الأشخاص	2452	2076	2739
الجرائم الاقتصادية و المالية	297	259	370
الاتجار الغير شرعي بالمخدرات و الوثرات العقلية	280	279	396
الجنايات و الجنح ضد الأسرة و الآداب العامة	131	125	156
الجرائم المعلوماتية	/	/	

- جدول رقم 02:

سنة 2016	القضايا المسجلة	القضايا المنجزة	نسبة الانجاز
المجموع	5855	4717	% 80.56

جرائم القانون العام	عدد القضايا المسجلة	عدد القضايا المنجزة	عدد المتورطين
الجنايات و الجنح ضد الشيء العمومي	300	299	455
جرائم الاعتداء على الممتلكات	2498	1520	804
جرائم الاعتداء على الأشخاص	2438	2283	2767
الجرائم الاقتصادية و المالية	228	216	308
الاتجار الغير شرعي بالمخدرات و المؤثرات العقلية	274	274	395
الجنايات و الجنح ضد الأسرة و الآداب العامة	117	108	136
الجرائم المعلوماتية	//	//	//

- جدول رقم 03:

سنة 2017	القضايا المسجلة	القضايا المنجزة	نسبة الانجاز
المجموع	6083	5557	% 91.35

جرائم القانون العام	عدد القضايا المسجلة	عدد القضايا المنجزة	عدد المتورطين
الجنايات و الجنح ضد الشيء العمومي	61	53	60
جرائم الاعتداء على الممتلكات	2610	2156	2340
جرائم الاعتداء على الأشخاص	2186	2142	2550
الجرائم الاقتصادية و المالية	296	281	367
الاتجار الغير شرعي بالمخدرات و الوثرات العقلية	375	374	519
الجنايات و الجنح ضد الأسرة و الآداب العامة	142	137	204
الجرائم المعلوماتية	61	53	60

- جدورل رقم 04:

سنة 2018	القضايا المسجلة	القضايا المنجزة	نسبة الانجاز
المجموع	6012	5390	% 90

جرائم القانون العام	عدد القضايا المسجلة	عدد القضايا المنجزة	عدد المتورطين
الجنايات و الجنح ضد الشيء العمومي	375	367	574
جرائم الاعتداء على الممتلكات	2557	2127	226
جرائم الاعتداء على الأشخاص	2164	2013	2260
الجرائم الاقتصادية و المالية	348	339	459
الاتجار الغير شرعي بالمخدرات و المؤثرات العقلية	294	294	427
الجنايات و الجنح ضد الأسرة و الآداب العامة	185	172	226
الجرائم المعلوماتية	89	80	81

- جدورل رقم 05:

سنة 2019	القضايا المسجلة	القضايا المنجزة	نسبة الانجاز
المجموع	6086	4724	% 77.62

جرائم القانون العام	عدد القضايا المسجلة	عدد القضايا المنجزة	عدد المتورطين
الجنايات و الجنح ضد الشيء العمومي	377	371	509
جرائم الاعتداء على الممتلكات	2669	1749	1911
جرائم الاعتداء على الأشخاص	2185	1862	2163
الجرائم الاقتصادية و المالية	259	214	312
الاتجار الغير شرعي بالمخدرات و المؤثرات العقلية	270	268	385
الجنايات و الجنح ضد الأسرة و الآداب العامة	159	132	172
الجرائم المعلوماتية	136	96	103

- جدول رقم 06:

سنة 2020	القضايا المسجلة	القضايا المنجزة	نسبة الانجاز
المجموع	6477	3991	% 61.61

جرائم القانون العام	عدد القضايا المسجلة	عدد القضايا المنجزة	عدد المتورطين
الجنايات و الجنح ضد الشيء العمومي	505	494	742
جرائم الاعتداء على الممتلكات	2483	1626	1822
جرائم الاعتداء على الأشخاص	2690	2269	2694
الجرائم الاقتصادية و المالية	338	300	389
الاتجار الغير شرعي بالمخدرات و المؤثرات العقلية	532	530	798
الجنايات و الجنح ضد الأسرة و الآداب العامة	198	174	255
الجرائم المعلوماتية	150	101	103

رئيس خلية الإتصال و العلاقات العامة
بأمن ولاية تبسة
ملازم أول للشرطة
الحسين حمانة

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المؤلفات:

1. simonsuri, laurj(2004)*أساطير من الموروثات الشعبية الفلندية* .م. ع. الله (.,القاهرة: الجمعية الأدبية الفلندية.

2. Massenzio Marcillo. (1999).

3. إبن خلدون، عبد الرحمان، تحقيق عبد الرحمان الدرويش، (2004) مقدمة إبن خلدون، ط1، دار يعرب، دمشق.

4. إحسان محمد الحسن. (2008). علم إجتماع الجريمة. عمان، الأردن: دار وائل للنشر.

5. أحمد أبو زيد. (1978). *محاضرات في الأنثربولوجيا الثقافية*. بيروت، كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، لبنان: دار النهضة للطباعةوالنشر.

6. أحمد أبو زيد. (1978). محاضرات في الأنثربولوجيا الثقافية. بيروت، كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، لبنان: دار النهضة للطباعةوالنشر.

7. أحمد بوذراع. (1997). التطوير الحضري والمناطق الحضرية المتخلفة في المدن. باتنة: منشورات جامعية.

8. إدريس مقبول. (2016 ربيع). المدينة العربية الحديث. عمران للعلوم الاجتماعية، المجلد4(16 العدد)، 67.

9. أسعد فايزة. (2012-2011). العادات الإجتماعية والتقاليد في الوسط الحظري بين التقليد والحداثة. وهران، كلية علم الإجتماع ، الجزائر.

10. أماني بنت محمد الجهني. (بلا تاريخ). التوزيع الجغرافي للجريمة في مدينة الرياض. مجلة وادى النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، 9.

11. براهمية صنية. (بلا تاريخ). التغير القيمي .

12. الوافي عبد اللطيف. (2003). الساحات العمومية في المدينة مابين التصميم والإستعمال. بسكرة: جامعة محمد خيضر.

13. الوهاب, ف. ع. (1995). الرياضة صحة ولياقة. القاهرة: دار الشروق. Consulté le 1995

14. بركات النمر المهيرات. (2001). جغرافيا الجريمة، علم الإجتماع الكارتوغرافي. عمان: دار مجدلاوي للنشر.

15. بوزياني الدراجي. (2003). *العصبية القبلية ظاهرة إجتماعية وتاريخية على ضوء الفكر الخلدوني*. الجزائر: دار الكتاب العربي.

16. بيار كاستال. (2010). حوز تبسة. بخيجة حسام

17. بيير بورديو. (2009). الهيمنة الأنثوية. (سلمان فعفراني، المترجمون) لبنان: المنظمة العربية للترجمة.

18. ثروة إسحاق. (1993). هامشيون في المدن. دمشق: دار كنعان للنشر والإشهار

19. الجوهري،محمد .(1995) .*المشكلات الإجنماعية، ط1، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1995* . مصر: دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.

20. الحسن، إحسان محمد ، (2008)، علم إجتماع الجريمة، ط1، دار وائل للنشر، الأردن.

21. حميد، خروف وآخرون، (1999) الإشكالات النظرية والواقع، د ط، دار البعث، قسنطينة.

22. حنفي عوض. (1997). إنسان المدينةبين الزمان والمكان. مصر.

23. خالد حامد. (2012). مدخل إلى علم الإجتماع. الجزائر، الجزائر: جسور للنشر.

24.الخميسي, ع. ا .(2016) .*الحكايات الشعبية لشعوب أسيا* .القاهرة: المركز القومي للترجمة.
25.دلال ملحس استيتة. (2010). التغير الإجتماعي والثقافي. عمان: دار وائل.
26.ديفيد، هربرت، جغرافية الجريمة الحضرية، (2001)، ترجمة ليلى بنت صالح، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان.
27.ربيعة تمار وناصر بودبرة. (2018). التمايز الإجتماعي والممارسات الإستهلاكية في الأسرة الجزائرية. مجلة الباحث في العلوم الإنسانيةوالإجتماعية(العدد 35)، 470.
28.رحاب مختار. (19 ديسمبر, 2014). مناهج وتقنيات البحث الأنثروبولوجي في موضوع أسماء الأعلام .L'anthroponymie مجلة العلوم الإجتماعية
29.روبرت إميرسون، وأخرون. (2010). البحث الميداني والإثنوغرافي في العلوم الإجتماعية ط1(هناء الجوهري، المترجمون) القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.
30.زهية شويشي. (2006). مجتمع القصور دراسة في الخصائص الاجتماعية والثقافية والعمرانية، قسنطينة: جامعة منتوري.
31.زينب حميدة بقادة. (2008). أثر الوسط الاجتماعي في جنوح الأحداث. أطروحة دكتوراه في علم اجتماع الجنائي، الجزائر.
32.سالم بن عاشور. (2008). البيئة العمرانية والثقافية وأثرهما علة الظاهرة الإجرامية. تلمسان: كلية الأداب والعلوم الإنسانية.
33.سامي ملحم. (2000). منهج البحث في التربية وعلم النفس. عمان: دار المسيرة لننشر والتوزيع والطباعة.
34.سعاد ن سعيد. (2007). علاقات الجيرة في السكنات الحضري. قسنطينة: جامعة منتوري.
35.سليمان ملوكي. (2012). التغيير الثقافي ودوره في التنمية البشرية- نموذج مالك بن نبي. 339.
36.السيد عبد العاطي السيد. (2004). *المجتمع والثقافة والشخصية"دراسة في علم الإجتماع الثقافي"* . الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
37.شهاب اليحياوي. (2015). الفضاء المديني ولعبة الإدماج. مجلة الدراسات والبحوث الإجتماعية(العدد 13)، 44.
38.صالح زيادنة. (بلا تاريخ). *حكايات من الصحراء*. بلدية رهط.
39.عاطف وصفي. (1981). الأنثربولوجيا الثقافية. بيروت: دار النهضة العربية.
40.عبد الجواد، مصطفى خلف، قراءات معاصرة في نظرية علم الإجتماع، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، د ط، الجيزة، مصر 2002.
41.عبد الحميد وليمي. (2007). دراسة في العمران (السكن والإسكان). عين مليلة: دار الهدى.
42.عبد الرحمان إبن خلدون. (2004). مقدمة إبن خلدون. (عبد الرحمان الدرويش، المترجمون) دمشق: دار يعرب.
43.عبد الرحمان المالكي. (2016). مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة. المغرب: أفريقا الشرق.
44.عبد الله حمودي. (2017). الداخلي والخارجي في التنظير للظاهرة القبلية. عمران للعلوم الإجتماعية والإنسانية، 18.
45.عدنان أبو مصلح. (2006). معجم *علم الإجتماع*. الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.

46.عدنان أبو مصلح. (2006). معجم علم الإجتماع. الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.
47.عكروت فريدة. (فبراير, 2018). مفهوم الفضاء وتمثلاته الإجتماعية. مجلة الصورة والإتصال(22 العدد)، صفحة 8.
48.علوان فريدة. (2002). النظام التقليدي من خلال ظاهرة جريمة الشرف. الجزائر: الرصيد الوطني للاطروحات.
49.عمار بوحوش وأخرون. (1999). مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
50.غاستون باشلار. (1987). جمالية المكان. بيروت: دار المجد.
51.فاتن محمد شريف. (1999). *دراسات في الأنثروبولوجيا الإجتماعية*. المنصورة: مطبعة الإنتصار لطباعة الأوفست.
52.فريديك معتوق. (1997). معجم العلوم الإجتماعية. لبنان: أكاديميا.
53.فيروز مصطفى إبراهيم. (2019). نشأة المسكن في المدن. 1.
54.فيصل غرايبية. (16 جوان, 2015). الألوان في حياة الإنسان وحيالة الشعوب. تم الاسترداد من
55.فيكتور، فرانكل، (1982) ترجمة طلعت منصور، الإنسان يبحث عن المعنى، ط1، دار القلم، الكويت.
56.قريش, ر. ل .(2007) .*القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي* .الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
57.لخضر، زرارة،(2014)، الجريمة والمجتمع ،ط1 ،دار وائل للنشر،عمان ، الأردن.
58.مالك بن نبي. (1982). ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الإجتماعية. دمشق: دار الفكر.
59.محمد الجوصري. (1977). مجتمع المدينة في البلاد النامية. القاهرة: دار النهضة العربي.
60.محمد الجوهري وأخرون . (1995). المشكلات الإجنماعية. الأسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
61.محمد الجوهري. (2010). علم إجتماع البيئة. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
62.محمد أمطوش. (2001). علم الإجتماع الحضري (المجلد ط1). عمان: دار الإبتكار للنشر والتوزيع.
63.محمد عباس إبراهيم. (2005). الأنثربولوجيا مداخل وتطبيقات. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
64.محمد عبد الفتاح محمد. (1996). الخدمة الإجتماعية في مجال تنمية المجتمع المحلي. المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع.
65.محمد فاروق العدلي. (1984). التنشئة الإجتماعية للطفل. حولية الإنسانيات والعلوم الإجتماعية
66.مرسي الصباغ. (2006). *القصص الشعبي الغربي في كتب التراث*. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
67.المعايطة، خليل عبد الرحمان ، (2000)، علم النفس الإجتماعي،ط1،دار الفكر،عمان،الأردن
68.مهى سهيل المقدم. (1995). المجتمع القروي بين التقليدية والتحديث. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
69.نهى السيد أحمد ناصر. (العدد السادس أفريل, 2016). التربية الإعلامية ودورها في بناء شخصية المعلم. المجلة العلمية لكلية التربية النوعية
70.هربرت ديفيد. (2001). جغرافية الجريمة الحضرية. لبنان: الدار العربية للعلوم، بيروت.
71.عبد الرحمان المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، ط1، أفريقيا الشرق، المغرب، 2016
72.غاستون باشلار، جمالية المكان، ط1، دار المجد، بيروت، 1987

ثانيا: الأطروحات:

1. أسعد فايزة. (2012-2011). *العادات الإجتماعية والتقاليد في الوسط الحظري بين التقليد والحداثة*. وهران، كلية علم الإجتماع ، الجزائر.
2. أمال يوسفي. (2012-2011). *الممارسات الثقافية في الوسط الحضري*. تلمسان، جامعة أبي بكر بلغاية، الجزائر: أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه.
3. أمينة، كرابية، (2017)، طبيعة الرابطة الإجتماعية في المجتمع الحضري، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، الجزائر.
4. زهية شويشي، مجتمع القصور دراسة في الخصائص الاجتماعية والثقافية والعمرانية، مذكرة ماجيستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006
5. سالم بن عاشور، البيئة العمرانية والثقافية وأثرهما على الظاهرة الإجرامية، مذكرة ماجيستير، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، تلمسان، 2008
6. سعاد ن سعيد، علاقات الجيرة في السكنات الحضرية، مذكرة ماجيستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007

ثالثا: الدوريات والملتقيات

1. إدريس مقبول، المدينة العربية الحديثة، عمران للعلوم الاجتماعية، العدد16، المجلد4، لبنان، ربيع 2016.
2. الحجي، إبراهيم بن محمد ، التغيير بالقيم، أكاديمية القيم،ibrahilalhejji.
3. الرماني، زيد محمد ،(1439ه)، الإستهلاك في حياتنا، جامعة الإمام محمد بن سعود، ، شبكة الألوكة www.alukah.net.
4. (محمد فاروق العدلي، 1984)العادلي، فاروق محمد، (1984)، التنشئة الإجتماعية للطفل، حولية الإنسانيات والعلوم الإجتماعية.

رابعا: المواقع الإلكترونية

- https://sotor.com (موقع سطور)
-http://alrai.com/article/720048.html (موقع الرأي) .
- (2022 ,9 مارس) عبد الفتاح فاتح. https://www.marefa.org

خامسا: المراجع الأجنبية

1. cuche, D. (1998). *la notion du culture dans les siences sociales.* Alger: la casbah
2. Pierre Bourdieu .(1990) .*le sens pratique* .paris: minuit.
3. Quéré, L. (1990). *Agir dans l'éspace public. les formes de 4 action.* paris: édition de L'EHESS.
4. Robert park, r. the city , the university of chicago pres ,london, ,1984

5. Sacré et identité ethnique, frontiére et ordre du monde ,trade de l'italian par federico Giadini et Valérie .*EHESS. Cahiers de l'homme, ethnologie,*
6. *géographie, linguistique, nouvelle série xxxv*.

ملخــص

لا تمثل المدينة معطيات مادية أو مجال جغرافي محدود المساحة ، وإنما هي علاقة ترابط بين البيئة العمرانية والبناء الاجتماعي والثقافي، الذي يحدد هويتها الحضارية بما في ذلك ذهنية الأفراد وتوجهاتهم وسلوكهم، كونه لا يمكن إيجاد بيئة فاضلة خالية من الجريمة لارتباط هذه الأخيرة بقيم الأفراد وكذلك بالمكان على حد سواء، وفي الآونة الأخيرة تعرض الفضاء المديني إلى تشوهات عمرانيَّة وبيئية خلفت كثيرا من الانشطار والفوضى وعدم الانسجام ، وذلك من خلال رصد أهم أسباب عدم الملاءمة والتكيف بين عناصره مما أثر على ذهنيات الأفراد فأصبحت تصدر عنهم تصرفات تتسم بالشذوذ والتطرف والعنف عكس ما يقتضيه السلوك المدني، فالفضاء المديني تجاوز كونه مكانًا للوجود البسيط، ليصبح مكانًا لتشكل الأفعال وبناء الذهنيات المتطرفة و الحادة، انطلاقًا من سلسلة من الإكراهات العمرانية التي يأتي على رأسها ضيق الفراغات العمرانية التي تضم الفقراء والفئات الهشة في غياب للشروط الصحية، مما يدفع بهم إلى تقمص السلوك الإجرامي كأحد أعراض مرض التمدن تعبيرًا عن الرفض.

كلمات مفتاحية: الفضاء المديني، السلوك الإجرامي، البيئة العمرانية، الأحياء، المسكن.

Abstract

The city does not represent physical data, but rather it is an interrelationship between the urban environment and the social and cultural structure, which determines its civilizational identity, including the mentality and behavior of individuals, because it is not possible to create a virtuous environment free of crime because it is linked to the values of individuals and place, and in recent times The space was exposed to urban distortions that caused fission and chaos, through the lack of adaptation between its elements, which affected the minds of individuals, which led them to emit behavior characterized by abnormalities and extremism.

The urban space has gone beyond being a place of simple existence, to become a place for the formation of actions and the construction of extremist mentalities based on a series of urban constraints such as the narrow urban spaces that include the poor and vulnerable groups in the absence of health conditions, which pushes them to reincarnate criminal behavior, which is one of the symptoms of the disease of urbanization